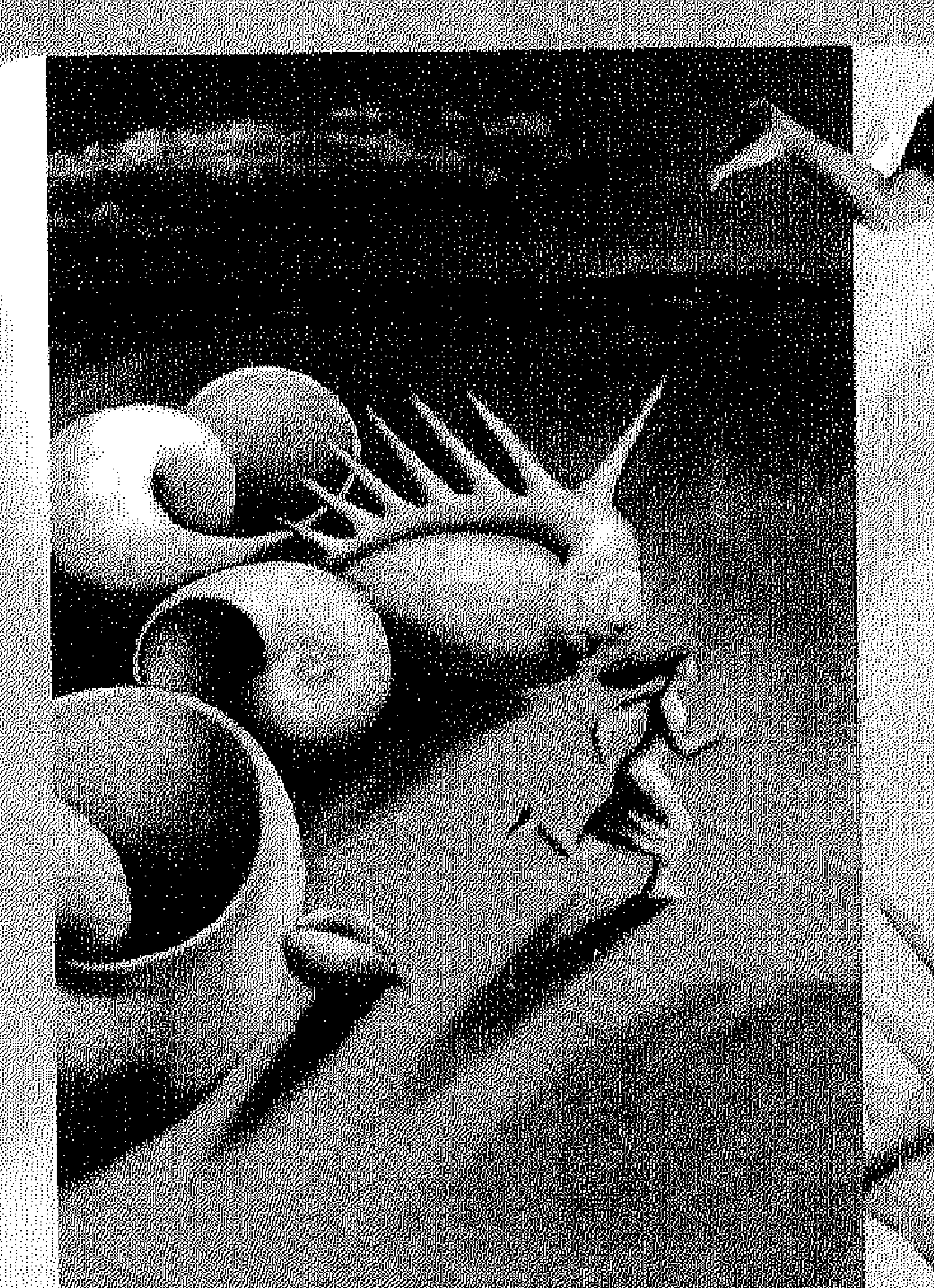
كتاب العربي ٧١

AL ARABI

البحث عن آفاق أرحب

مختارات من القصة الكويتية المعاصرة

إعداد وتقديم: د. مرسل فالح العجمي



إهـــــــداء ٢٠٠٨

الأستاذ الدكتور / خالد عزب

الإسكندرية

كتاب العربي ٧١
AL ARABI

البحث عن آفاق أرحب

مختارات من القصة الكويتية المعاصرة

إعداد وتقديم: د. مرسل فالح العجمي

كتاب العربي
AL ARABI

سلسلة فصلية تقدم مجموعة من المقالات والموضوعات لكاتب واحد أو موضوعا واحدا تتناوله عدة أقلام.

رئيس التحرير

د. سليمان العسكري

عنوان الكتاب: البحث عن آفاق أرحب
مختارات من القصة الكويتية المعاصرة
إعداد وتقديم: د. مرسل فالح العجمي

الناشر: وزارة الاعلام - مجلة «العربي»
الطبعة الأولى: ١٥ يناير ٢٠٠٨
رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية:
Depository Number: 2007 /444
ردمك: ٢ - ٣٣ - ٣٨ - ٩٩٩٠٦ - ٩٧٨ ISBN:978 - 99906-38-33-2

العنوان: ص.ب: ٧٤٨ الصفاة - الكويت - الرمز البريدي: ١٣٠٠٨
بنيد القار - قطعة ١ شارع ٤٧ - قسيمة ٣

Al -Arabi Book, 71 th
Looking For Wider Horizons
Modern Short Stories Form Kuwait
15 Jan . 2008
Publisher: Ministry of Information
AL-Arabi Magazine.

E. mail: alarabimag@alarabimag . net

الرسوم للفنان : محمد حجي
تصميم الكتاب : حافظ فاروق



إهداء

إلى مجلة العربي في يوبيلها الذهبي،
عرفانًا بدورها الثقافي الرائد،
وتقديرًا لاهتمامها بالقصة العربية،
وتحية لإصدارها هذه المختارات.

د. مرسل فالح العجمي

ثلاث ملاحظات:

● سيلاحظ القارئ أني فصّلت الحديث - إلى حد ما- عن الرواد وجيل البعثة، بينما أوجزت، إلى حد بعيد، في الحديث عن جيل الستينيات والجيل الرابع. ومرد هذا يكمن في ندرة الدراسات عن الفريق الأول، وكثرتها عن الفريق الثاني.

● أوردت الاقتباسات، التي ترد في التمهيد، والتي أخذت من قصص توجد في المختارات، خلوا من التوثيق، ثقة مني بأن القارئ سيرجع إلى القصة في مكانها المحدد.

●أضفت إلى هذه المختارات، ثبتا بالمجموعات القصصية، وقائمة بمصادر ومراجع القصة القصيرة في الكويت.

القصة الكويتية .. التطور والتجديد

د. مرسل فالح العجمي *

ما القصة القصيرة؟ يصعب تقديم تعريف مانع جامع قاطع للقصة القصيرة، نظرا لتعدد التعريفات التي قدمها المبدعون والنقاد (١). ولتلافي صعوبة التعريف، سيتم التركيز على بعض المعايير التي تميز القصة القصيرة عن شقيقتها الكبرى: الرواية. وقبل الحديث عن هذه المعايير ينبغي التمييز بين «القص» بوصفه فعلاً سرديًا شاملاً في التجربة الإنسانية، والقصة القصيرة بصفتها جنسًا أدبيًا محددًا في الكتابة الإبداعية. فالقص ممارسة إنسانية قديمة قدم الأساطير، والقصة القصيرة حديثة لأنها ابنة القرن التاسع عشر. والقص شامل شمول الحكي في الحياة الإنسانية، والقصة القصيرة مقيدة بشروط جنسها الأدبي المحدد. والقص فعل سردي يتمظهر في تجليات مختلفة عبر الحقب البشرية، كما في الملحمة، والمسرح الكلاسي، والمقامة العربية، والسرود العربية القديمة. والقصة القصيرة جنس أدبي محدد ظهر في القرن التاسع عشر. وهكذا فإذا كان القص- هنا بمعنى السرد- هو المطلق، فإن القصة القصيرة، هي إحدى تجليات السرد في صياغة محددة.

ظهرت القصة القصيرة - بوصفها جنسًا أدبيًا - على صفحات المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية في أوربا القرن التاسع عشر، وقد أصّلها في جمهورية الأدب ثلاثة كتاب هم: الفرنسي موباسان، والروسي تشيخوف، والأمريكي إدجار ألن بو.

وعند النظر في المقولات النقدية التي نظّرت لهذا الجنس الأدبي الجديد، ومتابعة الكتابات الإبداعية التي رسخته في المشهد الأدبي. يمكن أن نحدد القصة القصيرة استنادا إلى ثلاثة معايير؛ الأول يتعلق بحجم النص المكتوب

---

* أستاذ النقد الأدبي - جامعة الكويت

والزمن المستغرق في قراءة ذلك النص، فهناك من النقاد من يقول إن حجم القصة ينبغي أن يأتي في عدد قليل من الصفحات؛ قد تكون صفحة واحدة (كما فـي القصة القصيرة جدا)، وقد تمتد إلى ثلاثين صفحة. وهناك من النقاد من يعتمد الزمن المستغرق في القراءة، فيشترط في القصة القصيرة أن تقرأ في جلسـة قرائيـة واحدة. وهنا يبرز الفـرق الجوهري الأول بين القصـة القصيـرة والرواية. إن الرواية لا يمكن أن تقرأ في جلسـة واحدة مهما امتدت هذه الجلسـة، وذلك لأن القارئ سـيعجز عن متابعة تطورات الرواية متابعـة محايثة حقيقية نتيجة للإرهاق الذهني من جانب ولتداخل الأحداث الروائية من جانب آخر. يرتبط المعيار الثاني بالتجربة المقدمة في القصة القصيـرة، حيث يتم التركيز على لحظة معينة في حياة شـخصية واحدة، أو لقطة واحدة من مشـاهد إحدى المدن، أو جزئية مكثفة لظاهرة اجتماعيـة. إن هذا التركيز الذي يجعـل القصة القصيرة تتمحور إما حول شخصية واحدة، أو لقطة واحدة، أو جزئية محددة، يميز القصة القصيرة- مرة أخـرى- عن الروايـة، لأن الأخيرة تحاول أن تقدم صـورة بانورامية، ووصفا تفصيليا يتمحور إما حول التجربة الذاتية لشخصية روائية، (الحي اللاتيني). وإمـا حول مدينة من المدن في ظـرف تاريخي خاص (كوابيس بيـروت). وإما حـول مجموعة إثنية معينة (المجـوس). ومن هنا فإذا كانت الرواية تجنح نحو التشـعب والتفصيل، فإن القصة القصيرة تعتمد التركيز والإيجـاز. ينبثق المعيار الثالث من اللغة المسـتخدمة في القصة القصيرة. فبعد الحديث عن المعيارين السابقين، سيكون من المتوقع أن تأتي لغة القصة القصيرة مركزة ومكثفة وشعرية في بعض الأحيان. إن كاتب الرواية مطالب بـأن يؤثث عالمه الروائي بعناصره السـردية المختلفة، وهو في هذا التأثيث يحتـاج إلى لغة وصفية وتحليلية سـجالية في بعض الأحيان، ومع أن بعض الروايات قد تظهر فيها مقاطع تكثف فيها اللغة الروائية إلى حدود الشعر، كما في بعض مقاطع «موسـم الهجرة إلى الشـمال» و «خطوة في الحلم»، فإن هـذه المقاطع تبدو قليلة من حيث الكم، واسـتثناء من حيث الوظيفة. على النقيض من هذا يبدو التكثيف اللغوي، مكونا أساسـيا في بنية القصة القصيرة، وإلا تعرضت بنيتها السردية للتشتت وفقدان التأثير.

استنادا إلى هذه المعايير الثلاثة: الحجم الصغير، وتركيز التجربة، وتكثيف اللغة يمكن أن نحدد- ولا نعرّف- القصة القصيرة بأنها نص نثري قصير يقدم تجربة إنسانية تتمحور حول لحظة من لحظات شخصية سردية، في سياق اجتماعي محدود، عبر لغة مكثفة.

- ٢ -

جيل الرواد

ظهرت القصة القصيرة في الكويت، عندما توافرت لها الشروط الموضوعية التي هيأت المناخ الأدبي لقبول هذا الجنس الجديد من ناحية، ولاستثمار إمكاناته في الدعوة الإصلاحية من ناحية أخرى. وقد ساهم مجموعة من الرواد في توفير هذه الشروط الموضوعية، والتي تمثلت في نشر التعليم، وتأسيس المكتبة الأهلية، وإنشاء النادي الأدبي، والاشتراك في المجلات العربية. ومع أن هذه الأمور قد تبدو للقارئ الذي يعيش في الكويت في مطلع الألفية الثالثة، أمورا بسيطة، فإنها كانت تبدو لمن كان يعيش في الكويت في مطلع القرن العشرين أمورا بالغة الأهمية في تنوير المجتمع، ونشر دعوات الإصلاح. وقد قدّم لنا المؤرخ الفذ عبد العزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» صورة نابضة بالحياة عن الصراع الفكري الشديد بين أولئك الرواد وبعض مجايليهم الذين كانوا يرون في أي انفتاح على الجديد نوعا من الكفر والزندقة (٢). ففي ذلك الكتاب ميّز الرشيد بين مرحلتين فكريتين عاشتهما الكويت، بدأت الأولى منذ قيام الكويت إلى مطلع القرن العشرين، ثم جاءت الثانية مع الربع الأول من القرن نفسه. ومع أن الفترة الأولى شهدت بعض الحراك الثقافي (٣) وظهور بعض الشعراء، وبعض العلماء الأفاضل مثل الشيخ عبد الله خلف الدحيان، فإن السياق الاجتماعي العام، كان مغرقا في التقليدية، ونافرا عن أي تجديد، ويكفي أن نذكر أن قراءة الصحف والمجلات العربية، إضافة إلى التعليم والتعلم في المدارس شبه النظامية، وتدريس اللغة الإنجليزية، كان يعد عند بعض رجال الدين من الكفريات والمروق عن الدين. ويعد عبد العزيز العلجي، أبرز ممثل لهذا التيار، الذي كان يعارض أي مظهر من مظاهر التجديد والتحديث، وبلغ من تطرف العلجي أنه كان يكفر من يقرأ المجلات المصرية،

ويعارض إنشاء المدارس الحديثة، ويرى أن محمد عبده وتلميذه رشيد رضا من الزنادقة المهرطقين.

في مواجهة هذا التعصب والتطرف والانغلاق، برز جيل جديد يدعو إلى الانفتاح على العلوم الحديثة، وإلى النهوض بالمجتمع من الجهل وسيطرة المشعوذين. وقد وصف عبد العزيز الرشيد ما طرأ على الحياة الفكرية في الربع الأول من القرن العشرين «بالانقلاب المدهش»، وذكر أن وراء هذه النهضة أربعة أسباب هي:

- تأسيس المدارس شبه النظامية: المباركية (١٩١١)، والأحمدية (١٩٢١).

- ظهور جيل شاب متعلم، أسس لأول مرة جمعيات أدبية منظمة مثل الجمعية الخيرية (١٩١٣)، والمكتبة الأهلية (١٩٢٢)، والنادي الأدبي (١٩٢٤).

- الاطلاع على الصحف والمجلات لاسيما المصرية منها، فعبر هذه المجلات تواصل مثقفو الكويت مع ما يدور في العالم العربي من أحداث سياسية وتيارات أدبية.

- الزيارات التي قام بها بعض رموز الثقافة والسياسة للكويت، حيث حفزت تلك الزيارات، بما كانت تثيره من نقاشات وخطب ومحاضرات، جدلاً فكريًا داخل الكويت، وممن زار الكويت في تلك الفترة عبد العزيز الثعالبي، ورشيد رضا.

وإذا كان عبد العزيز العلجي، داعية الانغلاق وصوت التعصب، فإن عبد العزيز الرشيد كان داعية التجديد وصوت التسامح، وبالرغم مما في كلام الرشيد من تفاؤل بهذا «الانقلاب المدهش»، فإن صوت التعصب والانغلاق لم يغب عن الساحة الاجتماعية، بل ظل حاضرًا ونافذًا في المجتمع، وقويا في الممارسة إلى حد فرض فيه المناهج المدرسية في المدرسة «المباركية»، مما دفع أصحاب التجديد إلى تأسيس المدرسة الأحمدية ليضعوا لها المناهج العصرية الجديدة، التي تتضمن تدريس اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة (٤).

في سبيل إيجاد صوت مؤثر وفعال، يقدم وجهة نظر هذا الجيل الجديد،

ويقاوم صوت الانغلاق والتشدد، أقدم عبد العزيز الرشيد، مدعوما بمجايليه من الرواد، على تحقيق أعظم إنجاز في تلك الفترة، وذلك عندما أصدر في عام ١٩٢٨ «مجلة الكويت «لتكون أول مجلة تصدر في الخليج العربي. ويبدو أن ثمة غايتين وراء إصداره تلك المجلة، الأولى تتمثل في إيجاد قناة يعبر من خلالها جيل الرواد عن دعوتهم الإصلاحية في شتى المناحي: الاجتماعية والدينية والوطنية. والثانية تتمثل في إتاحة الفرصة أمام أدباء الكويت في نشر أعمالهم الأدبية ومقالاتهم الثقافية. وقد نجح الرشيد في غايتيه تماما، وذلك عندما استطاع أن ينشر عددًا وافرًا من المقالات التي تدعو إلى الإصلاح وتحارب الجهل والتجهيل، وترفض الانغلاق والتشدد. ومن جهة أخرى ظهر على صفحات تلك المجلة الكثير من القصائد الشعرية، والمناقشات الأدبية، والتراجم لبعض أدباء الكويت والخليج، ثم جاءت المفاجأة الكبيرة، عندما نشر الشاعر المعروف خالد الفرج، قصته الأولى، وأول قصة كويتية في هذه المجلة، وقد كانت إشارة الرشيد إلى هذه القصة، وترحيبه الحار بها علامة على إيمانه بالدور الذي يمكن أن تلعبه القصة القصيرة في الدعوة الإصلاحية، لاسيما أن القصة كانت تعبر عن آراء الرواد في محاربة التجهيل خير تعبير.

وهكذا «ولدت القصة القصيرة في الكويت في حضن الصحافة، ففي الجزء ٦ و٧ المجلد الثاني من مجلة الكويت، لشهري جمادى الآخر ورجب من العام ١٣٤٨ هـ، الموافق نوفمبر وديسمبر من العام ١٩٢٩، نشر الشاعر والكاتب خالد الفرج قصة بعنوان «منيرة»، وهي أول قصة تنشر لكاتب كويتي، وبذلك عد كاتبها الرائد الأول للقصة القصيرة في الكويت، بل وفي الخليج العربي». (الوقيان ص ١٤٢)

ويلفت الانتباه في قصة «منيرة»، عدة أمور:

- تتعالق هذه القصة، في موقفها الفكري، مع الدعوة الإصلاحية لمجلة الكويت، والتي تحارب الجهل والتجهيل لجماهير الناس، عن طريق إيهامهم بكرامات بعض الدجالين. إن مأساة منيرة تتمثل في تصديقها لما يشاع عن أولئك المشعوذين من كرامات وخوارق. ومن هنا لا غرو أن يرحب الرشيد بهذه القصة ترحيبا حارا.

- عندمـا تعقد البطولة في أول قصة كويتية لامـرأة، فإن هذه البطولة تتعالـق- مرة أخرى- مع ما كان يدور في السـاحة الفكريـة العربية على مستويين: الأول أدبي تتجاوب فيه «منيرة» مع «زينب» (٥) ، وفي هذا توكيد على أن البطلة لا تمثل نفسـها على سبيل الحصر، وإنما تعبر- إضافة إلى مأسـاتها الخاصة- عن قضية المرأة في سـياقها الاجتماعي الكلي. الثاني اجتماعـي يتمثل في أن تدهور وضعية المرأة لا يؤثر في المرأة فحسـب، بل تتسـحب آثاره لتمس الوضعية الاجتماعية بصورة شاملة. وفي هذه المسألة تقترب مقـولات القصة الفكرية من مقولات قاسـم أمين عن تأثير تدهور وضعية المرأة على المجتمع.

- تنهـض هـذه القصة على ثنائيـات حادة متناقضـة، أولها ما يلاحظ من تناقض وتضاد بين جمال «منيرة» الجسـدي، وقبحها العقلي. وإذا كان الجمـال معطى ناجزا من الخالق، فإن القبح العقلي نتاج تنشـئة اجتماعية خاطئـة. لنلاحظ كيف رسـم المؤلف هـذه الثنائية، بلغة إيحائية شـديدة الإيجـاز والتكثيـف، فمنيرة من جانب هـي «ما حاول الشـاعر في غزله ونسـيبه، والمصور في ريشـته، والنحات في إزميله أن يعبروا عنه فعجزوا، وأتى الخالق القدير، فأبرزه في جسـم بشـري حي اسمه منيرة». وهي من جانب آخر «ذلك الجسـم الكامل الجميل يضم بين جوانحه قلبًا سـاذجًا، ودماغًـا مملوءًا بأنـواع الخرافات، وأصناف الأباطيـل والترهات، وعميق الإيمان بأحاديث العجائز الإماء، سـريع التصديق، سـريع الانقياد. ومنيرة كسائر أترابها أمية مكسـال خرقاء، شغوف بالزينة والتبرج... نشأت وهي تسـمع حكايات الجان والشـياطين، وكرامات الأولياء الصالحين، وخوارق الزار».

إن هذه الثنائية، تؤكد على تشويه ذلك الجمال الرباني، عندما جعل عقل منيرة مرتعـا «للخرافات» و«الأباطيل» و«الترهـات». وتؤكد مرة ثانية على شـمول هذه التنشـئة الجاهلة في المجتمع، وفي هذه الحالة، فإن التشويه لا يقتصـر على منيرة فقط، وإنما يشـمل جميع مجايليها من النسـاء كما تكشـف هذه الجملة «ومنيرة كسـائر أترابها». إن منيرة هنا ليسـت حالة فردية فحسب، بل هي أيضا شخصية تمثيلية «لأترابها» في ذلك الزمان.

الثنائية الثانيــة تتمثل في التضاد بين الواقع الفعلــي والإيحاء الرمزي، وفي ســبيل تفهم هذه الثنائية، ينبغي أن أقدم تطورات القصة في مفاصلها الأساسية: جاءت القصة في أربعة أقسام يتوفر كل قسم على تصوير مرحلة من مراحل تجربة منيرة. القســم الأول يقدم لنا منيرة بوصفها رمزًا للمرأة في المجتمع، ثم بوصفها زوجة لابن عمها عبد القادر. يصور القســم الثاني بدايــة توتر العلاقة بين الزوجين، ومرد هــذا التوتر عدم إنجاب منيرة بعد مرور ست ســنوات من الزواج. وبينما يحمل الزوج زوجته المسئولية، متهما إياها بالعقم، تحمل الزوجة زوجها مسئولية عدم الإنجاب، لأنه - كما تقول أم صالــح - «عصري ملحد، لا يعتبر الأوليــاء، ولا ينذر للقبور». عند هذا الحد، ســاءت الأمور بين الزوجين إلى حد بعيــد، وذلك عندما قرر الزوج، أن يتزوج امرأة ثانية، وأمر زوجته أن تكف عن زيارة المشــعوذين، لاسيما أم صالــح. ولكن الزوجة، قابلت أم صالح، في غياب زوجها، وطلبت منها حلاً لهذا التهديد. في القســم الثالث تنجــح أم صالح في إقناع منيرة بالذهاب إلى «الولي الأبكم»: الشــيخ معروف الموجــود في غابة بعيدة، عند منتصف الليل. وعندما أبدت منيرة الخوف من أن يكتشف زوجها أمر ذهابها، قالت أم صالــح بثقــة «إنك لن تعودي مــن عتبة حضرة الولــي، إلا وقلبه بيدك تصرفينه كما تشــائين، وســترينه غدًا كالخروف الوديع يصدقك في كل ما تقولــين». وحرصًا من منيرة على مجوهراتها، أخذتها معها تلك الليلة. جاء القســم الرابع يصور ليلة ذهــاب منيرة إلى مكان الولــي الأبكم في غابته البعيــدة «وهكذا نفذت الخطة، وخرجت الجوهــرة من صدفتها. والواقف في ذلــك الظلام يرى امرأتين خرجتا من المســجد في طريــق رأس البر، إحداهما منيــرة، وما كادت تصل إلى الحمير إلا وقد أخذ الإعياء منها كل مأخذ.. وازداد التعب بمنيرة فاضطرت أن تخفف حملها، فسلمت حقيبتها للشــيخة أم صالح، فأركبتها حمارًا وامتطت الآخــر، وبعد لأي وصلتا إلى طرف الغابة، فنزلتا ودخلتا بين أدغال الأشــجار وأوحال المستنقعات، وكأن الظلام فنان جهنمي يأخذ أشباح الأشجار فيصورها بإزميله بصور شياطين ومــردة تتخيلها منيرة المســكينة فترتجف خوفًا وهلعًــا، وتزيدها أصوات السباع وفحيح الأفاعي والحشرات هولاً على هول ورعبًا على رعب». وبعد

أن وصلـت إلى مكان الولي، طلب منها أحـد الدراويش، أن تتطهر وتنتظر حتى تُدعـى لمقابلة الولي الصالح. ولكن انتظارها طال وامتد إلى شـروق الشـمس، وعندما خرجت لم تجد أحدا، وعرفت الحقيقة، واكتشـفت أنها سُـرقت وخدعت. مملوءة بالرعب، ومفجوعة بالخديعة، وخائفة من الزوج والفضيحة، يئسـت من الحياة، فرمت بنفسـها في البحر. ويختتم القسـم الأخير بهذه الكلمـات: «ولو كنت واقفا أمام ذلك المنظر المؤلم لرأيت كلاب البحر وكوسجاته يتسابحن بسرعة. وهكذا كانت الخاتمة».

لقد «انتحرت» - أو قل قتلت - منيرة لجهلها وسـرعة تصديقها لما يقال عن كرامة الأولياء، ونتيجة لتجاهل زوجها مأساتها، ونتيجة لخدعة أم صالح ووليها الشـيخ معـروف. ولقد وضعت كلمة انتحرت بين قوسـين صغيرين تعبيرا عن التحفظ على هذه الخاتمة، سـواء على مستوى تنامي الأحداث، أو على مستوى تصرفات الشخصية القصصية. إن هذا «الانتحار» يعود بنا إلى ثنائية الواقع الفعلي والإيحاء الرمزي. فمن المعروف على مستوى الواقع الفعلي- في الكويت قديما وحديثا- أنه يوجد بعض المشـعوذين والدجالين، الذين يسـتغلون مصائب الناس، ويعدونهم بالشفاء من معضلاتهم، بالكذب والخداع. ومن المعروف أيضا على المسـتوى الواقع الفعلي أن الكويت تخلو- قديما وحديثا- من الغابات التي تملؤها فحيح الأفاعي وأصوات السـباع. ومن المعروف - مرة أخيرة - أن الانتحار بين المسلمين- بصورة عامة- أمر نادر الحدوث، وأنه في كويت مطلع القرن العشـرين سيكون أشد ندرة. لكل ما تقدم سـتبدو الغابة في نهاية القصة، والإقدام على الانتحار، مسـألتين بعيدتين عن الواقع الفعلي والتاريخي. وهذا ما جعل سليمان الشطي يصف الانتحار بأنه «من بقايا التكوين الثقافي أكثر من كونه تصورا نابعا من داخل الأحداث «(مدخل القصة القصيرة ص ٣٢). ويصف جو الغابة بأنه «غريب تماما عن البيئة، رسمه خياله المحض «(ص ٥٢). وأنا أتفق مع سليمان في التوصيف، وأختلف معه في التأويل. فلا شك أن المؤلف يعرف غياب الغابة عـن الكويت، ويعرف صعوبة الإقدام على الانتحار، ولكنه أصر على رسـم هذه النهاية «بخياله المحض» كي يشير عن طريق الإيحاء الرمزي إلى ظلام الشعوذة وخطورة من يمارسها على المجتمع من جانب، وإلى ضياع من يقبل

مــن هؤلاء المشــعوذين وعودهم بالخلاص. وهكذا تبــدو الغاية في النهاية تحذيرا رمزيا «إنشــائيا» من الوقوع في شرك المشــعوذين، ويبدو الانتحار نتيجة منطقية لمن يؤمن بالأولياء الزائفين. وعلى ضوء هذا التأويل، تكتسب الكلمــات الأخيرة في القصة دلالات جديدة، فهــل «كلاب البحر» هي تلك الحيوانات البحرية، أم هي أم صالح ووليها الأبكم المزيف.

إن قصة «منيرة»، تبدأ بفتاة رائعة الجمال في جو شديد الإشراق. وتنتهي بامــرأة محطمة تلوذ بالانتحــار للخلاص، وما بين البدايــة والنهاية تكمن رسالة القصة التي تدعو إلى تكامل الجمال الخارجي مع الجمال الداخلي، وأولــى خطوات هذا التكامــل محاربة الجهل عن طريــق التعلم، ومحاربة الشــعوذة بالتنوير. وهذا أمر يتطلع فيه المؤلف إلى المستقبل، أما الحاضر- حاضر القصة - فالجهل طاغ، والتجهيل مســيطر. لقد بدأ التنوير خطواته الأولى مع المجلة التي نشرت فيها هذه القصة، ومع هذه القصة التي جاءت ناضجة إلى حد بعيد، عندما نضعها في ســياق القصة العربية البازغة في ذلك الزمان.

جيل البعثة

صــدر العدد الأخير من مجلــة الكويت في مارس للعــام ١٩٣٠. وهكذا انطفأت شــمعة الصحافــة الأولى في الكويت. وبعد ســتة أعوام تعرضت الكويت لأزمة اقتصادية خانقة، أدى إلى حدوثها ســببان؛ الأول: اكتشــاف زراعــة اللؤلؤ في اليابان، الأمر الذي ضــرب صناعة الغوص في الصميم، والثاني: الحصار الاقتصــادي الذي فرضه الملك عبد العزيز على البضائع المصــدرة مــن الكويت إلى الأراضي الســعودية، الأمر الــذي ضرب حركة التجارة. وقد أدى هذان الســببان إلى إفلاس كثير من التجار، مما أفضى إلى نقص شديد في توفير الالتزامات المالية المرصودة للمدرستين؛ المباركية والأحمدية. وقد كاد أن يؤدي هذا النقص إلى إغلاق تينك المدرســتين، لولا أن تنــادي مجموعة من رجالات الكويت الأغنيــاء لحل هذه الضائقة؛ وقد تمثــل الحل في الطلب من أمير البلاد أن يرفع نســبة الضرائب من ٤،٥ ٪ إلى ٥ ٪، على أن ينفق هذا النصف على الحركة التعليمية في البلاد، وبعد أن تمــت الموافقة على هذا الاقتراح، أنشــئ مجلس المعــارف الذي أصبح

مسئولا عن الإشراف على التعليم (٦)، وبعد مرور عام على قيام مجلس المعارف، تضاعفت أعداد المدارس من مدرستين إلى عشر، كما فتحت في العام ١٩٣٧ أول مدرسة للبنات على الرغم من معارضة بعض رجال الدين الشديدة. وفي العام ١٩٣٩، أرسلت أول بعثة طلابية إلى مصر، وكانت تضم أربعة طلاب فقط، من بينهم عبد العزيز حسين، الذي سيقوم بدور مهم في التعليم والثقافة في سنين لاحقة. ثم أرسلت البعثة الثانية في العام ١٩٤٣، وكان أعضاؤها هذه المرة سبعة عشر طالبا. وتزايد عدد أعضاء البعثة الثالثة، التي أرسلت في العام ١٩٤٥ ليصل إلى خمسين طالبا. ونظرا لتزايد أعداد الطلبة في مصر، ولتوفير جهاز إداري يتولى الإشراف والمتابعة، تقرر إنشاء «بيت الكويت» في القاهرة، لتحقيق هدفين متداخلين؛ الأول: متابعة تحصيل المبتعثين العلمي، والثاني: طمأنة أولياء الأمور في الكويت على أبنائهم المغتربين.

وفي عام ١٩٤٦، أصدر بيت الكويت مجلة «البعثة» التي ظهر على صفحاتها صوت جيل جديد يمكن أن نطلق عليه «جيل البعثة «وذلك لأن تلك المجلة «بمجلداتها الثمانية، وأعدادها التي توالت على مدى ثمانية أعوام متصلة، أصبحت رمزا لجيل كامل من الرعيل الأول من أبناء الكويت، الذين وضعوا وطنهم منذ إشراقة الأمل، وبشريات النهضة على طريق الانفتاح الحضاري، والتنوير الثقافي، والإطلالة الرائدة على العالم لتوثيق صلات أبناء الكويت الفتية بأشقائهم من الشعوب والأقطار العربية والإسلامية في أنحاء المعمورة من ناحية، وبكثير من معطيات العصر في دول أخرى كان لها فضل السبق في ارتياد آفاق حضارية وعلمية وثقافية واجتماعية، من ناحية أخرى»(٧).

وتتمثل أهمية مجلة البعثة في عدة أمور:

- تشكّل على صفحات هذه المجلة خطاب جديد، يعبر عن جيل جديد، يمكن أن يطلق عليه «جيل البعثة»، الذي أسهم في تأصيل النهضة الفكرية والثقافية، كتابة على صفحات مجلة البعثة، وفعلا في فترة لاحقة، وتكفي الإشارة هنا إلى أسماء عبد العزيز حسين، وأحمد العدواني، وحمد الرجيب، وعبد الله زكريا الأنصاري، للدلالة على عمق إسهام هذا الجيل في الثقافة

الكويتية المعاصرة، بالمعنى الشامل لكلمة الثقافة.

- استقطبت المجلة، كتابا من طلاب البعثة، وكتابا من الكويت، وكتابا من العالم العربي، وقد أدى هذا إلى انفتاح على الثقافة المعاصرة من حيث الأفكار، وإلى نضج كبير في الدعوات الإصلاحية والتجديدية من حيث الخطاب، وإلى نقاشات ساخنة بين أطراف متباينة - في الكويت- من حيث المواقف الفكرية.

- أسهمت المجلة في بعث القصة القصيرة من جديد، حيث نشر على صفحاتها أربع وستون قصة قصيرة، تعكس مضامينها الرغبة الإصلاحية لدى أفراد هذا الجيل. فبينما نجد فاضل خلف يركز اهتمامه على العلاقات الأسرية داخل المنزل الكويتي، ويصور ما تعانيه المرأة من اضطهاد في ظل هذه العلاقات، نلاحظ أن فهد الدويري يركز على الإصلاح الاجتماعي الشامل، كما تصور هذا الموقف قصة «زكاة». ومن جانب آخر نصادف عند جاسم القطامي اهتماما بوضعية البحار وما يتعرض له من ظلم جراء العلاقات الاقتصادية السائدة، ومن هنا جاءت قصصه تحمل عناوين دالة على هذا الاهتمام: «يوميات بحار»، «زواج بحار» و«نهاية بحار».

- أتاحت هذه المجلة، ظهور أقلام نسائية ضمن هذا الجيل، وإن كانت «خواطر طفلة» تبدو بعيدة عن القصة القصيرة، و«نزهة فريد وليلى» صورة قلمية تتحاشى الدخول في الواقع الاجتماعي، فإن «الانتقام الرهيب»، اقتحمت موضوعة القهر الاجتماعي الذي يمارس ضد المرأة في مجتمع ذكوري، بشجاعة نادرة، وبفنية ناضجة بمقاييس زمن نشر القصة. لقد قدمت «الانتقام الرهيب» الكلمة الأولى في موضوعة «قهر الأنثى في المجتمع الذكوري» (٨)، بشجاعة أدبية لافتة، وفنية قصصية ناضجة تتقاصر عنها كتابات بعض قصص الأجيال اللاحقة.

- شجعت مجلة البعثة الآخرين، لإصدار مجلات داخل الكويت. فصدرت مجلة «كاظمة» في ١٩٤٨، و«الرائد» في ١٩٥٢. وعندما احتجبت في عام ١٩٥٤، توالى صدور المجلات في الكويت، لتعكس هذه المرة ما كان يدور في الساحة العربية من تيارات فكرية وسياسية، حيث صدرت مجلة الإرشاد في سنة ١٩٥٦ لتكون صدى لصوت حركة الإخوان المسلمين، في حين صدرت

مجلة الإيمان ١٩٥٧، والشعب ١٩٥٨، معبرة عن الأفكار القومية، وأخيرا صدرت مجلة الفجر في عام ١٩٥٧ ، لتكون صوت الخريجين الليبرالي.

وإذا كانت مجلة البعثة قد احتجت في عام ١٩٥٤ بعد أن أدت دورها على أكمل وجه، فإن الصحافة الوليدة تعرضت للقمع والمنع عن الصدور في عام ١٩٥٩ لأسباب سياسية (٩). وعندما عادت الصحافة بعد الاستقلال، وبعد قيام الدولة المستقلة كفّ معظم كتاب جيل البعثة عن الكتابة، وأظن أن وراء هذا التوقف أسبابًا نفسية والتزامات جديدة. فعلى المستوى النفسي تحقق الكثير مما كان يدعو إليه هذا الجيل، لاسيما على المستوى الاجتماعي والتعليمي، وللتدليل على هذا، يكفي أن نقارن بين ما كان يدعو إليه فهد الدويري في سلسلة طويلة من المقالات وضعها تحت هذا العنوان الدال: «الضمان الاجتماعي» ونشرها مسلسلة في مجلة الرائد ما بين مارس حتى أكتوبر من عام ١٩٥٢؛ وبين ما تحقق بعد الاستقلال من رعاية اجتماعية وتعليمية وصحية تجاوزت أقصى طموحات الدويري في تلك المقالات. أما الالتزامات الجديدة، فتتمثل في أن كثيرا من رجال جيل البعثة، قد عُيِّن في وزارات الدولة الجديدة، وتولى وظائف إشرافية كبيرة مكنته أن ينفذ في الواقع ما كان ينادي به كتابة. وقد أسهم هذا الجيل إسهاما جذريا في تأصيل النهضة الحديثة في الكويت، ولكن فن القصة القصيرة انتظر قرابة عقد من الزمان ليعود مرة جديدة.

جيل الستينيات

عاصر هذا الجيل جملة من التحولات الجذرية على المستوى السياسي والاجتماعي؛ فعلى المستوى السياسي عايش هذا الجيل استقلال الكويت في ١٩٦١، وقيام مؤسسات الدولة الحديثة من خلال الوزارات المتخصصة. وعاصر انتخابات المجلس التأسيسي وإقرار الدستور في ١٩٦٢، وتابع انتخابات مجلس الأمة الأول التي جرت في عام ١٩٦٣.

لقد نقلت هذه الأحداث السياسية وضعية الكويت من إمارة تخضع للحماية البريطانية إلى دولة مستقلة تنتهج الديمقراطية سبيلا كما يؤكد على هذا الدستور الجديد. أما على المستوى الاجتماعي فقد نقلت الطفرة المادية- التي تزامنت مع الاستقلال- المجتمع الكويتي من مجتمع الفقر

والكفاف إلى مجتمع الوفرة والثروة، وقد صرف جزء كبير من الثروة الجديدة في أوجه الرعاية الاجتماعية والتعليمية والصحية، وأصبحت الدولة مسؤولة عن المواطن- كما قال بعض الظرفاء- من المهد إلى اللحد. هذه المعطيات الجديدة- سياسيا واجتماعيا- احتاجت إلى جيل جديد، عايش هذه التحولات الجديدة، وحاول أن يتلمس طريق الإنسان الكويتي في ظل هذه التغيرات المتسارعة. وهكذا عادت القصة القصيرة بعد عقد من الزمان على يد مجموعة من الكتاب أبرزهم أربعة هم: سليمان الشطي، وسليمان الخليفي، وإسماعيل فهد إسماعيل، وعبد العزيز السريع. ويحسب لهذا الجيل أنه أوصل القصة القصيرة في الكويت إلى قمة النضج الفني في الكتابة القصصية التي أصبحت تضارع المنجز القصصي العربي من ناحية، وتمثل أرضية فنية تتخذ منها الأجيال اللاحقة نقطة انطلاق، وساحة تحد من ناحية أخرى. ويظهر في تجربة هذا الجيل، الممارسات الآتية:

- الوعي النظري بالقصة القصيرة بوصفها جنسًا أدبيًا محددًا، ويظهر هذا الوعي في فترة مبكرة وفي مقدمة سليمان الشطي لمجموعة «الصوت الخافت» والتي كتبت في سنة ١٩٧٠. كما يتجلى ممارسةً في الكتابة القصصية التي يحتشد لها أفراد هذا الجيل احتشادًا كبيرًا يتضح في عنايتهم الشديدة بالصياغة اللغوية، التي جاءوا بها صحيحة من الناحية النحوية، وفصيحة من حيث البلاغة والأسلوب، ومكثفة في السرد.

- تغييب صوت المؤلف الحقيقي المباشر، والاعتماد في تقديم القصة على رسم عوالم قصصية، تنهض على شخصيات تقدم إشكالاتها ومشاكلها بطريقة مباشرة، يعايشها القارئ ويحكم من خلالها على مواقف الشخصيات ومحاور الصراع، ونجاح المؤلف. إن هذا الابتعاد عن المباشرة، وتجسيد العالم القصصي بصورة «حيادية»، يُغيّب فيها صوت المؤلف المباشر، يُكوِّن ملمحًا مشتركا بين أفراد هذا الجيل، وللتمثيل أشير إلى «صناديق» لسليمان الخليفي، و«جمل» لسليمان الشطي، و«الأقفاص واللغة المشتركة» لإسماعيل فهد إسماعيل، و«قطتان» لعبد العزيز السريع.

- قلة إنتاج أفراد هذا الجيل، فعلى مدى أربعة عقود، نشر سليمان الشطي ثلاث مجموعات، ونشر سليمان الخليفي ثلاث مجموعات. بينما

نشر إسماعيل فهد إسماعيل- مجموعتين- في حين نشر عبد العزيز السريع مجموعة واحدة. ومع أننا قد نجد أسبابًا عملية تفسر قلة إنتاج هذا الجيل، كأن نقول إن الكتابة الروائية استغرقت إسماعيل فهد إسماعيل، وأن الحياة الأكاديمية شغلت سليمان الشطي، وأن الاهتمامات المسرحية شاغلت سليمان الخليفي وعبد العزيز السريع، أقول على الرغم من هذه الأسباب العملية، فإن السبب الفني الحقيقي، يكمن- فيما أحسب- في رغبة هذا الجيل في التجريب القصصي، ونفورهم من تقديم المكرر على المستوى الفني والموضوعاتي.

- يظهر التجريب، الفني والموضوعاتي، عند السليمانين: الخليفي والشطي بصورة واضحة، لاسيما في القصص التي تعتمد على شخصيات عاصرت كويت الغوص، وكويت الحقبة النفطية. وخير ما يمثل هذا التجريب، قصة «صناديق» للخليفي وقصة «الهاجس والحطام» للشطي، ففي هاتين القصتين لا يتم استحضار الكويت القديمة لغاية رومانسية تمجيدية وفي لغة إنشائية خطابية، وإنما يتم بعث تلك المرحلة، عبر تصوير قصصي يرتكز على شخصية نامية، تعيش اغترابها في الحقبة النفطية بطريقة مقنعة للقارئ، لأن المؤلف يكتفي برسم الإطار القصصي، الذي تتكشف فيه تطورات حياة الشخصية بصورة تبدو عفوية وتلقائية، لأن المؤلف لا يحدثنا عن الشخصيات وإنما يتركنا نتابع حياة الشخصية وهي تتشكل أمامنا. وفي هذه الحالة سيكون تعاطفنا مع «أبي ماضي» بطل «الهاجس والحطام»، «وأبي جاسم» بطل «الصناديق» منبثقا من «معايشتنا» لهاتين الشخصيتين، وليس استجابة لما يقوله المؤلفان عنهما.

الجيل الرابع

أقصد بالجيل الرابع، الجيل الذي بدأ النشر منذ منتصف السبعينيات، إلى منتصف التسعينيات من القرن العشرين، ويمكن للقارئ الرجوع إلى ملحق ثبت القصة القصيرة، للوقوف على أسماء هذا الجيل، وعلى مجموعاتهم القصصية. ولأن هذا الجيل حظي بدراسات كثيرة، سأتوقف في الإشارة إلى إسهام هذا الجيل وقفة موجزة، تتضمن الملاحظات التالية:

- سجلت المرأة حضورا بارزا في هذا الجيل، فمن بين خمسة عشر

اسما، ظهرت ثمانية أسماء نسائية. إن هذا الحضور النسائي، سيعيد إلى الواجهة قضية الأنثى في المجتمع الذكوري، التي شكلت محورا أساسيا عند كاتبات هذا الجيل، كما يلاحظ في قصص فاطمة العلي، وعالية شعيب، وليلى العثمان، وليلى محمد صالح، ومنى الشافعي.

- توزعت المحاور الموضوعية عند رجال هذا الجيل بين فانتازيا الرفض والتمرد عند محمد مسعود العجمي، ومعاناة الوافدين عند طالب الرفاعي، وصور العنف والموت عند ناصر الظفيري، وثنائية الصحراء والمدينة عند جاسم الشمري، وهموم الطبقة الوسطى عند وليد الرجيب (١٠).

- يتفاوت النضج الفني عند أفراد هذا الجيل تفاوتا كبيرا، فبينما تعكس بعض المجموعات القصصية نضجا فنيا عاليا، يظهر في تمثل كتابها وكاتباتها للمنجز القصصي السابق- كويتيا وعربيا- من ناحية، وفي إصرار هؤلاء الكتاب والكاتبات على تجاوز ذلك المنجز السابق، أو على أقل تقدير في منافسته من جهة ثانية. تعكس مجموعات أخرى ارتكاسا فنيا تعود فيه هذه المجموعات إلى ما قبل مرحلة الستينيات، حيث تعاني هذه المجموعات قصورا شديدا في رسم الشخصيات، ووصف الفضاءات، ومستويات الحوار، إضافة إلى أخطاء لغوية وأسلوبية لا تغتفر من كتاب ينتمون زمنيا لهذا الجيل الرابع، ودفعا للتشهير، ومنعا للمدح، لن أذكر أسماء، ولكني على يقين من أن القارئ المهتم، سيكتشف بعد قراءته هذه المختارات أين يقع الإنجاز، وأين يكمن الإخفاق.

وبقي أن أشير إلى أنه على أعتاب الألفية الثالثة، بدأ جيل جديد من الشباب في نشر قصصهم، ومن الأسماء الواعدة- بعد نشرها لأول مجموعاتها القصصية - تبدو أسماء: استبرق أحمد، وميس العثمان، ومي الشراد. ولعل في حصول باسمة العنزي - إحدى كاتبات هذا الجيل- على جائزة الدولة التشجيعية للقصة القصيرة لعام ٢٠٠٧، دلالة على أمرين: أولهما الاعتراف بكفاءة هذا الجيل، ونضج تجربته الفنية، وثانيهما التوقع والأمل في أن ترتقي القصة القصيرة على يد هذا الجيل إلى آفاق أنضج وأرحب في القادم من الإصدارات.

- ٣ -

تضـم هذه المختارات خمسـا وأربعـين قصة، تغطي فتـرة زمنية تناهز الثمانين عاما، وتشـكل «عينة تمثيلية» للقصـة القصيرة في الكويت، على المستويين: الموضوعاتي، والسردي. وقد رتبت هذه المختارات حسب التوالي التاريخي لنشـر هذه القصص المختارة، فجاءت البداية مع قصة «منيرة»- القصة الأولى في الكويت- والتي نشرت في العام ١٩٢٩. وإذا كانت «منيرة» لا تثير صعوبة من حيث التحديد الزمني، لأنها الأولى في النشـر والوحيدة للمؤلف (١١)، فإننا سنواجه مع جيل البعثة، والأجيال اللاحقة مشكلة كثرة المؤلفين والقصص، وفي وقت لاحق كثرة المجموعات القصصية. وفي سبيل المحافظة علـى الترتيب الزمني لجيل البعثة، اعتمدت تاريخ نشـر القصة الأولى، لـكل كاتب، أما في الأجيال اللاحقة، فقـد اعتمدت تاريخ إصدار المجموعـة الأولى، محـددا لترتيب القصص، بغض النظر عن تاريخ نشـر القصة المختارة.

فـي هذا التمهيد، سـأقف وقفات موجزة، أمام ثلاث مكونات سـردية: الأولى أمام العنوان، والثانية أمام السارد، والثالثة أمام الحوار.

العنوان: عنـد النظر إلى العنوان بصفته العتبـة الأولى للنص من جهة، وبوصفه دالا على شـعرية مقصودة في البنية القصصية، فإنا سـنلاحظ تدرجـا في النضج عند التعامل مع مسـألة العنونة، سـواء على مسـتوى النصية المحاذية (١٢)، التي تشـكل وضعية العنوان بوصفه وسـما للقصة، أو على مسـتوى البنية السـردية، التي يدخل فيها العنـوان باعتباره مكونا أساسـيا من مكونات البناء القصصي. وبالنظر إلى هذين المستويين يمكن أن نحدد الأنواع التالية لعناوين المختارات:

أ- العنوان الناجز: يظهر هذا العنوان في القصص الأولى، كما في قصة «منيرة» و«الشـيخ والعصفـور» و«الانتقام الرهيب» و«أحـلام فتاة»، ويعاود الظهـور في قصص متأخرة كما في «قرنفـل» و«نبضات زوجة معذبة». إن العنوان في هذه الحالة، سـواء أحال إلى اسـم البطلة: «منيرة» و«قرنفل»، أو أحـال إلى نفسـية البطلة: «أحلام فتاة» و«نبضـات زوجة معذبة»، يأتي ناجزا لأنه يكشـف دلالة العنـوان أمام القارئ، قبل شـروعه في القراءة.

فالقــارئ عندما يقف أمام العنوان: «منيرة»، يعرف مباشــرة، أنه ســيقرأ حكاية «منيرة»، أما تأويل دلالة هذا الاســم، وســياق تجربة البطلة، فمهمة سيقوم بها القارئ، استنادا إلى معطيات حكائية لا يتضمنها - أو بتعبير أدق لا يثيرها - العنوان. وكــذا الحال في القصص الأخرى. إن «نبضات زوجة معذبــة» يقدم دالاً لغويًا يكتمل بمدلوله الاجتماعي، قبل أن يشــرع القارئ في قراءة القصة، لأنه قد اكتشف مضمون القصة بصورة مسبقة، وبقي أن يعرف تلك «النبضات» ويكتشف لم تلك الزوجة «معذبة».

ب- العنــوان المفارق: إذا كانت دلالة العنوان الناجــز تكتمل بانغلاق الدال اللغوي (العنوان) على مدلوله الاجتماعي والسردي في أثناء قراءة القصة، فإن العنوان المفارق، لا تكتمل/ تنغلق دلالته بحسب العلاقة بين العنوان والمتن، وإنما يفارق العنوان متنه لينفتح على آفاق أوسع من العنوان والمتن، وللتمثيل سأذكر العناوين التالية: «عثمان... وتقاســيم الزمان» و«رحيل القلوب» و«بقعة لون». ففي حين يشير الشطر الأول من العنوان إلى اسم «عثمان» بطل القصة، يشير الشطر الثاني «تقاسيم الزمان» إلى جميع الشخصيات القصصية التي قررت أن تغــادر وطنها فــي المركبة الفضائية. وهنا يفارق العنوان مدلوله الســردي الذي يتعلق بعثمان والشــخوص الأخرى، ليستوعب جميع الرافضين للوضعية القائمــة في العالم العربي، خارج الفضاء القصصي. أما «رحيل القلوب» فقد جاء من خــارج القصة، ليدل على تأثير مرور الزمن في عواطف الأحبة تجاه بعضهــم بعضا. وهذا التأثير ليس مقصورا على شــخصيات القصة، وإن كان متمحــورا حولها، وإنما يراد له أن يكون عاما ليشــمل جميع الناس/ الأحبة. ومن هنا جاءت صيغة العموم في العنوان. «في بقعة لون» تبدو مفارقة العنوان لمتنــه واضحة منــذ بداية القصة، التي تحيل إلى مــزاد فني بيعت فيه إحدى لوحات الفنان التشــكيلي الهولندي «فان كــوخ» بعد وفاته بملايين الدولارات، بينما عاش حياته فقيرًا بائسًــا. إن هذه البداية، وتأملات البطلة في لوحتها، تحيــل إلى أزمــة الفنان بصورة عامة، ولا تقدم تجربــة ذاتية متفردة. وهكذا يفارق العنوان متنه الخاص، لينفتح على معاناة الفنان بصورة عامة.

ج - العنــوان المكوِّن: في هــذا النوع لا يقف العنوان عند عتبة النص، ولا يشكل مدخلاً استهلاليًا فقط، وإنما يدخل في نسيج القصة بوصفه عنصرا

مكونا وحاسما في تطور حركة السرد من جانب، وفي تحقيق دلالة العنوان مــن جانب آخر. ويظهر هذا النوع في العناوين التالية: «خدر من مســاحة وهمية» (١٣)، و«آهة مرشوشــة بالدم» و«هو والعكاز» و«للموت اشتهاءات» و«رائحــة الامتداد الغامض». ولنأخذ العنوان الأخير، مثالا توضيحيا؛ يبدو هذا العنوان غامضًا وغير محدد عندما نقرأه على رأس القصة، ولكنا وبعد أن نقــرأ القصة، نعرف أن المتن يقدم «حكاية» رجل خدعته زوجته مع رجل آخــر، وخلّفت هذه الخيانة طفلا ينســب إلى الــزوج المخدوع، للانتقام من الرجل المخادع قرر الزوج قتله عن طريق وضع السم في قهوته المسائية. ثم نعرف أيضا أن ابن الرجل المســموم قد انتقم من قاتل أبيه: الزوج المخدوع، وفــي نهاية القصة يُفاجأ الزوج، بهذا الابن يقول له إنه والد طفله، وأنه قد قتــل الرجل الخطأ. بعــد أن نعرف «حكاية» القصة، يمكــن أن نلحظ دور العنــوان التكويني في هذه القصة؛ فالرائحة تتعلق برائحة الابن، والامتداد امتداد الابن بالنســبة للرجــال الثلاثة، والغامض يرتبــط بالمفارقة المؤلمة، والتي تتمثل في أن الزوج المخدوع قد قتل الرجل الخطأ، وأنه قد قُتل على يد الجاني الحقيقي. إن اكتمال دلالة العنوان - في مرحلته الاســتهلالية- تكتمل مع اكتشــاف العالــم القصصي بعد القراءة، وهكــذا يدخل العنوان مكونًا أساسيًا في بنية القصة.

السارد: يعد الســارد (١٤) بنية قصصية تتكفل بتقديم السرد، وتتوسط بين المؤلــف الضمني (١٥) والقــارئ. ويطغى على هــذه المختارات صوت السارد المتخفي: السارد الذي نســمع صوته وهو يحدثنا عن الشخصيات، ويتابع تطورات الحكاية. ولكننا لا نستطيع تحديد مكانه أو دوره في القصة، لأنــه يأتي مفارقًا لما يقص، وقد يكون هذا الســارد كلي المعرفة والحضور؛ أي يعرف كل ما يدور في القصة، حتى دواخل الشخصيات، ويحضر في كل الأمكنة، وقد يكون محايثًا لشخصية من الشخصيات؛ أي يعتمد في معرفته الســردية على شــخصية واحدة. ويلفت الانتباه في هذه المختارات، الغياب شبه الكامل للســارد كلي المعرفة والحضور، حيث لم يظهر هذا السارد إلا فــي ثلاث قصص: «منيرة» و«عندما تجف الجذور» و«رحيل القلوب»، بينما يظهر الســارد المتخفــي المحايث في اثنتين وثلاثين قصة، ويظهر الســارد

الصريح: السارد/ الشخصية الذي يتكلم بضمير المتكلم في تسع قصص.
وبينما تعتمد جميع قصص المختارات على صوت سردي واحد: كلي المعرفة، أو متخف محايث أو صريح، تبدو قصة «ذاتان وحب» متفردة باعتمادها على تناوبية سردية بين صوت سارد صريح يتحدث بلسان رجل، وصوت ساردة صريحة تتحدث بلسان امرأة. ولخصوصية هذه القصة ستكون المثال التوضيحي للسارد الصريح. جاءت هذه القصة في سبع متتاليات تكون سبع لوحات تناوب على تقديم السرد فيها صوتان متمايزان يقدمان موقفين مختلفين أمام تجربة واحدة هي الإحساس بالحب.

تبدأ القصة، في لوحتها الأولى، بصوت السارد/ الشخصية/ الرجل وهو يرحب بحبه الجديد المتمثل في طبيبة عالجته ذات يوم. في اللوحة الثانية يظهر صوت الساردة/ الشخصية/ المحبوبة، وهي تحادث صديقتها عن ذلك الرجل، وعن تحفظها تجاه ما تلحظه منه، وما تحس نحوه من عاطفة. ويلاحظ في السرد عند كلتا الشخصيتين أنه يعتمد على استذكار أحداث ماضية، وعلى مناجاة نفسية داخلية. نتيجة للاندفاع من جانب الرجل، والتحفظ- الذي يصل إلى حد الصد- من جانب المرأة، تبدلت الأحاسيس، وتغيرت المواقف، فبينما بدأ الرجل يخفف من غلواء اندفاعه، بدأت المرأة تكفكف من عنف تحفظها، وعلى مدى اللوحات الثالثة والرابعة والخامسة، يلاحظ القارئ، وهو يتابع مناجيات الشخصيتين، أن ثمة انقلابا في المواقف، قد بدأ يتطور في مواقف الشخصيتين تجاه هذا الحب، فبينما يقرر البطل، الهرب منه، نتيجة لموقف محبوبته، تقرر البطلة - بينها وبين نفسها - قبول الحب، ثم جاءت المفاجأة والانقلاب في اللوحة الأخيرة، وفي أثناء اللقاء الأخير بينهما، فبينما كانت المرأة تهم بأن تعلن له عن حبها، بادرها الرجل بقوله: «لن أستطيع أن أراك مرة أخرى». لقد قدمت هذه القصة عبر تناوبية سردية أتاحت المجال أمام القارئ، ليتابع تحولات هاتين الشخصين أمام هذه العاطفة وهي تعيش ذبذباتها النفسية، ومناجياتها الذهنية، مما جعل القرار النهائي يأتي مسوغا ومنطقيا بالنسبة إلى الشخصيتين. وقد فرض الموضوع لغته الخاصة، حيث كتبت هذه القصة، بلغة تكاد تكون شعرية نظرا لحميمية البوح والمناجاة، وشعرية الموضوع،

ورهافة التحولات.

الحوار: يلاحظ على غالبية قصص المختارات أنها لم تستخدم الحوار، استخدامًا جوهريًا في بناء الحكاية، أو في الكشف عن دواخل الشخصيات، أو في رصد الاختلافات الفكرية بين أبطال العالم السردية. ولكن على الرغم من هذا، فقد ظهر الحوار في ثلاث قصص بوصفه عنصرًا مكونًا من مكونات القصة. وتجدر الإشارة إلى أن كل قصة من هذه القصص قد استخدمت نمطًا معينًا من الحوار، كيما تحقق وظيفة محددة، وهذه الأنماط هي:

- نمط الحوار المستعاد، ويظهر هذا النمط في قصة «خدر من مساحة وهمية». ففي هذه القصة يتم الانتقال بين أزمنة متباينة عبر آلية التذكر عند البطل من ناحية، وعبر محاورات البطل مع الطبيب المعالج من ناحية أخرى. فعبر هاتين الآليتين يتم استعادة حوارات قديمة في زمن السرد الراهن، كما يظهر في الحوار الذي دار بين عبد الحميد- بطل القصة - وقائد مجموعة من المتطرفين الذي حدث في وقت سابق، ولكنه أعيد في واحدة من محاورات عبد الحميد مع طبيبه المعالج، في وقت لاحق، على هذا النحو:

- عبد الحميد: لا أدري كيف البداية.

- قائد المجموعة: نحن ندري طريقنا ونفقه هدفنا.

- عبد الحميد: لا شك أن الهدف واضح منذ زمن طويل، تاريخنا الطويل يكشف درايتنا، ولكن الوسائل تحتاج إلى وقت.

- قائد المجموعة: تذكرونني بحديث مشايخ السلطة، حيث يرفعون أكفهم إلى السماء دون يقين. التذرع بالوسائل حجة الخائف أو العاجز، والوسيلة جزء من العمل، لذلك نفكر بالخطوات العملية.

- عبد الحميد: هذا أمر محفوف بالمخاطر، قد، قد لا ننجح.

- قائد المجموعة: واضح أن العمل عندك ينبع من الشخص لا الفكرة، أنت تفكر بنجاحك لا بنجاح ما تؤمن به. هل تعتقد أننا من اللاعبين، لقد سلمنا أمرنا لله، لذلك جعلنا المخاطر دبر آذاننا.

- عبد الحميد: إن التكتيك الصحيح مرتبط بالإستراتيجية، إن الأفكار

ليست مجردة، ولكنها مجسدة.

– قائد المجموعة: النجاح مرهون بالعمل، يمكن أن نختار أي جزء ونضرب، يجب أن يحسوا بأننا موجودون، ولا كلمة إلا للحق.

– عبد الحميد: وإذا لم ننجح!

– قائد المجموعة: يبقى الحل الآخر والأخير.

– عبد الحميد: الأخير.

– قائد المجموعة: نعم. الاغتيال».

يكشف هذا الحوار عن فروقٍ جوهرية بين عبد الحميد وقائد المجموعة، فبينما يبدو عبد الحميد رجلاً نظريًا، يظهر قائد المجموعة رجلاً عمليًا، ومن هنا جاء التأني والتحفظ من قبل عبد الحميد، والاندفاع والرغبة في العنف من جانب قائد المجموعة. وبينما يظهر عبد الحميد رجل سياسة أو رجل فكر يعمل ضمن الأطر الاجتماعية والقانونية المتاحة والممكنة، في سبيل تحقيق مصالح إنسانية دنيوية، ينطلق قائد المجموعة من نظرة انقلابية وعقيدة دينية تجعل من الممارسة السياسية مهمة دينية مقدسة.

إن هذه الفروق بين الرجلين، تبدو واضحة في هذا الحوار، الذي قدم لنا الاختلافات الفكرية بين الشخصيتين بصورة جلية. وتتمثل وظيفة الحوار في هذا النمط في غايتين؛ الأولى: تصوير الصراع الفكري بين هاتين الشخصيتين المتناقضتين، والثانية: تسويغ مآل البطل: عبد الحميد، الذي تدهورت حالته العقلية حتى شارفت حدود الجنون. ويكمن السبب في هذا التدهور إلى عجزه عن التأثير في قائد المجموعة، ومن معه من الشباب، والذي ظهر في عدم قدرته على منعهم من ارتكاب العنف المسلح.

– نمط الحوار الدرامي: في هذا النمط يقترب الحوار القصصي من حدود الحوار الدرامي المسرحي. وقد اعتمد هذا النمط إسماعيل فهد إسماعيل في كتاباته الروائية، لاسيما «ملف الحادثة ٦٧»، لهذا لن نستغرب أن يظهر هذا النمط في قصة «ملاحظات بائع لعب الأطفال». وتتشابه وظيفة هذا النمط مع وظيفة الحوار المسرحي، وذلك عندما تتوفر بصورة تكاد تكون تامة على الكشف عن دواخل الشخصيات من جانب، وفي تطوير

الخيط الحدثي من جانب آخر. وللتوضيح سأذكر المفتتح الأول للقصة:

«● الســوق المركــزي يزدحــم بالزبائن، وأنــا لا أعرف كيــف أتوزع بين المشترين. مدير السوق قال لي في اليوم الأول لتوظيفي:

- «بائع لعب الأطفال يحتاج إلى ميزتين ضروريتين. الأولى: سعة الصدر، والثانية: دقة الملاحظة. «ثم أوصاني:

- «افتح عينيك على ســعتهما، فهؤلاء الشياطين الصغار يستولون- بكل بساطة- على كل ما يقع تحت أيديهم».

أمــس- وعلى الرغم من انشــغالي بــأب لطفلين - شــاهدت طفلا في السادســة، أســمر، يقف وحيدا، مشــدوها خلف الواجهة الزجاجية، قلت لنفسي «خذ حذرك».

بعــد خروج الزبــون، دخل علــي «حان وقــت العمل». عينــاه عالقتان بوجهي:

- هذه السيارة بكم؟
- بدينار ونصف.
- كثير.
- ما اسمك؟
- ...
- أين أبوك؟
- في الشغل.
- اطلب منه أن يشتريها لك!
- هو لا يشتريها.
- لماذا؟
- ...».

يكشــف هذا المفتتح عن حوارات متداخلة، أولها الحوار/ التحذير الذي قاله المدير، وثانيها المناجيات الداخلية التي تدور في ذهن البائع وهو يرصد الطفــل، وثالثها الحوار بــين البائع والطفل. ويمهد هــذا المفتتح لتطورات الصراع بين البائع والطفل، حيث اســتطاع الطفل، ورغم استنفار البائع أن يســرق اللعبة التي يريد، ليعيدها في اليوم التالي، ليســرق/ يستعير لعبة

غيرها.

إن نجـاح الطفل في «اسـتعارة» أو «سـرقة» اللعبة يكشـف عن أمرين؛ الأول: ذكاء الطفل الصغير وقدرته في مغافلة تحوط الكبار. والثاني: نزاهة الطفولة أو عفويتها والمتمثلة في إعادة اللعبة، وتكرار السرقة الآن، والإعادة لاحقا. لقد جاءت تصرفات الطفل مفاجئة للبائع على المسـتوى الإنساني، وذكية على المسـتوى العملي. ومما عمق إحسـاس القـارئ بتطورات هذه القصة، أنها قدمت بصورة درامية تعتمد على ما يشبه اللقطات السينمائية المتتابعة.

– نمط الحوار الغرائبي: ظهر هذا النمط في قصة «شجرة طويلة وأرنب صغيـر»، وتتمثل وظيفة هذا النمط في تعميق الإحسـاس بغرائبية القصة من جانب، وفي إثارة نوع من المفارقة السـاخرة. وإذا كانت هذه القصة قد تذكر القارئ بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، ورسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، فإنها تختلف عن ذينك الكتابين في أمرين: الأول عدم التركيز علـى الدلالة الرمزيـة للحيوانات، وهنا تختلف عن كليلـة ودمنة، والثاني: غيـاب التهكم الاجتماعي، وهنا تختلف عن الصاهل والشـاحج. ولكن على الرغـم من هذا الاختلاف فهي تتفق مع ذينـك النصين، في أنها تنظر إلى العالم الإنساني من خلال عيون حيوانية، وهنا تكمن المفارقة الساخرة.

تبدأ القصة بسارد كلي المعرفة، يمهد المشهد لظهور بطلي القصة: الأرنب والحمامـة. ومع ما في قصة حب متبادلة بـين الأرنب وحمامة من غرابة، فـإن المؤلف عمق هذه الغرائبية عبر لعبتين. الأولى: لعبة: «أنسـنة» العالم الحيواني، كما يتضح في وصف سكن الأرنب والذي يوجد في جوف شجرة طويلة، يقدم لنا هذا السـكن من الداخل كما يلي: «بيته غرفتا نوم: ماستر، وأخـرى للضيوف بحمام كامل. مطبخ صغير. صالون اسـتقبال، ومصطبة تضم طاولة وكرسـيين قيد الاستعمال». اللعبة الثانية: الحوار الذي يعكس إنسـانية سـاخرة، ولهجة كويتية فكهة. في أحد الأيام، جاءت الحمامة إلى منـزل الأرنب «ووقفت بـإزاء بابه، وصرخت مغالبـة حياءها. ليطل ثبثوب «الأرنب» من شباك النوم، يفرك عينيه:

– هلا عيوني !

واســـتدرك محرجا، وذلك أنها المـــرة الأولى، تقوده عفوية فلا يحترز في تعابيره كما يليق: عفوا فاجأتني.. لعلي كنت أحلم.

- آسفة خذ وقتك ، خشيت أنك غادرت إلى مكان ما .

- فقط أغسل وأفرش أسناني.

- سأنتظرك لنفطر معا . «هلا عيوني-! «جكيتك يا الملعون !»

إن غرائبيـــة هذه القصة، تتمثل في أن المؤلف قد نزل إلى عالم الحيوان، وهو في هذا النزول لا ينظر إلى العالم الإنساني- بغرض النقد أو التهكم- من زاوية رؤية مقلوبة: أي من عالم الحيوان، وإنما جاء هذا النزول لأنه يجد متعة خاصة في هذا «اللعب القصصي» عبر تصوير تلك العلاقة المستحيلة بين الأرنب والحمامة، وعبر تزويق هذا العالم الحيواني- من خلال الحوار- بسمات إنسانية تثير الدهشة وتســـتدعي الضحك، وتبقى الدلالة الرمزية للعلاقة العاطفية بين الحمامة والأرنب، دلالة غامضة، بالنسبة إلى القارئ، وأكاد أقول حتى بالنسبة إلى المؤلف.

هوامش:

(١) للوقوف على هذا التعدد ينظر كتاب:

Short Story ١٩٨٨ ،(Laurie lazen Harris، shella Fitzgerald (editors .Criticism، Cale Research Company. Detriot، Michigan

مــع ملاحظة أن هذا الكتاب قد جاء في عشـــرة مجلدات، تغطي ٥٠٠٠ صفحة.

(٢) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨، (ص ص ٣٤٢- ٣٥٣).

(٣) ينظر تفاصيل هذا الحراك في كتاب:

خليفة الوقيان: الثقافة في الكويت، الكويت، ط ١ ، ٢٠٠٦ م.

(٤) ينظر هذا الصراع حول المقررات الدراسية كتاب:

تاريـــخ التعليم في دولة الكويـــت، مركز البحوث والدراســـات الكويتية، الكويت ٢٠٠٢. (ص ص ١١٥- ١١٧).

(٥) ينظـــر للتعالق الأدبي بين «منيرة» وغيرهـــا من البطلات الروائيات. التحليل الممتاز، الذي يوجد في كتاب:

سليمان الشطي: مدخل القصة القصيرة في الكويت (ص ص ١٨- ٢١).

(٦) بدر الدين الخصوصي: دراسات في تاريخ الكويت، ذات السلاسل، الكويت، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٣٣.

(٧) عبد الله يوسف الغنيم في تصديره لطبعة مجلة البعثة المصورة.

(٨) ينظر تفاصيل هذه الموضوعة كتاب:

نجمة إدريس: الأجنحة والشمس. لاسيما فصل «الأنثى والمجتمع»

(٩) تنظر هذه الأسباب في:

أدباء الكويت في قرنين ج ٣، (ص ص ٣٠٢- ٣٠٧) وشيخ القصاصين الكويتيين (ص ص ٢٥- ٢٨)

(١٠) الإشارة هنا إلى المحاور الموضوعاتية الطاغية على نتاج هذا الجيل، وليس عن «كل» الموضوعات التي تظهر في قصص هذا الجيل.

(١١) بالنسبة للنشر في «مجلة الكويت»،أما من حيث التأليف فتوجد مخطوطة قصة قصيرة بقلم المؤلف تحت عنوان «المسدس». وقد أهداني الأخ العزيز خليفة الوقيان نسخة مصورة منها، فله الشكر.

(١٢) عن النصية المحاذية ينظر:

مرسل فالح العجمي: شعرية النصية المتعالية، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ٣٧ ، ٢٠٠٦م، (ص ص ١١٦- ١٢٤)

(١٣) للوقوف على العنونة في قصص سليمان الشطي، ينظر:

مرسل فالح العجمي: الوسم والرسم: شعرية العنوان في قصص سليمان الشطي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت. العدد ١١٧، ابريل ٢٠٠٥. (ص ص ١١- ٥٠).

(١٤) للوقوف تفاصيل مفهوم السارد، وأنواعه، ومستوياته، ينظر:

مرسل فالح العجمي: السرديات: مقدمة نظرية، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت. الرسالة ٢٠٠٦. ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، (ص ص ٦١- ٧٢)

(١٥) عن المؤلف الضمني، ينظر السابق. (ص ص ٥٣- ٥٩).





منيرة *

خالد محمد الفرج

تلــك القوة المجهولة الخارقة الكامنة بين ذرات المغناطيس تجذب إليها القطع العديدة من المعادن: أشــبه شيء بذلك الجسم الذي يمثل الشباب الغض والجمال الكامل فيجذب إليه حبات القلوب ونظرات العيون. تلك المجموعة الرائعة الجذابة مصوغة بصورة امرأة من البشــر أطلق عليها أهلها اسم منيرة.

منيــرة منيرة! هي ما حاول الشــاعر في غزله ونســبه. والمصور في ريشته، والنحات في إزميله، أن يعبروا عنه فعجزوا، وأتى الخالق القدير فأبرزه في جســم بشــري حي اســمه منيرة، وأن في تدفــق ماء الحياة في أســارير المحيا، وفي غضاضة الصبا وطراوة البشرة، وسحر العيون، وبريقها الخاطف الابتســامة الحلوة، والقد في اعتداله وميلانه وتثنّيه. لمعــان ســامية دقيقة تقصر دونها تعابير البشــر، اللهــم إلا إذا كان في الملائكة شعراء وفنانون، فذلك ما لم نعلم عنه شيئًا بعد.

منيرة رمــز الجمال وتمثاله، لكن الخالق الحكيم لا يعطي أحدًا جانبًا من الكمال الإنساني إلا وينقصه من جانب آخر لحفظ التوازن، والإنسان

---

* نشرت لأول مرة في مجلة الكويت، المجلد الثاني، الجزء ٦و٧، جمادى الآخرة ورجب من العام ١٣٤٨، الموافق لنوفمبر وديسمبر من العام ١٩٢٩، وأعاد نشرها الأستاذ خالد سعود الزيد في كتابه «قصص يتيمة في المجلات الكويتية». (ص ص ٣٣-٤١).

طاغ بطبعه، فلابد له من نقص يشـعر به ليتعظ، ذلك الجسـم الكامل الجميل يضم بين جوانحه قلبًا ساذجًا، ودماغًا مملوءًا بأنواع الخرافات، وأصناف الأباطيل والترهات، عميـق الإيمان بأحاديث العجائز والإماء، سـريع التصديق، سـريع الانقياد، ومنيرة كسـائر أترابها أمية مكسال، خرقاء، شـغوف بالزينة والتبرّج، علاوة على ذلـك الجمال النادر الفذ، نشـأت وهي تسـمع حكايات الجـان والشـياطين، وكرامـات الأولياء والصالحين، وخوارق الزار والمتعفرتات من بنات جنسها، فهي تضع على كل عضو منها حلية، وتضيف إلى كل حلة عوذة، ففي أحد الدمالج عوذة، وفـي الصدر دوزينة من العوذ والحجب مختلفة الأحجام والمغازي، وعلى الـرأس وفـي العضود وفي الخلاخل إلى ما شـاء الله، هذا حجاب عن العـين، وذاك عن الحمى وعوذة عن الجان وأخرى عن المحبة إلخ.. إلخ، وهي تترك ثيابها للخياطات يخطنها لتتفرغ لخياطة كسوة الولي مرزوق. وتطرز علما لمزار الشيخ محبوب، وتصرف على ذبائح الخضر والمزارات وحفلات الـزار أضعاف ماتصرفه في جميع مرافقهـا وحليها وزينتها، هي تلك النقية الطاهرة المشـهورة بحب الأوليـاء والصالحين والعطف علـى الدراويش والمتقشـفين. أمنية كل خاطر وجاذبـة كل ناظر، ولكن أدلة المؤمنين بنظرية الحظ والنصب متوافرة في الشرق، ومن أقواها أن منيرة من حظ ابن عمها الذي ولد قبلها بسـنتين، وكتبت في سجله منذ الأزل. تزوجته بلا استشـارة وماذا تفيدها الاستشـارة وقد نشأت وهي تسـمع من أمها وأبيها أنها زوجة عبدالقادر؟ فهي - إذن - راضية غير مختارة لا تحبه ولاتبغضه، ومهما كانت الحالة فهو زوجها.

كما أن منيرة اسـمها رضيت أو لم ترض، لكن جمالها الفتان تسـلط علـى عواطف زوجها، فأسـلس لها القياد وانصاع لأوامرها بما يشـبه العبـادة حتى ألفته ومالت إليه وتحوّلت الألفة إلى مودة، والمودة إلى حب حقيقي هو حجر فلاسفة العشق والحب الذي يسعون للحصول عليه.

-٢-

مضت على اقترانهما ست سنوات وهما ينعمان في قطف ثمار المحبة يانعة غضة سنوات مرت وكأنها ساعات قضتها منيرة في خيالات الحب، وفي خيالات الخرافات نهارًا، لولا أن هناك أملاً كان يملأ وجهها بشـرا

وإشراقًا ثم انقلب في الأخير، فأصبح خاطرًا تنفر منه كلما مر بذاكرتها، وفكرة سوداء ظلت تكدر صفو هنائها، وتنغص عليها عيشها كلما خطرت لها ببال، ست سنوات!! حولت الأمل إلى يأس، كالغذاء النافع يتحول بتخمره سما ذعافا، وكلما خلت بنفسها سألتها: يا ترى أيبقى عبدالقادر على وفائه، وهو يرى ثروته الواسعة الضخمة لاوارث لها؟ إن الجواب يفزعها! بيد أن شغف زوجها بجمالها وماتراه من تعلقه بها يهدئ روعها نوعًا، ولكن الأفكار المقلقة لا تلبث أن تعود إلى مخيلتها، فتثير وساوسها وأوهامها.

هو ذا البيت وقد علت فيه زغردة النساء، وهي ذي أصوات وقع قبقاب الخادمة على السلم الأعلى صاعدة إلى غرفة منيرة وهي جالسة على متكأ بجانب الشرفة يطل على المروج الخضراء المطرزة بغابات النخيل، وعبدالقادر بجانبها يلاطفها ويداعب شعرها الفاحم الناعم بأنامله، وقد تعالت ضحكاتها لشيبة رأتها تلوح في مفرقة «لن أدعوك بعد اليوم إلا بالشيخ عبدالقادر»، قالت ذلك والتفتت إلى الخادمة التي تلهث لإسراعها في صعود السلم خشية أن تسبقها سواها وهي تقول بصوت يملؤه البشر والسرور: أبشري... أبشري! سيدتي! إن أختك عزيزة وضعت غلامًا! يا له من خبر مبهج! إن أختها الصغرى عزيزة المحبوبة، وعمرها لا يتجاوز السابعة عشرة قد وضعت غلامًا من ابن عمها محمود الشاب.

ولكن هذه البشرى وقعت كالصاعقة على منيرة، فاختنق صوتها وعلت وجهها صفرة الكآبة وتمنت أن لو كان عبدالقادر غائبًا لتخلو إلى نفسها فتبرد غلتها بقطرات من الدمع، لعلها تخفف ما تجده من حرقة وألم، وكأن عبدالقادر أدرك ما يساور خليلته من هم وكدر، وعرف السبب الذي حوّل البشارة المسرة إلى ما يشبه النعي، ولنعي عزيزة عند أختها أخف ويلا من هذه البشارة التي كشفت الستار عن وساوس منيرة ومخاوفها أمام زوجها، فحاول أن يخفف ما بها، ولكنه بدوره عاد إلى تأملات عميقة استعرض فيها حالته منذ ليلة زفافه، ورأى آماله تكاد تذهب هباء منثورًا، فأخذ يضحك ضحكًا جنونيًا نبّه منيرة من ذهولها، ولكنها لم تطق الكلام، فاستفهمت منه بنظرة كلها يأس وحزن.

-؟؟؟

- تذكرت صندوقًا صغيرًا أعددتــه لولدي الموهوم وجمعت فيه كل ثيابه وألعابــه!! أرأيتك لو رزقنا بولد منذ ســنة زواجنا، أمــا كان الآن يتعلم في المدرسة ونعلق عليه أكبر الآمال، وننعم بأحاديثه ولعبه؟

- الله كريم!! و....

- الله كريم ولكن.... ولكن...

- أظن أن الســبب في ذلك اســتعدادك للشــيء قبل حصوله لاقتنائك ذلك الصندوق، فجعلت مشــيئتك قبل مشــيئة ربك، فعاقبك الله على ذلك بالحرمان.

- هذه سخافة، خرافة، ولكن الطب الحديث يقرر أن سر الحمل في المرأة، فهي كالنخلة تحتوي علــى جرثومة الحياة، وما الذكر إلا بمنزلة لقاح الفحل يؤبر به النخل. فقالت بتلعثم وقد وقع عليها كلامه وقع الصاعقة.

- الحق أقول لك أنني سألت الشيخة أم صالح وهي من الأولياء المشهورين بالكرامات، خصوصًا لطوالع الحبل والقران، فقالت السبب إن زوجك عصري ملحد لا يعتبر الأولياء ولاينذر للقبور.

- «باشــمئزاز» أي شــيخة؟ أتلــك البلهــاء المجنونة؟!! تلــك العجوز الورماء؟!! أبلغ بك الجهل إلى هذه الدرجة؟

- قــف عند حدك!! «قالت ذلك بكل حدة» وقد تحمســت لشــيختها وكبر عليها أن يهينها، وقد اعتادت منه أن يحتمل منها كل غضب ودلال، ويجاوبها بالخضوع والاستغفار والقبلات الحارة، ولكن سرعان ما تجهم وجه عبدالقادر وقال:

- العتب علي! فقد صبرت عليك واحتمل جهلك ونزقك، وهذا عمري مضت زهرته ولم أر فيه وارثًا بعد موتي، ومســاعدًا لي في شــيخوختي والله يقول: ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾!

يالها من بشــارة محزنة أظهرت كوامن القلوب، وكشفت عن غوامض الأســرار. عندها قام عبدالقادر بلامبالاة، ودخل مكتبه وانطرح على مقعد طويل، وأخذ يناجي نفســه: حسبي اندفاعًا وراء هذا الجمال الفارغ، إنه أشــبه شــيء بالقار المطلي بالذهب المطرز جمالاً! ثم ماذا: جهل فاضح! عادات ســيئة! دلال لا يطاق! دماغ محشــو بالخرافــات والأوهام! قلب

ســاذج لا يفهم للرابطة الزوجية معنى! ومع ذلك كله عقم! هذه أختها لم تتــزوج ابن عمي إلا في العام الماضي فرزقا بولد - تأوه - وماذا حصلت أنا من جمالها ســوى اللذة الزائلة. وماذا جنيت منها ســوى تقييد عقلي واندفاعــي وراء تصديــق خرافاتها، وما هـي عقبى مَــن غلّب هواه على عقلــه؟ إنها لعقبى ســيئة! ثم ماذا؟ وهب أنني اصطبــرت وأرقت مائي في انتظار ســراب الآمال فما هـي النتيجة؟ وهب أن دجاليها نجحوا في حيلهم، فحبلت، فما الفائدة من طفل ينمو في هذه البيئة الجاهلة، وينشأ بين أولاد العجائــز والإماء وجيوش الدراويــش والدجالين؟ كفى. كفى. فلا فائدة من الندم، وعليك أن تتلافى ما فات. آه إن بنت الســيد خليل جميلــة ومتعلمة، وفي ثروتي الطائلة ما يخول لي أن أخطبها. آه! أتذكر مجاملتها لي وتوددها! أوه. نعم. نعم. ليلة عرس عزيزة قرأت في عينيها سطور الإعجاب بي، بل الهيام بحبي، ولكن واأسفاه! لقد ران حب منيرة على قلبي فأعمى بصري وجعلني أنظر إلى تلك السور نظر القدماء إلى رموز الهيروغليف؟ لكن لا بأس، فها شانبوليون قد فك تلك الرموز، وهي لحسن الحظ لاتزال فتاة لم تتزوج بعد، ولم تقبل يد أحد لأنها - على ما أظن - متدلهة بحبي، ومنيرة، ستبقى عندي وسأتمتع بجمالها وأضحك على سذاجتها.

يالها من خطة طالما أرعبت منيــرة وأقلقتها، وطالما أزعجها الكابوس بأشــباحها فأيقظها من رقادها، وأســهرها الليالي الطوال وقد تحققت مخاوفها، وليس أصدق من شعور القلب الساذج كأنما هو إلهام إلهي.

ترك عبدالقادر مقعده وفتح باب الكتب بعنف، ووقف على باب الغرفة بلا مبالاة، وقال: كفى يا منيرة كفى! فقد تلاعبت بعقلي وضحكت علي، فلا أرينّك بعد اليوم تدعين أحدًا إلى بيتي من هؤلاء الدجالين المخرفين، والعجائز الماكرات، ولا تتركي عتبــة بابك إلى الزيارات والزارات. وأنت يا سلمى -الخادمة- إياك أن تدعي أحدًا من غير أقاربنا أن يدخل على سيدتك، وإلا نكلت بكما جميعًا. اسمعي. اسمعي. ها؟ وخرج، فاسترسلت منيرة بالبكاء، واشــتعلت فيها نيران الحزن والهم، واصطدمت بمصيبة لــم تعهد مثلها، فانحطت قواها وهاجمتها الحمى بجران هائل، وأخذت تهذي وتصيح إلى أن أصبح الصباح.

وأول ما سألت عنه. هل جاء عبدالقادر؟ فكان الجواب سلبًا! وماذا تصنع؟ليس عندها سوى البكاء تستمطره ليروي غلتها، ويطفئ لوعتها، ولكنه في بعض الأحيان يكون بنزينًا ملتهبًا يزيد جمرة الحزن اشتعالاً.

-٣-

بعد أسبوع، عادت المياه إلى مجاريها نوعًا، ولكن عبدالقادر لم يعد ذلك المحب الولهان، فقد تشبّعت أحاديثه بالخشونة والتهكم، ولم تكن مجاملته هذه إلا ليخفف عن ابنة عمه بعض ما تجده.

وقفت منيرة أمام المرآة ذات يوم فارتاعت لذبول زهرتها، وتبدل سحنتها زوال رونقها فازداد الطين بلة. آه رباه! ماذا جنيت رحماك بي، ربي إني أتوسل إليك بأوليائك الصالحين، وعبادك المتقين، نذرًا علي لوجه الله إن عاد قلب عبدالقادر إلى سابق صفائه لأنحرنّ لمزار الخضر عشرين خروفًا ومائة ديك أفرق. آه! ليت الشيخة أم صالح هنا، ليتها تعود من متعبدها، فهي التي تستطيع أن تنقذني وتخلصني من هذا المأزق الحرج، وتكتب لي الحجب وتنظر بختي عند أحد الأولياء - عجل الله أوبتها - فدونها لا يقر لي قرار. وبعد ثلاثة أيام، عادت أم صالح وأتت تمشي على عكازها، وقد رفعت رداءها بكوعيها ورأسها المنحني، فصارت أشبه شيء بغطاء عربات الأطفال، وكانت لا تعلم بالأوامر الصارمة الجديدة، وعلي حين غفلة من سلمى، دخلت على منيرة وكأنها في نظرها ملك نزل من السماء لإنقاذها، فقد علقت كل آمالها عليها، فاستقبلتها بما يستقبل به الوثنيون أصنامهم بكل خضوع واحترام، وقبّلت رأسها ويديها وقدميها، وأجهشت بالبكاء، وقصت عليها مجريات الحوادث الأخيرة، فطمنتها ووعدتها خيرًا، وضربت لها موعدًا في بيت أبيها حيث لا سلطة لعبدالقادر خوفًا أن يجرح كبرياءها.

وفي الموعد المطلوب، أتت دليلة وقالت: لقد ذهبت إلى الولي الأبكم في غابته على ساحل البحر الغربي، فقال إنه عالم بحالك ولابد قد قصّرت في حقوق أحد الدراويش أو المزارات، ووجدته حنقًا عليك، ولكني توسلت إليه، ونفضت شيبي على قدميه، فقال: سأصفح عنها، ولكن لابد من مجيئها صاغرة، ذليلة في منتصف ليلة الاربعاء الآتية عندما يكون القمر في برج السرطان ولن ترجع إلا وقلب عبدالقادر

بيدها ببركات شيخنا معروف.

– وكيف أذهب يا شـيختي؟ إن الغابات بعيدة، وظلام الليل حالك ولا أجرأ على الذهاب.

– تذهبـين معي ولا خوف عليك، وسـأكتري حماريـن يوصلاننا إلى طرف الغابة.

– وعبدالقـادر؟ مـاذا أصنع إذا فقدني لأن الرجـوع غير ممكن قبل الفجر، ولن يبقى أكثر من منتصف الليل.

– عبدالقادر!! بازدراء – إنك لن تعودي من عتبة حضرة الولي إلا وقلبه بيدك تصرّفينه كما تشـائين، وسـترينه غدًا كالخروف الوديع يصدقك كلما تقولين، واختلاق العذر أمر بسيط.

– ومكاني؟ كيف أتركه وأخشى أن تلعب به أيدي الخدم إذا فقدوني.

– أثمن ما عندك مجوهراتك وحليك فاسـتصحبيها معك في حقيبة، وسأحافظ عليها كما أحافظ عليك.

– حسن فمتى نذهب؟

بعد أن نصلي العشاء في مسجد العابدات وراء الشيخة زهراء، ونخرج إلـى رأس البر، وهناك الحمير في انتظارنا، ولن يأتي موعد لشـيخ إلا ونحن عنده.

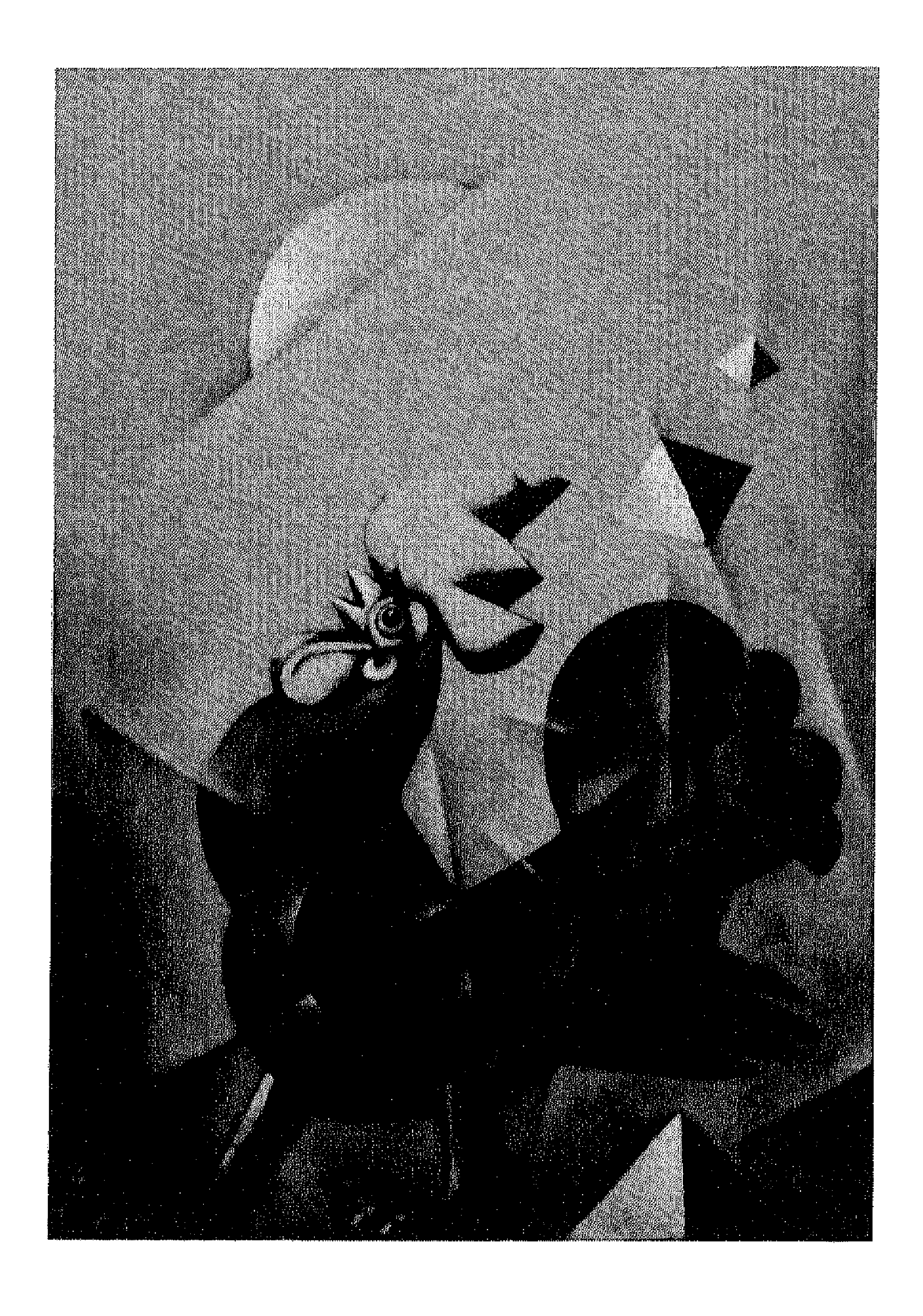
–٤–

وهكذا نفـذت الخطة وخرجت الجوهرة مـن صدفتها، والواقف في ذلـك الظلام يـرى امرأتين خرجتا من المسـجد في طريـق رأس البر، إحداهما منيرة، ومـا كادت تصل إلى الحمير إلا وقد أخذ الإعياء منها كل مأخذ، لـولا أن العجوز أخذت بضبعيها واضطرت إلى نصب قامتها المنحنية مكرًا وحيلة، ولولا سذاجة منيرة وجهلها لفطنت لذلك التصنّع، واسـترابت، ولكنها لـو فطنت لأولتها على الكرامـات والبركات، وازداد التعب بمنيرة، فاضطرت أن تخفف حملها، فسـلمت حقيبتها للشيخة أم صالح، فأركبتها حمارًا، وامتطت الآخر، وبعد أن وصلتا إلى طرف الغابة، فنزلتا ودخلتا بين أدغال الأشجار وأوحال المستنقعات وكأن الظلام فنان جهنمي يأخذ أشـباح الأشجار، فيصوّرها بإزميله بصور شياطين ومردة تتخيلها منيرة المسـكينة، فترتجف خوفًا وهلعًا تزيدها أصوات السباع،

وفحيح الأفاعي والحشـرات هولاً على هول، ورعبًا على رعب، وبعد أن وهنت قواها من التعب والخوف، خارت عزائمها لولا أن لاح لها بصيص ضياء كنور الحباحب، وسـمعت هدير أمواج البحر الغربي تتكسّـر على صخور الساحل كأنها تحاول جرّها فتعود صاخبة غاضبة لتعيد سيرتها الأولى، وما عتمت أن أبصرت نفسها أمام كوخ مبني من أخشاب الغابة، وقد غطي بالحشـائش والطين كسائر أكواخ صيادي السمك، وقد جلس فيه شـيخ إلى جانب نار ضئيلة يحرق فيها بخور المصطكي واللبان، وله لحية بيضاء طويلة، وحاجبان متدليان على جفنيه، وغضون وجهه أشبه شـيء بتموجات الرمال بعد العواصف الهوج، وبيده سـبحة طويلة وهو يهمهم ويدمدم.

الله هو. الله هو. الله هو. سـبّوح قدوم رب الملائكة والروح. سلمت أم صالح، فلم يرد السـلام لاشـتغاله بالذكر، فجلستا في جانب من الكوخ وانتفض الولي فجأة انتفاضـة المتواجد، وخرج من الكوخ خروج الطلقة من المدفع السريع، وساد صمت مهيب، والظلام حالك يزيده بصيص تلك النار وحشـة وإرهابًا، فضاقت الأرض على منيرة بما رحبت وندمت على مجيئهـا إلى هذا المكان، وتمنت لو أنهـا تركت الأمور تجري في أعنتها، ولكن ثقتها بأم صالـح عمياء وكأن العجوز قرأت أفكارها، فخوّفتها من اطلاع الولي على ما يجول بخاطرها، فازدادت ثقة بالشـيخة، واعتقادًا، ودخل درويش من دراويش الشـيخ، وبارك بضيوفـه، فقبّلت منيرة يديه ورجليه، وقرأ عليها ما تيسـر، وبشّـرها بانقضاء أملها، وأن الشيخ في غيبوبته في الكوخ الثاني يهذي بألفاظ تدل على نجاح مقصده، وأنه قد وكّل بها طشـطرائيل من مردة سليمان ابن داود، وأنها سوف تحبل فتلد طفلين توأمين، ولتسم الأكبر معروفًا والثاني جنيدا، فاستبشرت وأشرق وجههـا وخرج الدرويش، وبعـد هنيهة أتى درويش آخـر وقال: اتبعيني لأبخرك ببخور البركة حتى تطهري وتتهيئي للسلام على الشيخ، فأدخلها فـي كوخ مظلم ووضع أمامهـا مجمرة من الخزف عليها قليل من اللبان، وجرة فيها ماء وأوصاها بأن تختلي بنفسـها فتتوضأ وتسـتجمر بذلك البخور إلى أن يأتيها ليقدمها للشيخ. فتوضأت منيرة وتبخرت وانتظرت وطال بها الانتظار، وكلما سـمعت عواء بنات آوى يدوي في الغابة زادت

وحشـــتها، وكلما طرق سمعها حفيف الأشجار، ظنتها خطوات الدرويش إلى أن طلع الفجر، وأقبلت تباشـــير الصباح، وأخيرًا ذر قرن الشـــمس، فلـــم تطق اصطبـــارا، وخرجت تنادي أم صالـــح!! أم صالح!! فلم يجبها ســـوى الصدى، ورأت نفسها وحيدة، فعرفت كل شيء، الحقيبة وفيها كل المجوهرات والحلي عند أم صالح! ذهبت الحقيبة؟ ماذا تقول لعبدالقادر إذا قدر لها الرجوع واستعادت في ذاكرتها ساعة البشارة، وسمعت كلماته ترن في أذنيها: -أي شـــيخة؟ تلك البلهاء المجنونة؟ تلك العجوز الورماء؟ أبلـــغ بك الجهل إلى هذه الدرجـــة؟-. توالت عليها الأفكار من كل جانب ودبّ اليأس إلى قلبها، وزادها الســـهر والتعب ضغثًا على أبالة، فأخذت تلطم وجهها كالمجنونة، وخرجت تعدو إلى ســـاحل البحر، ففتحت كفيها، وقالـــت: اللهم عفوك ومغفرتك، ورمت بنفســـها في اليم، ولو كنت واقفًا أمام ذلك المنظر المؤلم، لرأيت كلاب البحر وكوسجاته يتسابقن بسرعة، وهكذا كانت الخاتمة.





خواطر طفلة *

ابتسام عبدالله عبداللطيف

نخشى أن تتسرّب إلينا فكرة الكم لا الكيف، أو المظهر لا المخبر، فإن لدينا أسماء مختلفة، وكأنها تعالج مشاكل اجتماعية خطيرة، لكن الإنسان - كما قيل - يطالب بالحرية عندما يتذوق طعم الحرية، ويطالب بالإصلاح عندما يرى الإصلاح، وعندما تفقد هذه الميزات، تراه لا يحرّك ساكنًا لأنه لم يتذوّق طعم إحداها.

مررت أحد الأيام بالمستشفى الجديد، مشرفًا على البحر، بهندسته الجميلة على شكليه الأندلسي والإفرنجي، يبهر الناظر حسن منظره، تتقدمه ساحة منبسطة تنتهي بالساحل الذهبي الجميل، ويفكر مَن يقوم بإدارة هذا المستشفى الجميل، بأن يجهز تجهيزًا ممتازًا يجعله الوحيد في الخليج.

وقد كان معي والدي فسألته عن هذا المبنى الفخم فقال: «إنه المستشفى، فبعد افتتاحه تنتهي مشكلة تضخم المرضى عند أبواب مستشفياتنا القديمة الراهنة، وسوف يتيسر العلاج فيه على أحدث الطرق وستقاوم إدارة الصحة الفكرة الراسخة عند بعض الناس: «سيف من خشب في جراب من ذهب!».

---

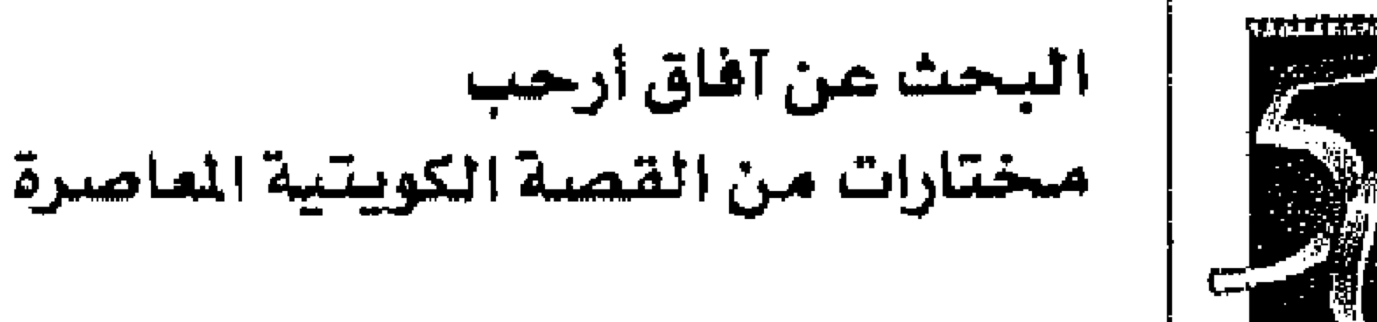
* البعثة، السنة الثانية، العدد الثامن سبتمبر ١٩٤٨.

وسـيفتح فيه فـرع للولادة، فبعـد اليوم لا يتيتم أطفـال من أمهاتهم ولا تحـزن أمهات على أطفالهن إلا ما كتب الله. وسـوف ترتاح مولدتنا الوحيدة من المكاردة للتوليد، وتكون أختك أو أخوك القادم أحسـن حظًا منك لأنك قاسـيت في ولادتك العسـر، وأشرفت على الاختناق، وكدت أن تودي بأمك إلى الهلاك، وقد حاولنا عمل المسـتحيل لإحضار المولدة الوحيدة لعمل اللازم لك، ولكنا فشـلنا إذ المولدة محجوزة لأطفال قبلك بالعشـرات، التوليد علـى نظام الأول فـالأول! فاضطررنا والحالة إلى «أم عباس»، فجاءتنا بأوامرها ونواهيها ومعلوماتها الموروثة والمكتسـبة، ولكنك خرجت أخيرًا بمشـيئة الله، لا حول لهـا في خروجك ولا طول، غير قطع السـرة وتطعيمك الدهـن العداني، غير عابئة بما أصابك من عسر هضم ومتاعب».

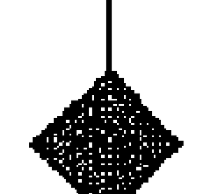
بعد سماعي لحديث والدي، أيقنت أننا في أمس الحاجة إلى مستشفى للولادة تتناوب فيه ما لا يقل عن ثمان من المولدات تحت إمرة طبيبتين أو طبيبين حاذقين، وبعد، فليهنأ الأطفال الذين لايزالون في الركاب!

ابتسام عبدالله عبداللطيف

«طبق الأصل»







الشيخ والعصفور*

فهد الدويري

سار الشيخ الأعرج متجهًا صوب دكان البقالة الذي يملكه في وسط سوق المدينة، وصوت عكازه ينسجم مع صوت خطواته الهادئة، وقد كست وجهه سيماء الطيبة والبراءة واللطف، كان من أولئك الناس الذين ما إن ترى وجه أحدهم لأول مرة حتى تشعر بالميل إليه، ميلاً مشوبًا بالعطف والاحترام دون أن يكون لك به معرفة سابقة، ودون أن تدرك السر في حبك له.

ووقف الشيخ أمام دكانه واتكأ بيسراه على عكازه، وانحنى على أسفل الباب وفتح القفل المربوط بسلسلته، ثم رفع رأسه ومد يده اليمنى إلى عضاد الباب الأعلى فأداره، وانفتح مصراع الباب الأيسر، مد يده داخل الدكان وأدار اللولب الخشبي الداخلي، فانفتح الباب على مصراعيه، ومد الشيخ يده نحو أعلى كتفه ونزع عباءته ووضع عصاه تحت إبطه فارتكز عليها، ورتّب عباءته في رفق وأناة ثم أمسك بعكازه في يده وصعد داخل الدكان، ونفض الغبار عن دكته الصغيرة، ووضع عباءته في محلها المعتاد، وجلس على الدكة وقد تدلت رجلاه في الحفرة المستقيمة المسواة

---

* نشرت لأول مرة في مجلة الرائد، العدد الثاني، السنة الثانية. مايو ١٩٥٣، وأعاد نشرها الأستاذ خالد سعود الزيد، في كتابه: «شيخ القصاصين الكويتيين» (ص ص ١٩٣-٢٠٣).

تحت الدكة، ثم راح يقرأ وردًا صغيرًا من الأوراد التي اعتاد أن يقرأها في مثل هذا الوقت من كل صباح. وبعد أن انتهى من كل ذلك، حدّث نفسه قائلاً: والآن، ماذا ينقص دكاننا اليوم؟

ونظر يستعرض كل ما في الدكان من مواد الطعام حتى إذا لم يجد شيئًا ينقصه، راح يتطلع في المارة، وما عتم بعد قليل أن تذكر أن «المرأة» قد سألته اليوم أن يشتري سمكًا للعشاء، فأخذ يبحث بين المارة عمن يحمل سمكًا، حتى إذا رأى شخصًا منهم يحمل سمكتين من الزبيدي العريض، صاح به في مرح:

- هه... يا عم، بكم السمك اليوم؟

فأجابه الرجل وهو يتابع سيره دون أن يلتفت كأنما هو قد سمع هذا السؤال مرارًا:

- الوقية بعشر.

فأجابه العجوز في سره:

- عشنا ورأينا، أما لهذا الغلاء من آخر؟ صومي يا امرأتي عن السمك وليحتسبها لك الله حسنة.

وبعد قليل، جاءه أحد أصدقائه ممن اعتادوا أن يجلسوا كل يوم فترة قصيرة من الوقت يثرثرون أثناءها في شتى المواضيع، ثم جاء صديق آخر أيضًا، فلما أقبل الصديق الثالث قام أولهم ليفسح المكان له.

وارتفعت الشمس، وبدأ لهيب القيلولة يحرق رءوس المارة وأرجلهم، ومرت سيارة البلدية ترش السوق بالماء إخمادًا وتلطيفًا لجو السوق الحار، وتشتتت شمل المارة يفسحون لها الطريق كي لا يصيبهم رشاش الماء المنطلق من خرطوميها كالميازيب، واحتمى البعض بأبواب الدكاكين وعرصاتها، وأسرع طفل في العاشرة من عمره يحتمي بدكان العجوز من شر هذا الماء المتدفق بقوة.

ونظر الشيخ إلى الصبي القابع وراء العرصة حذرًا، وقد أمسك بطرف ثوبه الجديد في يسراه، أما يمناه فقد تدلى منها خيط رفيع ربطت في طرفه الآخر رجل عصفور صغير لاحظ الشيخ أنه قد استسلم لهذا التعذيب بعد أن أجهده التملّص ومحاولات الفرار، فتدلى جناحاه ورأسه نحو الأرض في ارتخاء، ولما حاذت السيارة مكان الصبي وأحسّ العصفور

بـــرذاذ الماء، صفق جناحيه في ذعر وعاد يحـــاول الفرار من جديد، ولما تعب رفع رأســـه وهو يديره في حركة لولبية مستغربًا هذا الماء الذي بلل جسمه كله، فتماسك ريشه بعضه ببعض، فلما انتفض كاد لحمه الأحمر يبين من المفارقة التي أحدثتها الانتفاضة.

وجعل الشـــيخ يتطلع إلى هذا العصفور المسكين، وأحسّ كأن يدًا قوية تعتصـــر قلبه، واكتنفه الحزن والغم لمنظر الطائر يعبث به صبي لا يعرف معنى الألم، وحز في نفســـه أن يترك الغلام يســـتمر في تعذيب أسيره، وصمم على أن يفعل شيئًا، ونادى الصبي حتى إذا اقترب منه قال له:

– أتبيعني هذا العصفور يا بني؟

وأجاب الغلام وهو ينظر إلى الشـــيخ في استغراب كأنه لم يفهم، لقد أدهشه أن يشتري الرجال العصافير.

– هاه؟ نعم.

ومد الشـــيخ يده للغلام وفيها بعض النقـــود الصغيرة، ما كادت تطبق عليها يد الصبي حتى تطلع في الشـــيخ ثم في العصفور، وأســـلم ساقيه الصغيرتين للريح، وقد تدلى العصفور من يده طائرًا على الارتفاع الذي يسمح له به الخيط القصير.

واستنكر الشيخ هذا المكر، فأخذ عصاه بسرعة وركض وراءه وهو يقفز في مشـــيه ويصيح بجيرانه من أصحاب الحوانيت أن يمســـكوا بالغلام، وبـــدأت مطاردة مضحكة بينهم وبـــين الصبي، انتهت حين قبض أحدهم على رقبته، وجاء الشيخ وشرح لمن تجمهر حول الغلام كيف غرر به حين باعه العصفور وقبض الثمن، ثم هرب بالعصفور، فتركه الناس وغريمه، وأخذ الشيخ الطائر من يد الصبي، وتهيأ ليضربه كفًا على خده، وما كاد يرفع يده ويهوي بها على الخد الصغير، حتى انحني الصبي بسرعة نحو الأرض، فطاشت الضربة في الهواء، وانكفأ الشيخ على وجهه فوق أرض السوق التي ملأها الوحل من ماء الرش.

ولكن الشيخ لم يتخل عن شيئين خلال هذه المعركة: عصاه والعصفور. فقد أمســـك بهما في يد واحدة وراح يصلح شـــأن وجهه وملابسه بيده الأخرى وهو مستند إلى جدار.

وأغرق الناس في الضحك، وقال أحدهم للشيخ:

- لو أنك حين أردت ضربه على خده، جعلت هدفك منه وسط جسمه إذن، لأمكن لضربتك أن تصل إلى رأسه عند انحنائه، عليت أيها العم!

وعاد الشيخ إلى دكانه وقد حمل العصفور بيده في حنان بالغ، وأخذ قطعة من القماش مسح بها عن ريشه الوحل والماء حتى جف فانتفض العصفور انتفاضة قوية عاد منها ريشه الباهت اللون منسدلاً ناعمًا، ولاحظ الشيخ بعد ذلك في أسى وحزن أن جناحًا من جناحيه قد كسر، فأخذ عودًا من أعواد الكبريت، وضمه إلى الجناح المكسور، محاولاً بذلك أن يجبر العظام، وقال محدثًا العصفور:

- إنك لم تعد تصلح للطيران - الآن على الأقل - فليس ذنبي إذن أن تبقى هذه الليلة سجين الدكان. أما في الغداة فإنني أرجو أن يجبر كسرك، فأطلقك تزقزق في جو الحرية الذي ألفت... هه...إن سجنك ليس بأمري بل بأمر الله، والآن اجلس على هذه الخشبة ودعنا نر ماذا يحسن أن تأكل.

وأطلق العصفور من يده فوق الخشبة، فقفز قفزة قوية نحو الأوعية الصغيرة التي وضعت فيها بضائع الشيخ حاوية ما لذ وطاب من رز وشعير وعدس وماش وبرغل، وراح العصفور يقفز من وعاء إلى وعاء، فصاح الشيخ فيه:

- هيه! أتريد أن تفسد الحال أيها الشيطان، خذ حذرك من وعاء الرز، فالرز أغلى من العصافير في هذا الزمان، إنك تنثره ذات اليمين وذات الشمال أيها الأحمق! وضم الشيخ أصابع يده، ثم أشار بسبابته نحو العصفور وهو يستطرد:

- إن لم تكف عن أعمال النزق هذه، فسأسلمك لصبي من الصبيان، يعرف كيف يعيد إليك عقلك.

وعجب الشيخ حين رآه يستكين في ذلة فوق خشبة وعاء من الأوعية، ترى هل فهم ما قلت؟ وضحك ملء فمه. وأخذ قليلاً من حبوب الحنطة قدمها لضيفه وهو يرى أن هذه محاولة ستتلوها محاولات إلى أن يعتاد العصفور الأكل في مستقره الجديد، ولكنه دُهش عندما أقبل العصفور يلتقط الحب من يده في اطمئنان، فلما شبع قبع حيث هو، وراح يتطلع في الدكان والمارة والشيخ. وأعد الشيخ علبة صفيح فارغة ملأها بالماء

ووضعهـــا قرب العصفور، ثم نهض ولبـــس عباءته وتناول عصاه ثم أغلق دكانه ويمم شطر البيت.

ومـــا إنْ فرغ من صلاة العصر في مســـجد قرب الســـوق حتى ذهب إلـــى دكانه. وكان أول مـــا اتجهت إليه نظرته عصفوره الســـجين، وكان هذا لايزال حيث تركه وقد تهدل جناحه المكســـور وبان وسط ريشه عود الثقاب، أمســـك الشـــيخ بالعصفور بين يديه وتحسس موضع الجرح من جناحه ثم أخرج من جيب صديريته قنينة صغيرة تحوي ســـائلاً مخففًا مـــن صبغة اليود وفتحها ووضـــع رأس أصبعه على فوهتها ثم رجها رجًا قويًا ومسح بما علق بإصبعه من اليود فوق جرح الطائر، ثم أفلته فانطلق في قوة يحاول أن يصفق بالجناح الكســـير فلا يســـتطيع، ورآه الشـــيخ يتململ من الألم، فأحس بألمه وبدأ الحزن على وجهه.

وفي الصباح التالي، تفقد الشيخ سجينه الكسير فلم يجده، وفتش عنه في العلب والقفف وفوق الرفوف فلم يعثر له على أثر.

- لئن كنت أيها المجنون قد هربت تنشـــد حريتك فهذا هو الخطأ أيها الزرزور المسكين، إن الهرب إلى الحرية ليس دائمًا هو الطريق الصحيح، كان الجدير بك أن تتقبل هذه العبودية حتى يقوى جناحاك ويشتدا، لقد بحثت عن حتفك برجلك.

ولم يســـتطع الشيخ أن يكف عن البحث والتفتيش، لقد شعر بأن شيئًا مـــا قد نقصه منذ فقد طائره، أتراه قد ألـــف العصفور إلى هذا الحد؟ وأعـــاد البحث، فضرب على علبة صفيح كبيـــرة ضربات قوية فقفز على أثرهـــا العصفور فجأة من وســـط العلبة، وحط على عصـــا طويلة كان الشـــيخ قد ركزها لتكون فننًا للعصـــفور، وهـــزت كيان الـــشيخ كله فرحة لا توصف، وداخله شعور من عاد إليه عزيز بعد غياب طويل.

ومضـــت أيام والشـــيخ يرقـــب جناح العصفـــور وقد توزعه شـــعوران متناقضان، فهو يود من صميم قلبه لو يبرأ جرح الطائر المســـكين، فتعود إليه قدرته على الطيران ويزعجه من ناحية ثانية أن يفارقه هذا الصديق الـــذي ألفه وأحبه، واعتاد أن يراه وأن يحدثـــه كل يوم، مفضيًا إليه بكل ما لا يســـتطيع أن يفضي به لغيره، لقد كانت روح هذا الشـــيخ من الرقة والصفـــاء بحيـــث امتزجت مع روح هذا العصفور، فـــكان بين الاثنين ود

غريب، أخذ ينمو مع الأيام، حتى صار ما بين الشيخ وبين الطائر أكثر ارتباطًا وفهمًا مما بين الأحباء من الناس. ولعل مما زاد في هذا الانسجام والود الرائع بين الرفيقين أن العصفور قد ألف حياته الجديدة، وتكيف بها فلم يعد ينثر العدس على الحمص برجليه الصغيرتين، وكان يتناول طعامه من الإناء الذي خصصه له صاحبه فحسب في أناة وأدب، ولم يعد يزعج الشيخ بقفزاته المجنونة فوق العلب والرفوف، وما يكاد الشيخ يفتح دكانه في الصباح وفي المساء حتى يستقبله بزقزقة حلوة يتفتح لها قلبه وتنتشي روحه. وما إن يجلس فوق دكته حتى يقفز الطائر وجناحه الكسير يتدلى بجانبه ثم يحط على كتف الشيخ ويمد له منقاره الأشهب متطلعًا في وجهه كأنما يستطلع ما في قسمات الشيخ من انطلاق أو انقباض.

وبرأت جراح العصفور بعد أسبوعين، ففك الشيخ الخيط عن الجناح، ونزع عود الكبريت، ثم أمسك بطرف العصفور في يده وراح يحدثه.

- ستغدو الآن حرًا أيها الصديق، سأفلتك فتطير في أعالي الجو، في هذا الفضاء الرحب، أتراك تذكر أيامنا، لقد أزعجتني في أول الأمر، ولكنك كنت مؤدبًا في آخر أيامك، هه... يا لله.

وأفلت الطائر من يده، ولكنه هوى فوق خشبة البصل، وقد ارتمى جناحه بجانبه ثم راح أمام صاحبه، وعجب الشيخ لذلك، وراح ينظر إليه.

- ألا تستطيع أن تطير؟ تعال لنرى ما الذي يمنعك، وأخذه بين يديه، وفحص جناحه فرأى العظام قد التأمت في غير مواضعها، لقد أخطأ في تجبير الجناح، وأطلقه مرة أخرى فسقط على الأرض ثانية، وأخذ المسكين يجر جناحه جرًا كأنما هو حمل ناء به مرغمًا.

وشعر الشيخ بغصّة في حلقه، وبحاجة ملحّة إلى إطلاق دمعة حبيسة على مصير هذا المنكود، الذي ساقه إليه بخطئه.

ومر بالشيخ صديق من أصدقائه اشتهر بقول الشعر الشعبي، فشرح الشيخ لصاحبه حكاية العصفور، وتجاوبت في قلب الشاعر أصداء لهذه المأساة، وتأثرت روحه الشاعرة بها، فتطلع إلى العصفور فترة طويلة قبل أن يقول للشيخ:

- يحسن بك إذن أن تتركه في ضيافتك حتى أجله.

فأجابه الشيخ:

- أتراني تاركه؟ إن الذي أردت نصيحتك فيه هو ماذا أعمل كي أعيد إليه قدرته على الطيران فأصلح ما أفسدت من حاله.

وأمسك الشاعر بالعصفور بين يديه ثم نفخ وسط ريشه، ثم نظر في موضع الجرح لحظة أعاد الطائر بعدها إلى مكانه وقال:

- لا سبيل إلى إصلاح ما أفسدت أيها العزيز، فقد التأمت عظام الجناح على عظام الصدر.

وهز الشيخ رأسه حسرة وهو يودع صديقه ثم عاد إلى العصفور.

- هذه حكمة من خلقك أيها المسكين، فسلم أمرك لله، واستقبل كارثتك بصدر رحب، وتحمل مصابك في العيش معي.

ومرت الأيام يتلو بعضها بعضًا، ثم مر عام. والطائر الكسير الجناح يعيش في دكان صاحبه الشيخ الأعرج. لقد اعتاد أحدهما على الآخر، كانا يتشاحنان أحيانًا حتى لتبدو نواجذ الشيخ من الغيظ لعبث الطائر الذي تعاوده من حين لحين نوبات من اليأس تحيله إلى غير ما ألف منه صاحبه من دعة وهدوء، فكان يثور لهذا العيش الذي قسر على أن يحياه، ولكن تعلقه بالشيخ ما يلبث أن يطغى على روحه الرقيق فيستكين ويهدأ ثائره.

وذات يوم، مر الشاعر بصديقه الشيخ وفي يده عصفور أشهب الريش تشوب شهبته حمرة باهتة، وقد شد في رجله عود كبريت، وأطلق الشاعر العصفور داخل الدكان وهو يقول:

- لقد اشتريت هذا الطائر من صبي في الشارع، وها أنت ترى رجله الكسيرة، وريش جناحه المنتوف، فدعه يعش مع عصفورك لعل أحدهما يخفف عن الآخر بعض ما يجد.

ووقف العصفوران أحدهما تجاه الآخر وراحا يتبادلان نظرة تحد، ثم اشتبكا في صراع عنيف استعملت فيه المناقير والأجنحة والأرجل. حتى إذا فضّ الشيخ نزاعهما تنحى كل منهما وقبع في جانب بعيد عن صاحبه، وقال الشيخ:

- أترى صاحبك يألفنا... إنه جديد علينا، وربما اضطرني إلى أن

أرميه بحجر أو أنتف ما تبقى من ريشه إذا أساء المعاملة وحاول أن يثير في الدكان المتاعب.

فقال صاحبه:

- سـيكونان صديقين حميمـين بعد أيام إذا عرفت كيف تسوسـهما بالعـدل واللين، إذ ليس من السـهل أن يتآلف ذكـران من العصافير في وقت قصير.

قال الشيخ: يا ليت عصفورك كان أنثى، إذن لكفيتني العناء.

وفـي الأيام الأولى، سـادت الدكان حال من التوتـر بين العصفورين، أحس الشـيخ أثناءها بانقباض شـديد في نفس عصفوره القديم، إذ لم يعد يسمع ذلك الرنين الحلو في زفزقته، وانقطع عن قفزه من قفة لقفة، وصار يقضي كل وقته في مكان واحد.

فلما انقضى الأسـبوع الأول، خيّل إلى الشـيخ أن شـيئًا من حسـن العلاقـات قد طرأ على العصفورين، ولاحـظ بعد ذلك أن عصفوره قد ترك إناء الماء الذي يخصه وراح يشرب من إناء زميله الجديد، كما لاحظ أنهما صارا يقفزان معًا في جوانب الدكان كأنهما يتسابقان، وأخذت روح صداقة جديدة تكتنفهما. وكانا كلما فتح الشيخ دكانه استقبلاه بالزقزقة في لحن متسـق ثم يحطان فوق أكتاف الشـيخ، حتى يهشـهما متبرمًا أحيانًا، أو لكي يقوم بمهمة من مهام العمل.

- انزلا عن كتفي أيها الكسيحان.

ويهبطان عن كتفيه ليقفا أمامه على أطراف القفف حتى إذا اسـتعاد هدوءه، أو فرغ من عمله عادا إلى كتفيه يزقزقان.

مضى شـهر على الضيف الجديد، ولاحظ الشـيخ ذات يوم أن ريش جناحه قد نما واكتمل فحدثهما:

- هذه مشكلة جديدة أيها الرفيقان، فإن هذا الأعرج بات يستطيع أن يحلق في الجو الآن، أتريد أن تتركنا بعد هذه العشـرة الطويلة، لا أظن، فإني أراك صديقًا فماذا ترى؟

وضحك الشيخ من كل قلبه وهو يقول:

- تالله لو أن امرأتي سـمعتني وأنا أتحدث إليكما لما شـكت في أنني قد خرفت، والآن لو أنني تركتك أيها العزيز لطرت في غدك وخلفت في

الدكان مناحة عليك، وحزنًا لفراقك، فليس أمامي والأمر كما ترى إلا أن أنتف ما استطال من ريشك، هاه... أسمعك تقول: أولم تؤمن بوفائي؟ بلى ولكن ليطمئن قلبي أيها الأعرج.

بيد أنه عاد يقول:

- لكن ما ذنبك أنت، إن زميلي قد كتب عليه أن يبقى معي إلى الأبد، أما أنت فإنك تستطيع العودة إلى الفضاء إذ لم يشأ ربك أن يحرمك نعمة الحرية، ترى بأي حق نحبسك معنا، إنها الأنانية مصفاة.

ولما فتح الشيخ دكانه في صباح اليوم التالي، رأى العصفورين يقبعان فوق الدكة، وقد اشتد التصاق أحدهما بالآخر، وما إن رأيا الشيخ حتى استقبلاه بزقزقة الترحيب المعهودة. وقدم لهما الشيخ ما اعتاد أن يقدمه كل صباح من حبوب الحنطة والرز وملأ إناء الماء، ولكنهما لم يقربا الطعام أو الشراب، فراح يتتبع حركاتهما ورأى عصفوره القديم يلاحق زميله من مكان إلى آخر، كأنه لا يطيق بعدًا عنه، ثم رآهما يتلاصقان مرة أخرى، وفجأة فرد العصفور الأعرج جناحه وحلق في سماء الدكان هنيهة، كأنما يودع صديقيه لآخر مرة، ثم ما لبث أن مرق من الباب طائرًا في الفضاء.

واستولت الكآبة والحنق على الشيخ، وقبع عصفوره في ركن بين العلب، وقد فرد جناحيه هو الآخر، وتركهما يسقطان على الأرض، وخيّل للشيخ أنه يرى دموعًا في مآقي العصفور المسكين! فتقدم نحوه وأخذه بين يديه، وطفق يمسح على ريشه بيده ويحدثه:

- لنا العزاء أيها الصديق، هكذا الحياة، لقد ملّ صاحبنا المقام بيننا، وعلينا أن ننساه كما نسينا، فلا وفاء لمن ليس له وفاء.... هه. قم كل.

وقدم له إناء الطعام، فأشاح العصفور بوجهه ينظر إلى السماء، وقرب إليه إناء الماء فلم يقربه، بل راح يزقزق بصوت غريب لم يسمعه الشيخ من قبل.

- إنك تحنقني أيها الغبي، أفتريد ممن له جناحان قويان أن يعيش معك بين هذه الجدران البغيضة، لو أنك لك القدرة على أن تطير ما ترددت لحظة واحدة في تركي.

وكأنما شعر الشيخ أنه قد قسا في موطن اللين، وعاتب في موقف

العزاء فسكت، ومضى النهار وجاء يوم جديد، فما تبدلت حال العصفور الحزين، ولم يقرب الطعام أو الشراب، ولما فتح الشيخ دكانه في اليوم الثالث، وجد العصفور قد فارق الحياة وانطرح وسط قفة الرز جثة هامدة.

ولم يستطع الشيخ أن يرقأ دمعة انسابت من عينيه، فأطلقها لتزيل بعض ما به من لوعة، وجاءه صديقه الشاعر، فأخبره بالمصاب، وسلمه الجثة الغالية ليلقيها في المزبلة المجاورة، وأمسك الشاعر برجل العصفور ثم مد يده وشد على يد صديقه معزيًا في فقد العزيز الغالي كأنما هو يعزيه في أحد أبنائه، وأوعده أن يرثي الفقيد بقصيدة رائعة لأنه يجد في نفسه تجاوبًا لهذه المأساة الحقيقية، وودع الشيخ الذي أشاح عنه بوجهه ليمسح دمعة جرت فوق خده.





الانتقام الرهيب *

هيفاء هاشم

تناولت «لولوة» عباءتها ومنديلها (بوشيتها) وتسللت من الباب الخارجي، وانطلقت كالسهم. كان أخواها عبدالعزيز وصالح قد انصرفا إلى عملهما منذ الفجر، أما والدتها فقد كانت منهمكة في قضاء بعض الأعمال المنزلية، فلم تنتبه لخروجها. أحست لولوة أن ضربات قلبها توشك أن تصم أذنيها، وخيّل إليها أن العيون مسلطة عليها من كل الجهات، ترقب حركاتها وتحصي سكناتها. ولم تجرؤ أن تتلفت يمنة أو يسرة، بل تابعت خطواتها بسرعة وكأن شبحًا مرعبًا يطاردها.

كانت تسير في شارع «السيف» بمحاذاة الشاطئ. فقد كانت تلك الطريق هي الأرض الوحيدة التي داستها أقدام لولوة خلال حياتها. إنها لاتزال تذكر أيام طفولتها عندما كانت تقطع هذا الشارع ذهابًا وإيابًا إلى المدرسة الشرقية، فتجد في ذلك متعة لا توصف ولا تقدّر، إنها لاتزال تذكر ذلك اليوم الذي وطئت به قدماها رمال الطريق للمرة الأولى، يوم أن تسمّرت نظراتها في مياه البحر وكأنها تريد أن تختزن من جماله مادة

---

* نشرت لأول مرة في مجلة الرائد، السنة الثانية، العدد الثاني: مايو ١٩٥٣. وقد أعاد نشرها الأستاذ خالد سعود الزيد في كتابه «قصص يتيمة في المجلات الكويتية». (ص ص١٩٥-٢٠١).

للذكريات، يوم أن ودعت رمال الشــاطئ بنظرة حزينة يائسة أفعمتها كل ما في قلبها من آلام وحرمان وفشل، يوم أن سلط أخواها سوط نقمتهما وتعسـفهما وســحباها من المدرســة، وهي لم تنه الصف الثاني ابتدائي بعد، وأفهماها بالشــتم والضرب أن ما نالته من العلم يكفيها ويزيد عن حاجتها، وأنها قد بلغت سـنًا لا تسمح لها بالسـير وحدها إلى مدرسة بعيدة عن بيتها.

منذ ذلك اليوم، أي منذ أربع سنين، وحلقة الظلم والسيطرة تضيق حول خناقها، وتكتم أنفاسها. ألم يرهقها أخواها بطلباتهما التي لا تنتهي، ألم تقض الساعات الطوال بين غبار الكنس ودخان الطبخ ومعمعة الغسيل؟ ألم يصرخ في وجهها، ويقذف جســمها بالنعال، ويضرب بالسياط، إزاء أقل تقصير يصدر منها؟ ويح نفســها المعذبــة!! لقد أذلها الهوان وجعل منها حطامًا فانيًا!!

وفجأة وجدت نفســها بمحاذاة المدرسة الشــرقية. كانت قدماها قد حملتاهـــا إلى معهد طفولتها الســامي دون شــعور منهـــا. وتطلعت إليه وفي قلبها لهفة وفي حلقها غصة، ووقفت أســفل النافذة، وأنصتت إلى أصوات التلميذات وشــرح المعلمة، وشــعرت بحنين غريب، فلم تتمالك نفسها، وتخضلت عيناها بالدموع.

جرّت لولوة قدميها بصعوبة، وغــادرت مكانها متجهة صوب «البركة» وهـــي لا تــدري ماذا تفعل، يـــا الله! مَن يصدق أنها لا تعرف شــيئًا عن بلدهـــا. مَن يتصــوّر أنها تعيش في وطنها وكأنها غريبة عنه. لا تــشــعر بوجوده ولا يعترف بوجودها!... ومن أين يتسنى لها أن تتعرف عليه وهي لا تبعد أن تكون ســجينة بين جدران أربعة، يقوم على حراستها سجانان عتيدان لا يســمحان لهـــا بالخروج إلا مرة في الســنة، بصحبة والدتها لزيارة جدتها، التي تقيم على مسافة قصيرة جدًا من مسكنهم.

وهاهي اليوم، بعد صبر دام أربع سنوات، تنفجر وتثور. لقد أرادت أن تبرهن لنفســها أنها ليست مَن سقط المتاع تؤمر وتنهى، ويقرر مصيرها تبعًـــا لأهواء أخويها. لقد حرّما عليها أتفه المتع، وأنكرا وجودها، وأزهقا أنفاســـها، حتى غدت طائرًا، مقصوص الجناح لا حول له ولا قوة. ولكن، اليوم فقط يســتعيض الطائر عـــن جناحيه بقوة قلبه وإيمانه وشــعوره

بالظلم وثورته. الآن تقوم بمغامرتها، فتجوب الكويت من أولها إلى آخرها، وتتعرف على شوارعها ومبانيها ومنشآتها.

أوقفت لولوة سيارة أجرة، واتخذت مكانها بين ثلاث بائعات بدويات تنبعث منهن رائحة قذرة، تزكم الأنوف، وقد حملت كل منهن سلة مملوءة بيضًا. ولكن لولوة كانت غافلة عنهن وقد سرح نظرها عبر زجاج النافذة، في حين انطلقت السيارة تسير الهوينا قاطعة شارع دسمان، وما لبثت أن توقفت في نهاية الشارع. ونزلت لولوة بعد أن نقدت السائق أربع آنات أجرته المعهودة.

وتلفتت لولوة هنا وهناك، وقد أذهلتها حركة السيارات وضجيجها المتواصل. وبهرتها كثرة المخازن وفخامتها، ووصلت إلى ساحة «الصفاة» فاحتارت أين تتوجه، وأخيرًا عقدت عزمها على السير يمينًا. ووقفت مدة تطالع واجهات مخازن «جاشنمال» و«البهبهاني» أسماء كانت تسمع عنها دون أن تعرف ماهيتها، وهزت رأسها أسى على عمرها الذي قضته سدى. ثم اخترقت ساحة «الصفاة» وتوجهت إلى يسارها. وتابعت مسيرها بهمة مضاعفة، ولاح لها عن بعد بناء شامخ مطلي باللون الأخضر، فأسرعت الخطى لتتبيّنه، وإذا بأربعة من الجنود يقفون على درج يتوسط البناء ويؤدي إلى الباب الأمامي. ورفعت أنظارها إلى أعلى فطالعتها أحرف بارزة تحمل اسم «الأمن العام».

وفجأة طرأ على فكرها خاطر ملأها هلعًا ورعبًا، لقد غاب عن ذهنها أن تحسب حسابًا للزمن، وأدركت بغريزتها أن الوقت قد شارف على العصر، وأن غيابها لابد قد استرعى انتباه والدتها، وأن أخويها لاشك قد رجعا من عملهما، فقلبا البيت رأسًا على عقب، ومن الممكن أن يكونا قد اتصلا بالأمن العام.

وهنا خيّل إليها أن الجنود الواقفين على مقربة منها يمعنون في التحديق بها، فأدارت ظهرها وأخذت تسير بسرعة جنونية، وهي تتخبط على غير هدى، وتعبر وتخرج من طرق لا نهاية لها حتى كلّت قدماها، وتلاحقت أنفاسها، وجلست أرضًا على عتبة أحد البيوت، وهي في حال يرثى لها من القلق والخوف والتعب.

ونادت ولدًا صغيرًا كان يمر بها وسألته قائلة:

– هل تدل الطريق إلى شارع «السيف» يا صبي؟
فضحك الولد هازئًا وقال:
– أين أنت من شارع السيف؟ إنه بعيد جدًا! أنت الآن في حي المرقاب.
وهنا نظرت إليه متوسلة وأخرجت من جيبها الروبية وقالت:
– لقد ضللت طريقي وسأعطيك هذه الروبية إذا أوصلتني إلى مكاني المقصود. عند ذلك وافق الغلام، وسار بمحاذاتها قاطعًا الشارع الجديد، بينما أخذت لولوة تضرب أخماسًا بأسداس. وتفكر في عاقبة أمرها. وأخذت تخاطب نفسها قائلة:
– لاشك أنهما سيقتلاني! آه ويلي منهما، ولكنني مت ألف مرة خلال السنين الماضية دون ذنب جنيته، لقد حفرت السياط دروبًا وممرات في جسدي، حتى بات عديم الإحساس لا يتأثر ولا يتألم. وما ميتة أخرى بكثيرة على واقعي المر الممض.
يا مرحبًا بالموت! إنه لا يهمني بعد أن حققت أملاً طالما داعب مخيلتي، الآن فقط تعرفت على وطني وأشربت قلبي محبته، وغذيت روحي الخامدة بجذوة من رفعته وعزته! لابأس. سأصمد أمام أخويّ وليفعلا بي ما يشاءان!
وهنا صافح هواء البحر المنعش وجنتيها، ووجدت نفسها في شارع السيف مرة أخرى، فشكرت الصبي. ثم مالت يدها نحو الأرض وتناولت حفنة من الرمال ووضعتها في منديلها وضغطت عليها برفق وكأنها تريد منها أن تشاركها مشاعرها وعواطفها وإحساساتها. لقد أرادت أن تحتفظ بهذه الحفنة ذكرى لمغامرتها – ذكرى للنور الذي بدد ظلمات عقلها – ذكرى لعودة الإيمان إلى قلبها العاني: الإيمان بوطنها وقومها وكيانها.
كان باب البيت مقفلاً فقرعته بيد ثابتة، وانتظرت مصيرها، كما ينتظر المحكوم عليه بالإعدام قرار التنفيذ، أو كما ينتظر راكب باخرة محطمة الموجة التي تغرقه في طيات اليم، أو كما ينتظر راكب طائرة محترقة أجله وهو معلق بين الأرض والسماء. وفجأة انفتح الباب وظهر على عتبته عبدالعزيز أخوها الكبير.
لم تشعر لولوة إلا ويدان تجذبانها بقوة هائلة، أحست على إثرها بأن

يديها تكادان تطيران من بـين كتفيها، وزاغت عيناها بعد أن كان التعب قد هدّ قواها، والتفكير قد بلبل عقلها. ورأت كما يرى النائم أمها العجوز وقد اصفرّ وجهها حتى حاكى وجـوه الأموات وارتجفت يداها الذابلتان وازرقت شـفتاها. وقبل أن تغيب لولوة في إغماءة طويلة، كان عبدالعزيز ينزل عليها بهراوة ضخمة، دون رحمة أو شـفقة حتى شـج رأسها، ونفر الدم من جرح عميق أغرق ملابسها.

وصاحت الأم العجوز وتوسلت إلى ابنها قائلة:

لا تقتلها، اتركها، حسـبي الله عليك، اقتلنـي قبلها. ارحمني من هذا العذاب، ارحم أمك العجوز.

وشرقت العجوز بدموعها فنظر إليها عبدالعزيز شزرًا وقال:

أتريدينني أن أترفّق بهذه الخاسـرة، هذه الوقحة التي سـتجلب علينا العار والدمار. ألم أحرم عليها الخروج من البيت، فكيف تعصي أمري؟!

وهنـا أقبل صالح مـن الخارج وفوجـئ بمنظر الدماء، وتوقع شـرًا مسـتطيرًا قد ألمّ بهم جميعًا. وما لبث أن وقع نظره على جسـد أخته مضرجًا بدمائه فصاح:

- أيـن عثرت عليها، لقد أبلغـت «الأمن العام» بالخبر. والبوليس جاد في البحث عنها الآن. أين كانت هذه المخبولة؟

- لا أدري. لقد نالت جزاءها، ليتها تموت وتكفينا شرها.

وفي منتصف الساعة الثانية عشـرة بعد منتصف الليل، أفاقت لولوة من غيبوبتها الطويلة، وأفلتت من صدرها آهة مكتومة، تلاشت في زئير العاصفة التي كانت تدوّي في الخارج. وفتحت عينيها الكليلتين بصعوبة، ثـم حدقت في الظلام المحيط بها حتى اعتادت عيناها الظلمة، ثم مدت يدها تتحسـس رأسها وجسمها، وعادت إلى ذهنها المكدود حوادث اليوم السـالف، فأنت أنينًا موجعًـا يفتت الأكباد، وترامت إلـى أذنها زمجرة الأمواج وعويل الرياح. وخيّل إليها أن الطبيعة العابسـة مرتدية ملابس الحداد. وأحسـت بأن هنـاك هاتفًا يدعوهـا أن تلبي نـداء الطبيعة. وفجأة لمع البـرق. ورأت على نوره الخاطف وجه أمها الراقدة بجوارها، وقد ارتسـمت عليه أبلغ معاني الحزن والقنوط، ولفترة قصيرة شـعرت بالضعف والإشفاق يسـريان في أعصابها، ولكنها ما لبثت أن اجتاحتها

نوبة اليأس القاتل، فتصورت نفسها طريدة شريدة، محرومة من الحب والحنان، معذبة شقية، غير أنها استمدت من يأسها عزيمة وتحاملت على نفسها، وتسللت من فراشها بهدوء، وغادرت الحجرة على أطراف أصابعها، وعبرت «الحوش» الصغير المكشوف إلى المطبخ الخشبي، غير مبالية بالرياح القارسة التي صفعت وجهها - فكرة واحدة كانت مسيطرة على كيانها - لقد أرادت أن تنتقم ولو بذلت نفسها على مذبح التضحية!! الانتقام هو ملجؤها الوحيد في قنوطها، في عجزها، في ذلها.

وفي تمام الساعة الواحدة والنصف دوّى صوت مزعج تبعته فرقعة هائلة، وأفاق أهل البيت المذعورون. وما لبث أن تسرّبت إلى أنوفهم رائحة احتراق خانقة، ولم يجدوا للولوة أثرًا. فهرعوا ثلاثتهم إلى غرفة النوم، فراعهم أن شاهدوا ألسنة النيران تندلع من المطبخ الخشبي وقد انهار قسم منه. وعبثًا حاولوا إطفاءها، فقد كانت الرياح تزيد في أوارها، وتزمجر غاضبة ثائرة. ولم يبزغ فجر اليوم التالي إلا وكانت النيران قد التهمت البيت بما فيه. واستطاع الجيران بصعوبة كبيرة أن يخمدوا أنفاس النيران الجائعة. ونجا أصحاب البيت. ولكن... بعد أن غدوا صفر اليدين لا يملكون شروي نقير. وبين الأنقاض والدمار والخرائب، عثر على بقايا جسد لولوة، وقد أحالته النيران إلى هيكل أسود مشوّه.



حنان أم *

فاضل خلف

١ ألقت «لطيفة» المكنسة من يدها، ثم جلست تستريح من عناء العمل الشاق الذي لا ينقطع ليلاً ولا نهارًا، كان الغبار يعلو ملابسها البالية وشعرها الأشعث، وأهداب عينيها الدامعتين، ولم يكن في المنزل أحد سواها، فقد ذهب زوجها إلى مقر عمله، وخرجت الحماة لزيارة إحدى صديقاتها، أما بناتها فقد ذهبن لشراء بعض الملابس.

جلست لطيفة في ركن من أركان الفناء، وأخذت تسكب العبرات من مآقيها الذابلة، التي أنهكها السهر، وأضناها البكاء، ثم صارت تفكر فيما مرّ عليها من المحن والمصائب، وتتذكر تلك الأيام الحلوة، التي قضتها في منزل أبيها، لقد كانت مرتاحة كل الراحة تعمل في وقت العمل، وتستمتع بالراحة في أوقات الراحة، وكان أبوها يمدها بالملابس والهدايا بالرغم من ضيق ذات يده، ويقتر على نفسه في سبيل إرضائها، وشقيقها عبدالمحسن، وكانت تخرج متى شاءت لزيارة صويحباتها وجاراتها، إما بصحبة أمها أو بمفردها، وهاهي في بيت زوجها تعاني التعب والإرهاق،

* نشرت لأول مرة ضمن مجموعة المؤلف القصصية: «أحلام الشباب». والتي صدرت في العام ١٩٥٧، وأعاد الأستاذ خالد سعود الزيد نشر هذه المجموعة عندما ترجم لفاضل خلف في كتابه «أدباء الكويت في قرنين»، الجزء الثالث (ص ص٢٢٤-٢٢٨).

فلا الحماة ترحمها، ولا الزوج يجيرها. كانت تطمح إلى حياة زوجية هانئة، فإذابها تصاب بخيبة أمل، جعلتها تستسلم لليأس والقنوط، رأت صديقاتها يدخلن المنزل وهن يرفلن في حلل النعيم، تمنت أن تميد بها الأرض، والذي زاد في بلائها وحزّ في نفسها أكثر من كل شيء هو منعها من الذهاب إلى منزل أبيها، إنها تستطيع أن تترك المنزل وتحطم القيد الذي وضعته التقاليد العمياء، والتصرفات الجائرة في عنقها، ولكن حياءها أبى عليها أن تفارق زوجها الذي قضت معه تسع سنوات، ووجدت أن من العار أن تكون هي السبب في حل رباط الزواج المقدس، وإن كان زوجها لا يعرف عن قدسية الزواج شيئًا، ولا يعدها إلا من سقط المتاع، فهو يعود إلى المنزل بعد إنهاء عمله في شركة الزيت، ولا يكاد يستريح من عناء اليوم حتى تبادره أمه بشكاواها المختلفة وادّعاءاتها الظالمة ضدها، فتثور ثائرته، ويلعن الأيام التي جمعته وإياها، وربما سطا عليها بالضرب واللكم، وهي صابرة على كل ذلك، ثم يترك المنزل بعد تناوله غداءه وهو يرغي ويزبد، فلا يئوب إلا بعد أن يمضي من الليل نصفه، وتكون هي في انتظاره لا يغمض لها جفن، ولا يرتاح لها بال، ثم يدخل ويحدجها بنظر شزر وبعدها يندس في فراشه إلى الصباح، وهي لا تذكر أن زوجها رأف بها أو احترمها إلا في الشهور الأولى من العام الأول. وكلما رجته وتوسلت إليه أن يرحمها ويضع حدّا لآلامها وأحزانها، سخر منها وقال: «إنك لم تخلقي إلا للعمل في المنزل، فلا تكوني لجوجة إلى هذا الحد».

مرّت كل هذه الأفكار في مخيلة لطيفة وهي ساهمة، واجمة، ولم يزدها التفكير إلا غمًا فوق غم.

وبينما هي كذلك، دخلت عليها جارتها المحبوبة «أم علي»، التي كانت ترق لحالها، وتخفف عنها أحزانها، فخفت لطيفة لاستقبالها، ولثمت يدها، ولحظت على عينيها أثر الدموع، فسألتها:

– مالك يا عزيزتي؟ كأني أراك تبكين! فهل حدث شيء يقلقك؟

فخنقتها العبرات وقالت:

ألا ترين يا خالتاه ما أنا فيه من بؤس وحرمان؟ وهل يخفى عليك كل ما مر علي من متاعب وآلام؟

إنني قطعت الأمل من الحياة، وأصبحت أترقّب الموت بين ساعة وأخرى.

لقد صيّروني آلة صماء في أيديهم، أعمل من الصباح إلى المساء، بل وإلى منتصف الليل أحيانًا، وهم يتفرجون على مأساتي ويضحكون مني، والويل لي إن خانني التوفيق يومًا ما، فإنني أحرم من القوت، وهل تدرين أنهم منعوني من الذهاب إلى منزل أبي منذ وقت طويل، وعندما ذهبت أمس ورجعت، وجدت أمامي المصائب والويلات، وأخذت هذه المرأة القاسية عباءتي ومزقتها ثم رمتها في التنور، أما ابني، فقد ربّوه كما يشاءون، وكما يشاء لهم هواهم، حتى شبّ على بغضي وعداوتي، وأصبح لا يكره أحدًا في هذا الوجود إلا إياي! فهل ذلك يرضي الخالق يا خالتاه؟ وماذا جنيت أنا؟ وهل جميع مَن في هذه الدنيا يشقون كما أشقى...؟

ثم سكتت برهة ريثما تستجمع قواها وتستعد لإتمام ما يضطرم في قلبها. فرق قلب «أم علي» لما ألم بها، وانحدرت من عينيها دمعة الحنان والإشفاق وقالت:

- ماذا أقول يا ابنتي...؟ وهل عندي إلا كلمات. لا تجدي ولاتفيد...؟ لقد أعياني أمر هذا الشاب وكلمته مرارًا في هذا الشأن، وهو يعدني في كل مرة بتغيير معاملته معك، أما أمه فقد نهرتها وأنذرتها بعاقبة هذا التصرف، فلم تنثن ولم ترجع عن غيّها، ولكن لابد لي الآن من الانتظار حتى تأتي وسترين ما أفعل معها. فقاطعتها لطيفة:

لا.لا. يا سيدتي لا تفاتحيها في هذا الأمر أمامي، فإنها ستنقم علي وتؤذيني عند ذهابك، كفى ما تحملته من الذل والهوان، ولست أطيق أكثر مما تحملت، ولا أراني إلا مغادرة الحياة. هاهي قد جاءت، إنني أسمع صوتها، ثم هرعت إلى مكنستها وأخذت تكنس الفناء.

وما كادت نظرات الحماة تقع على أم علي حتى أسرعت إليها تحتضنها وتقبّلها وتقول:

- مرحبًا بك يا عزيزتي.. لقد زارتنا البركة. أين أنت كل هذه المدة؟ يا مرحبا. يا مرحبا.

لطيفة! لطيفة!! اتركي الذي بيدك وهيّئي الشاي يا ملعونة لاتتهاوني،

إلامَ قلة الأدب؟ أما تستحين؟ تزورنا أم علي فلا تحفلين بها!! فأجابتها أم علي:

– أنا لا أريد شايا يا أم إبراهيم وكل ما أريده – أتدرين ماذا – هو أن ترفّهي عن هذه البائسة. لم تستعملون معها كل هذه الشدة؟ أليست هذه مثلي ومثلك تشعر بما نشعر به وتتألم كما نتألم ؟ إنها ضعيفة يجب مساعدتها وإرضاؤها، إنها تستطيع أن تترككم وتذهب إلى أمها وأبيها، ولكن شرفها وحياءها يمنعانها من ذلك. لو كانت ذات لسان حديدي لما عاملتموها هذه المعاملة، ولما تحملت بعض ما تحملته طيلة السنوات الماضية، رفقًا بها، لكي ترضى عنكم فيرضى عنكم الله.

وما وصلت إلى هذا الحد حتى تبدّت نظرات الحماة وأخذت تحرق أسنانها غيظًا، ولكنها لم تستطع إبداء كلمة واحدة لكيلا تغضب زائرتها العزيزة والمحبوبة لدى جميع نساء الحي. ثم نهضت أم علي واتجهت نحو الباب وهي تقول:

هأنذا خارجة يا أم إبراهيم فالله.. الله.. في هذه المسكينة. وإن لم تكفّوا الأذى عنها، فإنني سأقاطعكم بعد الآن وخرجت.

***

وتمر الأيام ولطيفة ترزح تحت كابوس الألم وذهبت كلمات أم علي أدراج الرياح ثم جاء اليوم وهو آخر أيام الشقاء، يوم زواج عبدالمحسن شقيق لطيفة. فتهيأت الحماة وبناتها للذهاب إلى حفلة الزواج وقالت للطيفة:

– اسمعي. عليك أن تنهي غسل هذه الصحون والقدور، ثم إعداد طعام العشاء، ولا تنسي كنس الفناء ورشه.

فتزاحمت العبرات في محجريها وقالت:

ولكن يا سيدتي إنه أخي، إنه شقيقي، أمِن المعقول أن أحرم من الاشتراك في حفلة زواجه؟ لا. لا. اسمحي لي بالخروج في هذا اليوم، هذا اليوم فقط، أرجوك لا تخيّبي أملي.

فاستشاطت غيظًا وقالت:

وهل تجرئين على رفع لسانك يا قليلة الذوق؟ اغربي عن وجهي وافعلي ما أمرتك به، عجيب والله أمرك، أنت تحت تصرفي وسيطرتي في كل

وقت من الأوقات، وليس باستطاعتك أن تردي لي طلبًا أو تعصي لي أمرًا.

فلم تطق لطيفة صبرًا على هذا الضيم المتلاحق، فثارت كالبركان الحبيس وقالت:

– إلام الجور والعسف، أما تخافين الله؟ لقد صبرت على الضيم تسع سنوات، تسع سنوات لم أذق طعم الراحة والهناء، ولم أصب فيها غير الصاب والعلقم. وكفنت شبابي في هذا السجن المظلم الذي لا نهاية له. والآن تمنعينني عن الذهاب للمشاركة في زواج أخي!!

ألا ما أقسى قلبك وأعظم جرمك!! سأترك المنزل لك ولبناتك وسأذهب إلى غير رجعة.

ثم هجمت على حجرتها وأخذت عباءتها القديمة وقذفت بنفسها خارج المنزل، وهي تصلي حماتها كلمات نارية مكبوتة حينًا من الدهر، وذهبت إلى منزل أبيها، ولم يمض يومان إلا وكان كل شيء قد انتهى، ووقع الطلاق.

xxx

استروحت لطيفة في منزل أبيها مرة أخرى نسمات الحرية المنعشة، وحمدت الله الذي وضع نهاية لمأساتها، وبعد أشهر قليلة طلب يدها شاب عرف بالأخلاق الحميدة بين الناس، فقبلت الخطبة ومن ثم تم الزواج.

ولمست لطيفة البون الشاسع بين حياتها الزوجية الحاضرة وبين حياتها السابقة، إذ إن زوجها الجديد لا يعرف من دنياه إلا مقر عمله ومنزله، ولا يرتاح إلا إذا أرضى زوجته، وكثيرًا ما فاجأها ببعض الهدايا الجميلة، ووجدته أيضًا يساعدها في أداء الأعمال المنزلية، فبادلته حبًا بحب وعطفًا بعطف.

ولم يقلق لطيفة سوى شيء واحد ألا وهو الحنين إلى فلذة كبدها، الذي تحبه حبًا جمًا، وتود من صميم فؤادها لثم وجنتيه وإن كان هو لا يبادلها هذا الحب والحنان، وعندما لحظ زوجها هذه الظاهرة كلم زوجها السابق ورجاه أن يسمح لولده بزيارة أمه، فلم يجد منه إلا الصدود والازورار. ولما لم تجد لطيفة حيلة لحل هذه المعضلة عقدت

العــزم على المرور أمام منزلها الســابق علها تــرى ولدها الحبيب يلعب مع أترابه، فتشــبعه لثما وتقبيلا . وفي إحدى الأمســيات ذهبت لتحقيق رغبتها، وأخذت الأفكار تتــرى على مخيلتها، أتجده هناك، ألا يمكن أن يكــون قد خرج مع جدته أو مع إحــدى عماته إلى مكان ما؟ أو ليس من المحتمــل أن يكون داخل المنزل؟ إنها لا تســتطيع أن تطرق الباب، طبعًا لأن ذلك يســبب لها متاعب جمة، هي في غنى عنها - ولكن - يا للحظ الســعيد، لقد وجدته بالقرب من الباب، فانهلع قلبها من الفرح، وانهلت مدامعها من عظم السرور فنادته:

- ابني عزيز... حبيبي عزيز، أنا أمك، هلم إلي، أسرع، أسرع، عزيز، عزيز، عز، يز.

ولكن الابن النزق ما كان يراها حتى فرّ من أمامها كما يفر الحمل من الذئب، أسرع إلى المنزل وأغلق الباب خلفه بعنف، وترك أمه يذوب قلبها كما يذوب السمن على النار.

وسمعت عمته من الداخل:

- ماذا يا عزيز؟ وما الذي أفزعك هل تبعك أحد الأولاد يريد إيذاءك فأجابها:

لا... لا... إنهــا لطفو الملعونــة، إنها لطفو الملعونــة تريد أن تأخذني منكم.

وظلــت لطيفة برهة مأخوذة من هــول الصدمة، ثم كرت راجعة، وهي ترفع يدها إلى السماء وتتمتم بضراعة وانكسار:

كلا... كلا.. لست الآن أسعد حالاً من ذي قبل.

واحتواها الشارع الفسيح.





أحلام فتاة*

فرحان راشد الفرحان

... منزل جميل محاط بحديقة أنيقة مسورة، فيها كثير من أزهار البنفسج الفواح الذي عبقت رائحته جنبات المنزل، ذلك كل ما يستقبل الزائر لأول وهلة عند زيارته، منظر أخاذ يملأ النفس بهجة وسرورًا، وأول ما يصادف القادم عندما يتخطى عتبة باب المنزل حجرة الاستقبال بأدائها الفاخر ورياشها البديع الثمين، مقاعد وثيرة مغطاة بمخمل مزركش أزرق، في وسطها طاولة مستديرة من الخشب المطعم الثمين، وفي أركانها تماثيل جميلة من العاج، وعلى الجدران علق أجود أنواع السجاد، وقد رتب الأثاث بذوق شرقي سليم ممتاز، ثم هناك أمامها غرفة المائدة بطاولتها الكبيرة تحيط بها المقاعد الفاخرة، في ركنها - بوفيه - كبير من الزجاج فيه مالا حصر له من أثمن أنواع الأواني الزجاجية النادرة، وهناك حجرة الكتب بطاولتها ومكتبتها الفاخرة النادرة، ومقاعدها الوثيرة تزين جدرانها صور رائعة ولوحات أثرية، كذلك حجرة النوم بقطعها الممتازة، التي أبدعت في فن إخراجها مصانع الغرب، وخلاصة القول أن هذا المنزل وما يحتويه هو أقصى ما تنشده وتصبو إليه كل امرأة أرستقراطية راقية تحب البذخ والظهور.

---

*من مجموعة المؤلف: سخريات القدر.

تمـد فاطمة يدها فتفتح الخزانة ثم تقلب بكل زهو وخيلاء ملابسـها الكثيـرة الثمينة، والتي يندر أن تجد لها مثيـلاً في خزانة امرأة أخرى، وتتفرس مليًا، وهي تبتسـم ابتسـامة الرضا والسـرور بهذه المجموعة الزاهية من الملابس، التي سـوف تختال بها تيها أمام صويحباتها وكلهن عيون مليئة بالحسـد والغيرة، ثم تتناول مـن داخل الخزانة علبة فضية كبيرة، وما تكاد تفتحها حتى يأخذ ببصرها ويبهره بريق الذهب ولمعانه، قطع لا تقدر بثمن من الحلي والمصاغ لا يملكها سوى أولئك اللاتي يطللن على الحياة من أبراجهن العاجية.

تنام قريرة العين مع زوجها الشـاب الجميـل الثري الذي اكتملت فيه كل مقومات الرجولة وصفاتها، وتسـتيقظ فـي الصباح مبكرة ثم تغادر سـريرها بكل حذر خشـية أن توقظه من نومه فتقلق عليه راحته، وبعد أن تغتسل وتصلح ما أفسـده النوم من زينتها تبدأ بإصدار أوامرها إلى خدم المنزل، وتطلب منهم إعداد ما تشـتهيه على مائدة الإفطار مما لذ وطـاب، وبعد أن تترك الخدم منهمكين فـي أعمالهم رائحين غادين في حركة دائبة، تعود هي إلى الحجرة وعلى السـرير بكل رفق وحنان تمس يـد زوجها وتطبع على جبينـه قبلة الصباح الصامتة ثم تناديه باسـمه فـي همس مليء بالرقة والحنان حتى يسـتيقظ مـن نومه، وهناك على المائدة توزع له بسـماتها الشـفافة بسـخاء، وتتطلع إلى عينيه ببشاشة وعمق لكي تسـبر أغوارهما وتترجم الكلمات الصامتة التي تنطقان بها، فتجد أنها نظرات من الشوق الملح تكاد تلتهمها، وتفيض بالحب والحنان والعطف، فتمتلئ نفسـها سـعادة وغبطة عندما تشاهد الأدلة القاطعة التي لا يتسـرب إلى نفسـها شك منها بأنها حقًا تملأ كل فراغ في قلبه، فحمدًا لله على آلائه إذ جعل منها زوجة محبوبة للغاية.

وبعد أن يتنـاولا طعام الإفطار، يذهب الزوج إلى عمله وتعود هي إلى صالة المنزل لتسـتلقي على إحدى الأرائـك الوثيرة وتقضي ضحى ذلك اليوم في قراءة الكتب وتصفح المجلات، وعندما يحين وقت الظهيرة يعود الزوج في سـيارته الأنيقة الفارهة ثم يتناولان طعام الغداء وبعده يقتلان الوقت بالأحاديث والنكات المسـتملحة، أما العصر فتستقل معه السيارة إلى النزهة أو إلى منزل أحد الأقرباء أو الأصدقاء وعلى تلك الشاكلة أو

البرنامج الجميل تطيب الحياة وتظللها السعادة ويدور دولاب الزمن وتمر ساعاته كلها أفراح ومباهج كأنها أعياد لا تمل ولا تنتهي.

الليل هادئ، والسكون قد خيّم في جنبات المنزل، والكل قد هجع في مرقده ونام، إلا فاطمة مازالت ساهرة الطرف تتململ في فراشها تتقلب يمنة فيسرة، وتحلق في أجواء لاحدود لها من الخيال، سابحة في فضائها تبني قصورًا من الآمال والأماني شاهقات، تتوسل إلى السماء وتدعو أن يفتح لها القدر أبواب المستقبل الكبير ثم تعود إلى نفسها تناجيها.

ترى هل من المستحيل أن تلمس أطراف السعادة وتتمرغ في لفائف تلك الهناءة، أفلا يتحقق لها كل هذا الذي فكرت فيه، وسبحت في أجواء دنياه حالمة ساهمة؟ كلا... ليس هذا بكثير على خالقها أن يمن عليها به، فهي جميلة صغيرة، وعلى مستوى من الذكاء وخفة الروح، تستهوي راغبي الزواج وتجذبهم، ولاشك أن ثريا لو تزوجها سيقتنع بأنه قد حصل على (لقطة) بديعة، وعندئذ يتم لها ما أرادت بل أكثر مما أرادت، إنه الحظ متى ما استقام والتوفيق إذا حالف.

وهكذا كانت سحب الخيال تطوف بأفكار فاطمة، وقضت على تلك الصورة وقتًا طويلاً من الليل أجهدت فيه رأسها الصغير وأتعبته بتلك الأوهام البراقة الكاذبة والأماني الخلابة الخداعة حتى غلبها سلطان الكرى ونامت تحلم مرة أخرى بأمالها العريضة في عالم الهجعة والرقاد لتنهض في غدها الباكر وتجد نفسها فاطمة ولا غير، كما هي مسودة لاسيدة في المنزل المتواضع البسيط، وفي ملابسها الرخيصة العادية لا حلي ولا أقراط يتيمة تحلى بها أذنيها، تكدح طول ساعات النهار في المنزل تقوم وحدها بأعبائه وتتولى عمل كل شيء فيه، فوالدتها تلقي بأوامرها الصارمة وهي بدورها تتلقى الأوامر وتطيع دون أن تبدي امتعاضًا أو تأففًا خشية غضبها، أما والدها، فهو يكد ويكدح ويعمل جاهدًا طوال يومه عملاً متواصلاً ليملأ الأفواه المفتوحة، لا ليشتري الحلي والمصاغ والملابس الثمينة الغالية.

وكذلك كانت أجمل الساعات لدى فاطمة هي تلك، التي تقضيها يقظة في فراشها تسبح في عالم من الأوهام والأحلام لا تحده حدود.

ذات يوم شعرت فاطمة بوالديها يتساران كثيرًا ويتشاوران بحديث كان اسمه يتردد في سياقه، ثم أخذت تلاحظ تكرار هذا التصرف منهما يومًا بعد يوم، غير أنها لم تتمكن من معرفة أي شيء مما كان يدور بينهما حتى أنهما كثيرًا ما كانا يقطعان حديثهما عندما تقترب منهما، وأخيرًا عصر حب الاستطلاع قلب فاطمة فأخذت تلح على والدتها وتتوسل إليها بأن تخبرها بطرف مما كان يدور بينهما بصددها من أحاديث، فما كان من الوالدة إلا أن قالت بكل زهو وفخر إن رجلاً من سكان غير هذه المدينة قد تقدم بطلب يدها، وقد قيل عنه إنه من الأثرياء المعروفين هناك، والذي دفعه إلى طلب يدها هو أن أحد المعارف قد ذكر له محاسنها وأطنب في وصف جمالها ودماثة خلقها.

لولا حياء الفتاة وخجلها لما توانت لحظة في ضم والدتها وتقبيلها لهذه البشرى السعيدة، فقد أظهرت غير ما أبطنت وأبدت عدم اهتمامها بالأمر وكأنه لا يعنيها في شيء، بل وزيادة في إظهار عدم اكتراثها زمت شفتيها تسويفًا ومغالطة.

لقد تفتحت أبواب السماء وحقق الله لها ما كانت تصبو إليه، وتضاعف تفكيرها في الخطيب الجديد المجهول، لقد أصبحت الدنيا لا تسع أمانيها وأحلامها، وكم ودت من الصميم لو أن هذا الخطيب الذي أرسلته العناية بجوارهم حتى تتم مراسيم الزواج وينتهي كل شيء على خير، وتتحقق المعجزة فتكون قد حظيت بضالتها المنشودة، التي طالما فكرت فيها وترقبتها بكل ما يعتمل في فؤادها من شوق ولهفة وحنين.

هاهي ذي تسرح وتمرح فرحة مغتبطة بما أوتيت من سعادة أقبلت عليها، أجل أن ليلة زواجها ستكون ليلة من ليالي العمر مليئة بالمباهج والمسرات، وكم من الغيد الحسان سوف تمتلئ نفوسهن بالحسد على ما وهبها الله من حظ ونعمة، إنها ولاشك سترى الغيرة واضحة جلية تنطق بها وجوههن عندما يجيء اليوم الذي تختال فيه بينهن كسيدة بين الجواري والوصائف يحطن بها كما تحيط الهالة بالبدر في كبد السماء.

مضى شهر كامل بأيامه ولياليه ومرت بطيئة ثقيلة تلك الليالي والأيام وكأنها تجر في أثرها أعوامًا، والفتاة تعد الساعات بفارغ الصبر في

ملل وترقب - بينما هي في أحلامها سادرة تائهة - تنتظر تلك الساعة الموعودة، وما كاد يصل إلى مسامعها خبر قدوم خطيبها من وطنه حتى تنفست الصعداء، ولم تعد الدنيا تسع فرحتها وسرورها، فقد أخذ الشعور باليقين يتسرب إلى قلبها بأن أحلامها وآمالها بدأت تتحول إلى حقائق حلوة جميلة.

دون جلبة أو دعاية، وبعيدًا عن ضوضاء الاحتفالات، تم في هدوء كتب الكتاب داخل المحكمة الشرعية على يد أحد قضاتها، وتأكدت فاطمة أنها أصبحت زوجة، غير أنها لم تر زوجها بعد ولا تفهم عنه إلا أنه يكبرها بأعوام غير قليلة، على أنها لم تعط نفسها أهمية لهذا الفارق من السن، فقد عزمت على أن تجعل من السعادة ستارًا يخفي كل ذلك، ولن يكون هناك حائل دون الوفاق والوئام مادام الرجل خاليًا مما يشينه أو يعيبه، ذلك عدا ما يتمتع به من ثراء، لابد أن يكون له أثره الكبير في إرساء هذه الزيجة على قاعدة متينة من التفاهم والتوافق والمحبة، إذن، لن يكون طريق السعادة شاقًا صعب المسالك ماداموا يملكون أكثر أسبابها.

ليلة كغيرها من ليالي الأعراس عند أغلب الناس لا جديد فيها يلفت النظر، وليس فيها من المبالغة أو المفاجأة ما يميزها عن غيرها، وإنما كان احتفالاً عاديًا ليس إلا، تلك كانت ليلة زواج فاطمة وفي موكب كالعادة أدخل «العريس» إلى الحجرة، بينما تردد في صحن المنزل تلك اللحظة بين المهنئين والحاضرين همس حائر بابتسام مشوب بالألم، وكانت العروس بين مجموعة من النساء في إحدى حجرات المنزل يقمن بإتمام زينتها استعدادًا لإدخالها على «العريس».

ولما انفض جمع غفير من الناس وانصرفوا بعد أداء واجب التهنئة، أخرجت العروس الجميلة في طريقها إلى حجرة زوجها، وقد بدت رائعة فتانة الملامح وهي بكامل زينتها، وما كادت قدماها تطآن صحن الحجرة حتى نهض «العريس» من مكانه، وقد كان منزويًا في أحد الأركان على المقعد، وذهب إليها يستقبلها، بينما ألقت هي برأسها الصغير على صدرها المرمري خافضة الطرف لا ترفعه حياء وخجلا، وما كاد الباب يغلق ويمسكها من يدها حتى رفعت بصرها إليه وتأملته مليًا.

عيناها ظلتا شـاخصتين إلى ما أمامها وهـي واجمة، داهمها الوجل الـذي هو أشـبه ما يكون بالذهـول وكأنما دارت بهـا الأرض أو كادت، طوقتها يده لتحتضنها بشـوق ولهفة، غير أنها تهالكت على المقعد واهنة القوى، لا تقوى على الحركـة أو الوقوف، فتراجعت تلك اليد ألمًا وحزنًا على ما حدث للعروس الجميلة.

حقًا إنها صدمة عنيفة قاسـية، لقد كانت فاطمة قبل أن تلج الحجرة يملأ رأسها الصغير تفكيرها فيه، وأي صورة كان يجب عليها أن تتصوره بها قبل أن تراه؟ لم يكن لديها أدنى شك في وسامته وخفة ظله، وحيويته واعتدال جسمه، غير أنها فوجئت بمالم يكن لديها بالحسبان، لقد وجدت أمامها رجلاً بلغ به الكبر عتيا، قبيح الصورة، ضخم الجثة خشـنها عليه من الملابس التافهة مالم تكن تتخيله من قبل.

كانت صدمة تبخرت لها جميع أمانيها وأحلامها، وما كاد يشرق صباح اليـوم التالي حتى كانت بين يدي والدتها تبكي بـكاء مرًا وتنتحب، أنها لا تريـد أن تشـاهد الرجل الذي تخيفها صورته ويزعجها شـكله، غير أن والدتها اسـتطاعت أن تهوّن عليها بعض الشـيء، وتطمئنها لتتمسك بشعاع من الأمل في السعادة مادام الرجل واسع الثراء، وعليها أن تتعزى بالصبر، وأن تقدر بعد أن تم كل شـيء، ولم تجد الفتاة بدًا من التمسك بأهـداب الصبر على مضـض، وأبت الأيام إلا أن تكشـف بمرورها كل شـيء، وتبدو الحقائق جلية واضحة، عندما اتضـح أن الرجل لا يملك شـيئًا، فقد كانت طاحونة الزمن أسرع من أهلها إذ ابتلعت كل ما يملكه من ثروة دون أن يشـعر بذلك أحد إلا مَن كان قريب الصلة به هناك في بلده.

لقد تبخر الحلم الأخير على تلك الصورة التي تبعث الأسـى والحزن، وأدركـت أن القدر شـاء أن يجعل مكانها بين أحضان اليأس والشـقاء، وأن أحلامها لم تكن سـوى سـراب خادع كذاب، فقـد تقطع كل ما كان موصـولاً بينها وبين الأمل والرجاء. قامت فـي المنزل ثورة صاخبة على والد الفتاة لسـوء تصرفه في اختيار زوج ابنته، وكلما احتد النقاش بينه وبين زوجتـه، وتعالى صراخها عليه ذكرها بأنهمـا معًا كانا متضامنين ومسئولين عن هذا الخطأ، وكلاهما خدعا بهذا الرجل الذي أراده القدر

زوجًا لابنتهما .

وهكذا استقبلت الفتاة حظها العاثـر وتألمت بقدر ما تألمت، غير أنها على مرور الزمن لم تجد بدًا من الخضوع لمشيئة الله وترضى - صابرة - بما كتب لها، ذلك أجدى من أن تكون كل يوم في منزل زوج جديد، وما دامت هذه إرادة الله، فماذا عليها لو أسعدت إنسانًا بتضحيتها، ولاشك أن هذه الإرادة لن تتخلى عنها وربما بدلت آلامها وأشجانها بأفراح جزاء تضحيتها .

ولم تعد تحلم أو تفكر وهي في فراشها يقظة ساعات الليل كما كانت سابقًا تفعل، ولكنها كانت تستعرض في خيالها حكم الصبر التي سمعتها، والعبر التي صوّرت عن السعادة والمال، وتطوف في خاطرها قصص العذارى التي قرأتها، والتي فيها تحطمت أجمل آمالهن على صخرة الحياة عندما أرغمن على الزواج بمن لا يتفق معهن طباعًا وميولاً، كأنهن لا يحملن قلوبًا تشعر وتنبض بالحب والحياة.

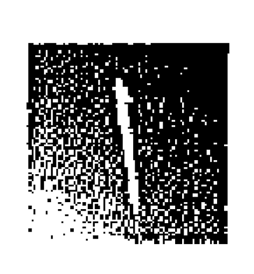
ولاتزال تدعو للمحرومات أمثالها، وتستغفر للآباء أمثال والديها .





ملاحظات بائع لعب الأطفال *

إسماعيل فهد إسماعيل



● السوق المركزي يزدحم بالزبائن، وأنا لا أعرف كيف أتوزع بين المشترين.

«بكم هذه اللعبة؟!».. «وبكم هذا القطار؟»

مدير السوق قال لي في اليوم الأول لتوظيفي:

- بائع لعب الأطفال يحتاج إلى ميزتين ضروريتين. الأولى: سعة الصدر، والثانية، دقة الملاحظة.

ثم أوصاني:

- افتح عينيك على سعتهما فهؤلاء الشياطين الصغار يستولون - بكل بساطة - على كل ما يقع تحت أيديهم.

● أمس - وعلى الرغم من انشغالي بأب لطفلين - شاهدت طفلاً في السادسة، أسمر، يقف وحيدًا، مشدوهًا خلف الواجهة الزجاجية. قلت لنفسي:

«خذ حذرك!»

أنا أعرف أمثال هؤلاء الصغار. ظلت عيناي تراقبانه. وظل هو يراقب اللعب.

---

* من مجموعة المؤلف: الأقفاص واللغة المشتركة.

«ما الذي يبغيه؟!»

● بعد خروج الزبون دخل علي.

«حان وقت العمل!»

عيناه عالقتان بوجهي.

– هذه السيارة.. بكم؟

ابتسمت أمام اصبعه الصغير التي تشير إلى سيارة كبيرة تدار بالبطارية.

قلت له:

– بدينار ونصف.. «تشتري؟»

تجلت على وجهه دهشة. وتمتم:

– كثير!!

أفلتت من فمي ضحكة.

– ما اسمك؟

– ...

ولم أستطع منع نفسي عن مداعبة شعره.

– أين أبوك؟

– «في الشغل»

– اطلب منه أن يشتريها لك!

تطلع إلى عيني بحيرة.

– هو لا يشتريها.

– لماذا؟

– ...

وددت لو كان بإمكاني أن أفعل شيئًا، تردد برهة قبل أن يغادر، شعرت براحة صغيرة.

«الأزمة مرّت بسلام».

● فجأة دخل عليّ ثانية.

«خذ حذرك الآن!»

وقف بين قدمي، رفع وجهه إلي.

– دعني أراها!

صوته استعطاف محبب.

«لم لا أدخل بعض الفرحة إلى نفسه؟!»

- حاضر... ولكن بسرعة.

جئت بها إليه، تناولها باحتراس، تفحصها بحنان.

- حلوة!

واحتضنها بين ذراعيه.

- .. هؤلاء الصغار يستولون - بكل بساطة - على ما يقع تحت أيديهم..».

استدار على نفسه استدارة كاملة.

«ما الذي يفكر فيه؟!»

لم يبقها لديه أكثر. دفعها إلي.

- كيف تدار؟

«هو طيب.. لم لا أدخل بعض الفرح..»

- حاضر.. ولكن بسرعة.

جلست إلى جانبه.

- نظر.. ها هي تمشي.

وانطلقت السيارة تجوب أرض المحل. نظرت إلى وجهه، كان يبتسم بسعادة فياضة.

- حلوة!

● دخل زبون.. رفعت السيارة عن الأرض.

- «يكفي».

ثم تابعت الطفل وهو يستدير منصرفًا.

والتفت إلى الزبون.

- نعم سيدي؟!

- دعني أرى هذه السيارة؟!

دخل زبون آخر. وآخر، وحلت دقائق ازدحم خلالها المحل، ولما خلوت لنفسي بعد نصف ساعة اكتشفت اختفاء السيارة.

«أنا لم أبعها!!»

● اليوم - وعلى الرغم من انشغالي - شاهدت طفل الأمس يقف

مشدوها - ثانية - خلف الزجاج.

«كيف جاء؟!»

وكاد فمي يفلت صيحة دهشة.

«السيارة معه!!!.. سيارتي المسروقة معه!!»

وكان يحتضنها إلى صدره. توزعت بين الزبونة الملحاحة - التي تصطحب ثلاثة أطفال يرفعون كل شيء عن مكانه - وبين السيارة التي في الخارج.

«يجب أن أستردها بسرعة!»

تخلصت من الزبونة بطريقة تكاد تكون فظة. وهرعت إلى الخارج، فكدت أصطدم به.

«هو قادم إليّ»

أفلت من بين ساقي، وسبقني إلى الداخل. ركضت وراءه.

- هاتها!

فتح فمه بابتسامة بريئة جدًا.

- كيف سرقتها؟!

واختطفتها منه. لم يجبني بشيء. كان يتطلع - مبهورًا - ناحية قطار كبير الحجم.

كان عليّ - قبل كل شيء - أن أتأكد من عدم وجود أي عطل في السيارة.

أدرتها، فانطلقت تذرع أرض المحل، ووصلني صوته بتقريرية:

- لم أسبب لها أي عطل.

تملكتني حيرة.

«هو يحادثني كرجل»

التفت إليه.

- لماذا سرقتها؟

- لم أسرقها. أخذتها كي ألعب بها.

والذي أغاظني أكثر.

«يكلمني دون أن يكلف نفسه عناء الالتفات إلي!»

- لماذا أعدتها؟

- «شبعت منها».

«- .. هؤلاء الـ.. يستولون على...»

عيناه مازالتا مبهورتين مع القطار الكبير.

«الشيطان!»

وسرعان ما أدركت الذي يدور في ذهنه.

- لماذا لا تذهب؟!

- ...

ماذا تريد أيضًا؟

سؤالي أشبه بوعيد، وكنت بصدد إضافة:

«هل أطلب لك الشرطي؟!»

عندها أجابني:

- أريد هذا القطار!

«ربحنا!!»

أمسكته من ذراعه الصغيرة.

- تعال.

سحبته ناحية الباب.

- يكفي عند هذا الحد.

غمغمت من بين أسناني:

- أيهااللص الصغير.

توسل إليّ بلهجة باكية:

- أنت تؤلمني!

أرخيت أصابعي من على ذراعيه. وبقيت قدماه تتشبثان بالأرض.

- لماذا لا تذهب؟!

- أريد القطار!

- أي قطار!.. أنت مجنون!

- أنا أعدت السيارة.

- لا.. لا..

- القطار بدل السيارة!

- أتذهب؟ أم أسلمك إلى الشرطي؟!

تجسد الحزن البائس على وجهه.

– الطفل الطيب لا يسرق.

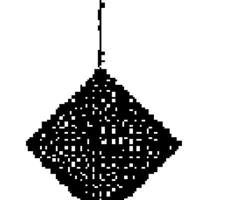
تخطانا أحد الزبائن إلى الداخل، ثم تابعت الطفل بعيني وهو ينصرف مجرجرًا قدميه، حتى ابتلعه الباب الرئيسي للسوق.

«مرت الأزمة...»

● دخلت زبونة، وزبون آخر، وآخر، وحلت دقائق ازدحم فيها المحل، وما إن خلوت لنفسي بعد ربع ساعة.

«كيف حدث هذا؟!.. أين ذهب القطار؟!»





خدر من مساحة وهمية *

سليمان الشطي

-١-



- ها هو اسم قاتلي!

حدقت فيه أعين مشـفقة ضائقة، يده ترتعش، ضلت طريقها مرتين قبل أن تعثر على شيء!.. ورقة (مكرمشة) تَعَلَّق بطرف جيبه المتهدل، ينتزعها بعزم متخاذل، خطوط متداخلة مضطربة.

- أقول لكم. ها هو اسم قاتلي!

حيرة واضحة عند المحيطين، فقدوا معنى التصرف، بل لاتزال تتحكم فيهم هيبة حتى في هذه اللحظة العجيبة.

صوت رقيق مجامل ومساير يميل برأسه.

- ولكن.. ليس فيها سوى.. سوى الاسم الأول: عبدالحميد!.. وشهقت أخته.

- اسمك.. إنه اسمك!

وبعين فاقدة كل بريق نظر إليها وأطرق بصوت متقطع:

- لا.. لا. شـخص آخر. أقول إنه شخص آخر.. هددني بالقتل. الأمر بسيط.. أخطأت بحقه. أمر بسيط، ولكنه مع هذا هددني وتوعدني.

---

* من مجموعة المؤلف: رجال من الرف العالي.

- ونطق آخر:
- يمكن أن تتدارك الأمر.
صوت بكاء مر، حشرجة وصوت غير مكتمل:
- ما به.. آه.. أخي.
- لا تخافوا، إذا حدث شيء لي فاقبضوا عليه، حتى لو متّ قضاء وقدرًا، هو المسئول. إذا حدث شيء هو المسئول لا غيره، لو أن حجرًا مسّ إصبع قدمي فهو المسئول.. غادِر.. قد يكون المظهر سليمًا فلا تنخدعوا، ابحثوا جيدًا.
واقترب أكبر الإخوة:
- خبرنا فقط بالقضية، دعنا نفهم، ما تقوله غير معقول، إذا كان الأمر جدًا نذهب إلى الشرطة.
وانتفض:
- لا.. لا فائدة من الشرطة، إذا حدث أي شيء بلغوهم.
- ولكن ما الفائدة،بعد فوات الأوان، نذهب الآن أحسن.
- لا .قلت لكم كل شيء، إذا حدث.
وانزوى الأخَوَان جانبًا :
- هل تصدق الأمر، أنظر إليه إنه مضطرب الأعصاب، نذهب به إلى الطبيب.
اللحظات تمر، الأمر كما هو، خروج دخول، وجوه كالحة وأذهان شاردة، لم يصدقوا ما يرون، تكون النهاية هكذا؟
كان مفخرة لهم، هو الاسم الأبرز والأشهر، كم مرة أطلت صورته من صحيفة أو تلفزيون، واسمه الذي يتردد بين الأفواه بفخر، ها هو جالس، وجه مُسْوَد، كل ما فيه يهتز، سجائر متوالية ومعدة خالية، كانوا يلجأون إليه حين تضيق دنياهم بهم، ولكن الآن ماذا يفعلون؟ يتابعونه وهو يتحرك من غرفة لأخرى، يستقر في الزوايا، يمد يده هنا وهناك، يحركها بإشارات لا معنى لها . أطفال نساء رجال يتابعونه وقد عجزوا عن فهم شيء.
ثلاثة أيام توالت بين الخوف والإشفاق، التصديق والشك، مرة يرون الأمر جدًا لا بد من تصديقه، وحينا يطردون الخاطر الآخر الذي يخافون

منه. هل حقًا فقد عقله؟

لم يستطيعوا الهرب من خاطرين ملحين، مهدد بجسمه وروحه أم بعقله.

منذ شهور والأمور غير واضحة يكثر الاختلاء بنفسه يقلب كتبًا وأوراقًا. ليال طويلة مرّت ونور غرفته لا يخفته إلا نور الصباح،ولكنهم اعتادوا هذا. هل كان عبدالحميد يُرى دون كتاب أو أوراق؟

ولكن الأمر زاد عن حده، ضايقهم ما يرونه من بقايا لون أصفر من كأس الليل، ما كانوا يملكون ردًا لأي شيء، ووقف هذا عند حدود الرؤية التي لا تضر والرائحة التي تضايق.

وقبلوا الأمر.

وتطورت الحالة وهم يرقبونها بصمت، زادت الحركة، أصوات تصدر رابتهم، ولكنهم لم يجرؤوا. بدأوا يجدونه صباحًا في حالة مضطربة، ونوم غير عاقل ينام في أي جزء إلا فراشه، مرات عديدة كان رأسه أو قدماه يطلان من فتحة الباب. أرادوا أن يسألوا، ولكن بقيت صيغة السؤال محيرة. فصمتوا.

وبدأ اضطرابه يتجاوز غرفته، أحسوا أن طلباته كثيرة وغير معقولة، يغضب ويضحك والرابط بينهما ضعيف، يجلس بينهم يعلق تعليقات ضاحكة وهم الذين اعتادوا منه الجد.

أسرّوا بما في نفوسهم لأخيهم الآخر، ابتسم:

– الأمر غير مقلق، لحظات الانبساط مقبولة، لقد قضى أخوكم حياته كلها جدًا بجد، حمل هموم الأمة فوق رأسه، لعله بدأ يفيق، دعوه فقد أثقل عقله بأفكار لا حصر لها.

واطمأنت الأخت السائلة، فقد أرعبها سلوكه غير الطبيعي، رأت الأخوين وقد استندا إلى الجدار يضحكان. الأمر بسيط حتمًا.

وازداد الأمر سوءًا، الأيام الأخيرة كسرت بقايا الأوهام، الأخ الأمل بدأ يتهاوى، كثر فتح وإغلاق الأبواب والشبابيك، وأخذ يحشر جسده في الزوايا، يقلقه النور الآتي من أي جهة كانت. يقول كلامًا عاقلاً فينشرحون ثم يعود إلى أحاديث خِبْرتُهم بها تُكذِّب وهَمَهم، لقد ألفوا كلامه الغريب، طول عمره يردد أقوالاً ألفوها فقد كانت تمثل قمة العقل

والعلم فهل حديثه الآن هو نفسه أم ماذا؟

هل كلامه معقول يجهلونه أم تخاريف لا يمكن أن تصدر عن الأخ الذي كان إذا تحدث صمت الآخرون؟

- إنه يقول كلامًا متوازنًا.

- ولكنه غير معقول.

- وهل كنتم في يوم تفهمون ما يقول عبدالحميد؟

- ولكن حديثه الآن غير.. شيء غير معقول. شيء آخر.

واختلفوا، مضت أيام وهم مختلفون، هل عبدالحميد يقول كلامًا معقولاً أم أنه فقد عقله؟ وأحاطوا به مرة أخرى، لايزال يخرج الورقة ويعيدها.

- ها هو قاتلي.

صمت برهة، رفع رأسه، ومد رجليه بانفراج:

- قل لي...

ومسحت عيناه غير المستقرة من حوله، نظر إلى أخيه الأكبر الذي دخل توًا، كان أقربهم إليه.

- قل لي.. حقيقة. هناك شيء غريب، مسحوق أبيض، ها.. هذا المسحوق يتغلغل في كل مكان.. هناك أناس، هذه مهنتهم، يقذفون الآخرين بهذا المسحوق القاتل. هل رأيتموه، يرمونه من أي مكان من الأبواب، الشبابيك، من كل فتحة، من كل مكان ينفذ منه نور، مسحوق يُرمى عليك فيلتف ويتطاير حتى يحيط بنا. قل لي.. حقيقة.. ما هذا الشيء.. هكذا.

وقابل كفيه، باعد بينهما.

- هكذا.. يكبر.. ويكبر.. يمتد يدخل بين الجلد فينفخه يمتد.. يمتد.. سمعتم يغطي كل شيء، ونموت. نموت.

وداراه أخوه:

- فعلاً، ولكنّ لكل شيء علاج.

- لا.. إلا هذا.

جو مغبر، زاد المساء عتمة، تطاير كل شيء في الجو، حشرات تلطم الجدران.

- نذهب إلى الطبيب،. حقنة وكل شيء ينتهي.

- لا.. هذا الأمر لا ينتهي.. يأتون بأشياء كثيرة ومتنوعة.

الغبار يزداد، العفار يدخل من كل الفتحات، جراد تائه بطش به الغبار فتطاير بين الأرجل، سقطت واحدة بين فخذيه المكشوفتين فجرهما بخوف واضح.

- ها هو.

وتضاحك الأخ.

- لا. هذا جراد.

وعاد الاطمئنان إليه.

- أنت لم تجب عن سؤالي، ما هذا الشيء الأبيض الذي يلقى على وجوه الناس.

وران صمت إحباط، وتابع:

- تعرفون، يمكن الاستفادة من هذا المسحوق، آه لو نعرف سره.. أين أنت لتراه، إنه سيختصر الطريق.

- أي طريق؟

- ألا تعرفونه. بهذا المسحوق سنغير كل شيء، حينئذ سننتصر ويتحقق الحلم، وقتئذ سنضحك، أليس كذلك؟ كل الذي أردته سيتحقق في لحظة، يا لها من فرحة غامرة. هل جاء الوقت الذي نفرح فيه فرحة حقيقية؟ آه. فقط لو يتوقفون عن إلقائه في وجوه الناس.

وأجهشت أخته بالبكاء، وكانت عيناه محمرتين لا تستجيبان لشيء.

-٢-

قال الطبيب:

- حالة عابرة.. اطمئن.

الأمر بالنسبة له ليس عاديا، أوراق التوصيات والتلفونات تشعره أن هذا الشخص الذي سيمثل أمامه يحتاج إلى جلسة خاصة، الاسم ليس غريبًا فحين قال له عبدالعزيز إن عقله يزن كل بقايا عقولكم أيها الأطباء، وتاريخه عريق، خدماته الاجتماعية ومواقفه السياسية تضعه في مقدمة الرجال، تذكره أخيرًا، كان يصول ويجول، شهده وهو يقود مظاهرة عارمة، يومها انطبع صوته الجهوري القوي، تمنى أن يكون مثله

وظل بعد ذلك أطيافًا وأخبارًا يسمعها بين الحين والآخر، ها هو الآن يمثل أمامه مريضًا.. حالة عابرة، هل هي حقًا كذلك، أين كان عقله؟ أشياء كثيرة تقال. مثل هذه الحالات تعتمد على رواسب قديمة! القضية ليست جرثومة عابرة، ولكنها حالة تحتاج إلى وقفة ودراسة، هل كانت تعود إلى تلك الأيام المشحونة الذي تمنى أن يكونه أم.

وقلب صفحات كتاب فاستقر عند صورة هيئة بشرية متغيرة، الأمر فعلاً يحتاج إلى نظر، هل هي حالة إدمان يمكن السيطرة عليها، أم أن الرواسب أقدم من الشهور حتى وصل إلى هذه الحالة التي لا يصل إليها المتوازنون مهما دفعتهم الظروف إلى الإفراط؟ أرجو أن يكون الأمر كما قلت لهم، ولكن مهنتنا تعتمد على الآخرين كثيرًا. حسنًا لعل في هذه الحالة فائدة مباشرة لبحثي.

أمسك بالملف الأسود المتضخم بالأوراق، فرصة طيبة بل إنها ضربة حظ طيبة فلأول مرة أحصل على أوراق مهمة تفتح لي طريق الفهم. أكد لي أخوه أن هذه الأوراق هي التي شغلته كتابتها طوال هذه الشهور الأخيرة، لعلها تشير إلى تطور هذه اللحظات.

وراحت أصابعه تقلب الأوراق، أسهم وإشارات وملاحظات واعتراضات، طريقة في الكتابة لم يعتد على قراءة أمثالها، وتأمل.

هذه الأوراق تفتح أمامي اهتمامات جديدة: ثورات.. تمرد، اغتيال.. تخطيط، تغيير، ما هذا؟ هل يمكن أن أجد شيئًا مهمًا، وشدته الأوراق التي بدأ يألفها.

مقدمات في التنظيم الثوري (تخطيط أولي)

لكي ننجح لابد من الدراسة المتأنية لكل تجربة سابقة - لتكن نظرتنا موزعة بين عناصر النجاح والفشل حتى تثبت أقدامنا على أول مراحل الطريق.

واضح أن هناك أسلوبين من العمل: أحدهما يسير هادئًا، دعوات سرية، يتعاقب العاملون بها حتى يحين الوقت فيتحقق النجاح جزئيًا أو كليًا.

الثاني: الضرب المباشر المؤثر المقلق والمستمر، وهذا قد يوهن الخصم ولكن النجاح بعيد وقد يستفيد منه أصحاب التخطيط الأول في إنجاح

مخططاتهم.

في التراث العربي أمثلة تفرض نفسها،ففيها تكمن المداخل الرئيسية لمثل دراستنا، وهي تقدم لنا أنموذجًا للتلازم بين دقة التنظيم والنجاح، وتقدم لنا أيضًا الفشل المتدرج بين النجاح الجزئي، أو الانتهاء المباشر.

الخوارج: الإيمان بالفكرة يتجاوز المألوف إلى مراحل عالية من التضحية – العقيدة: قائمة على التطابق بين الإيمان والعمل – الوسيلة: شجاعة فائقة تناولتها أخبار معجبة – حركات كثيرة باءت كلها بالفشل. الأسباب واضحة، إن تلك العناصر الإيجابية افتقدت الحنكة السياسية والتنظيم المبرمج – حققت نجاحًا جزئيًا فيما بعد في مناطق نائية.

الزنج: قدمت طرحًا اجتماعيًا لبعض القضايا لكن منهجها غير محدد المعالم حتى إنه أضاع هويتها – مرحلة الكمون قصيرة جدًا – رغبة الانطلاق السريع تحكمت في قائدها – العناصر التي اعتمدت عليها عبارة عن أقلية فئوية وسط محيط كان يمكن الاستعانة به – لم تدرك – أو تهتم – بأن الطرح الاجتماعي مع الفكر المنظم يمكن أن يوسع القاعدة (كما سنرى فيما بعد عند القرامطة) النظام الذي اتبع في الثورة كان تقليديًا، لم تحافظ على الأرض التي تكسبها، فاندفاعها إلى ما تحت جناح الدولة ومركزها الرئيسي واستخدام هذه كمناطق ساخنة ساهم في سقوطها – نجاح محدود في بضع سنين.

القرامطة: حققت نجاحًا لا بأس به – قدمت طرحًا اجتماعيًا عامًا.

المبدأ: العدل والمساواة – المجتمع المتآلف حيث يخلف الذئب الراعي على غنمه – يعود الإنسان كما ولد – «ونُريدُ أَنْ نَمُنّ عَلى الذِينَ استُضْعِفُوا في الأَرضِ ونجْعَلهُم أئِمةً ونَجْعَلهم الوَارِثِين».

وقد استطاعت الدعوة المنظمة بجانب خبرة التاريخ والانتماء إلى الحركات السرية أن تفيد هذه الحركة – الدعوة تحركت في عدة محاور – كانت الاستفادة غير كاملة – فيما بين الدعوة السرية والخروج.. سنوات قليلة – مقسمة إلى أقسام – علاقتها بما حولها غير واضحة – كانت خليطًا من عدد من الأفكار – إيجابية التنظيم والطرح سبب في تحقيق النجاح المبكّر – العلاقات الاجتماعية داخل الدولة جديرة بالدراسة فهي التي حققت لها الاستقرار زمنًا – لأول مرة تقوم الدولة

بواحب تيسير الحياة للأفراد.

العباسيون: قدمو لنا النموذج الناجح الذي اعتمد النفس الطويل المبرمج والسرية المحكمة - بسطوا الأفكار نفسها التي دار حولها كثير من معاصريهم - هدوء التناول هو الذي حقق كل هذا - بناء فكري واضح - كمون مفيد - تنظيم هيكلي دقيق قائم على تحقيق العلاقات - الإعداد الدقيق - ما بين الاجتماع الأول ٩٧هـ (أو حول هذا التاريخ) - إلى التفجير المسلح (١٢٧هـ) مدة كافية (هل يمكن المقارنة بين نظامها الهيكلي ونظام الثورة الجزائرية).

- هناك أسئلة يمكن أن نضعها كمحاور أساسية حول كل دعوة من هذه الدعوات لنرى إمكانية تبين صدق الصورة ومطابقتها للحقيقة التي نلمسها من خلال النصوص التاريخية. وإلى أي حد نستطيع المقارنة بين هذه الحركات والثورات الفاشلة والناجحة في عصرنا الحديث.. ثورة ١٨٤٨ - كمونة باريس ١٨٧٠.

-٣-

- هل تناقشني كمريض؟

- أنت بخير، لقد قرأت بعض أوراقك.

- ماذا؟

- لا تنس أنني طبيب، ولكن، لقد أصبحت أسيرًا لها، أريد أن أعرف .. تقول إن الثورات أصبحت مشبوهة.

وصر على أسنانه.

- كل شيء أصبح مشبوهًا.

- إذن هو الاغتيال.

- قد يكون أي شيء من حيث لا تتوقع شيئًا!

- من الذي دفعك إلى هذا؟

- هو.. وحده الذي دفعني، لأول مرة أحسست أن ما تحتي خواء، هو لا غيره.

- من هو؟

- لا عليك، أردت فقط أن أثبت شيئًا.

- ما هو، وهل أثبته؟

صمت. واصل الطبيب النظر في أوراقه.

وسلط عينيه على الطبيب:

- هل تريد مني أن أحكي؟

- نعم، احك لي.

xxx

- أفقت يومها على صوت مرافقي.

- ها هم!

صحراء منبسطة تغطيها عتمة أول المساء، الحلقة الكبيرة تهمهم وقد تلاقى ظلام الرءوس مع الصحراء، بقية من اصفرار يعصب جبين الأفق، حديث ممتد، أجساد تنحني ثم تسجد متممة بقية الصلاة.

تقاربوا فازداد التلاصق، وانفرجت لي بقعة في الصدر، فأنا ضيف عليهم، لقد دعوني بعد أن أوحوا لي بأن أفكارهم لا تقبل المناقشة، نفرت من محدثي، ومع ذلك سكنت واستمعت إليه بهدوء وهو يؤكد لي أنهم يحترمون أفكاري ويقدرونها لذلك لا مانع من أن يتبادلوا الأفكار، بل إنهم ذكروا صراحة أن هذا التعاون يجب ألا ينظر على أنه تنازل عن خطهم السابق.

كنت متخوفًا: إلى أي حد يمكن لواحد مثلي أن يسير مع هؤلاء أصحاب النظر المحدود، وهل يحتمل فكرهم التغيير والتطوير؟

تخافتت الأصوات، شبحه أمامي، عيونه تخترق الظلام الزاحف، أحسست أن هدوءهم يناقض الصخب الحي الذي كان يميزنا، ولكنهم ها هم يكادون لا يتنفسون.

وبدأت نبرة هادئة تبرز وترتفع، وأحسست أن أذني مقصودة، قال:

- نحن نريد إصلاح الأمة.

وتمتمت، حاولت أن أقضي على حشرجة معترضة لأظهر بمظهر الطرف المفاوض:

- كل القوى تريد هذا.

- إذن يمكن أن نعمل معًا؟

- ولكن.. ألا يمكن أن نتفق على معنى الإصلاح؟.. هل نستطيع مثلاً.

وقاطعني ونظر إليّ بنظرة أحسست أنها ساخرة:

- ألا تـــرى أن الاتفاق على نقاط الضعف والفســـاد التي تريد إزالتها أجدى وأنفع وأكثر إمعانًا في الاقتراب وتوحيد القوى الذي طالما تحدثتم عنه؟

- حسن. حسن.

ولاحقني الآخر. عيونه يزداد لمعانها مع الظلام:

- إذن لماذا لا نصنع شيئًا؟

وأحسست بذكاء خاطر يتحرك في داخلي قلت:

- هل أي شيء يمثل شيئًا حقيقيًا؟

طريقتي في المحاورة لم تعجبه فقال باقتضاب:

- لا بد.

سكت قليلاً، حملق ثم تابع:

- ... وإلا فكيف نبدأ.. قد لا نكون نحن الذي ســيحقق شــيئًا، فمن يبدأ قد لا يظفر بشيء، ومن دونه لا يكون شيء، من دونه لا يكون شيء.. سمعت.

أثارتنـــي طريقته، ولكن الغمــوض يحيط بهؤلاء الصغار، أحسســت بالارتعـــاش حينما أدركت أنهم صغار، هأنذا أفصل نفســـي عن النبض الـــذي ظللت مؤمنًا به حتى تلك اللحظة، هـــذا الحديث الواضح الهادئ يغيظني، عيناه لاتزالان تشقان الظلام الزاحف.

لحظتئـــذ تذكرت عينيهـــا وطريقتها في الكلام.. حـــين كانت الجموع الصاخبـــة تهدر وتزمجـــر، وكنت يومها لســـانًا منهمرًا يقطر حماسًـــا، صدقني لم أكن أعرف من أين تأتي الكلمات ولكن اللحظات المحشـــودة تخلق ما لا نتوقع، لقد استسلمت لي العقول والأجساد.

صرخت:

- لا بد من تحطيم كل شيء.

وصاحوا ورائي.

- لا بد. لابد. يسقط الأعوان. لا بد. لا بد.

يومها كنت أقف على قمة عالية.

ورأيتها، حماس هادئ، كلمات عملية، وجمال لا يخطئه الناظر، عقلها المنظم وســـعة معلوماتها، التي لمســـتها حين بدأنا نعمل كفريق عمل، كل

هذه لم تستطع أن تصرف النظر عن تلك العينين الآسرتين.
قلت لنفسي:
- ليتني أتزوجها..
خاطر سريع وجد صداه في سني التي بدأت تفرض نفسها عليّ وتدعوني إلى تفكير لا أريده. وظل هذا يتأرجح طوال تلك الأيام التي كنا فيها معًا.. ولكنه تلاشى إلى الخلف، حينما حدث لك الأيام من جموحها. بدأت اللقاءات تقل. لم أجرؤ على الخروج من إطاري الذي يميزني عن الآخرين. وطمست الأيام الهادئة ذلك الخيط الذي حاولت أن أمده.. واختفت.. ورأيتها.. تجمع آخر حضرته على الهامش فلم أكن أريد أن أحرم نفسي من المراقبة. رأيتها، تغيرت هيئتها، كساها حجاب سابل، أبيض غطى الجمال الذي كانت عيناي تسارقان النظر إليه، ولكن الوجه المستدير المتعافي وخط العيون الواضح بالنظرات التي عرفتها لاتزال باقية، يومها قتلني السؤال عنها، وما كان أحد بجانبي، تحرّقت شوقًا للحديث إليها، ولكنها في شغل آخر.
واستخدمت طريقتي في الكشف عمّا أريد. وعلمت أنها تزوجت، وهذا هو زوجها، يومها تمنيت أن أراه، هذا الذي استطاع أن يغطي هذا الجمال بمثل هذا الحجاب، أين ذهبت كلماتها الدقيقة الحاسمة؟ لقد ظفر بها.
هأنذا جالس أمامه، لعلها الرغبة الجامحة السابقة نفسها التي دفعتني للقبول بأن أجلس هذه الجلسة. المساء أخذ يخفي كل شيء حتى توهان الأعين التي غابت في عالم بعيد، آه لو استطاع أحد أن ينفذ داخل هذه الهياكل الجالسة لرأى عجبًا.
حاولت أن أجاريه في طريقة عرضه للأمور، ملكني شعور العجز، لقد اعتدت أن أستخدم ألفاظًا وكلمات ومقولات وجدت حرجًا فيها. كَلّ لساني عن العرض، لقد فرض عليّ مفردات ومسميات تدعو إلى أن آلفها، أردت أن أقول شيئًا. قلت:
- لا أدري كيف البداية، ولكن.
وقاطعني.
- نحن ندري طريقنا ونفقه هدفنا.

– لاشـك أن الهدف واضح منذ زمن طويل، تاريخنا الطويل يكشف درايتنا، ولكن الوسائل تحتاج إلى وقت.

– تُذكرني بحديث مشايخ السلطة حينما يرفعون أكفهم إلى السماء دون يقين، التذرع بالوسائل حجة الخائف أو العاجز، الوسيلة جزء من العمل. لذلك لنفكر بالخطوات العملية.

– هذا أمر محفوف بالمخاطر... قد. قد لا ننجح!

– واضح أن العمل عندك ينبع من الشخص لا الفكرة، أنت تفكر بنجاحك لا بنجاح ما تؤمن به، هل تعتقد أننا من اللاعبين، لقد سلمنا أمرنا لله، لذلك جعلنا المخاطر دبر آذاننا.

وغلبتني كلمات فقلت:

– إن التكتيك الصحيح مرتبط بالاستراتيجية، وإن الأفكار ليست مجردة ولكنها مجسدة.

– النجاح مرهون بالعمل، يمكن أن نختار أي جزء ونضرب، يجب أن يحسوا بأننا موجودون ولا كلمة إلا للحق.

– التفكير والتخطيط أمران واجبان.

– هل عملنا وفشلنا؟... على كل حال نحن نعرف ماذا نفعل، المهم أن تعلم أننا اخترناك لتكون حلقة وصل جامعة. أفكارك – مع خلافنا معها – تحترم أساسياتنا التي نعتمدها.

جرحتني كلمة اخترناك فلم أعد أتبين كلماته، وانتبهت على صوته وهو يردد:

– ... لذلك نسألك سؤالاً محددًا نريد أن تنقله إلى العناصر الأخرى. إلى أي حد تستطيع أن تتعاون معنا وكيف؟

– في هذه المرحلة نستطيع – أقول إن الإخوة – قد يشتركون معكم في اتخاذ بعض المواقف الوطنية ذات الطبيعة الجماهيرية أو الملتصقة بمشاعر الجماهير.

– قلت إننا يجب أن نتجاوز هذه الخطوط المرسومة والمعروفة بدايتها وسيرها ومؤداها. نريد عملاً إيجابيًا، يجب أن نضرب بسرعة.

– وإذا لم ننجح؟

– يبقى الحل الآخر والأخير.

- الأخير؟

- نعم.. الاغتيال.

- أعتقد أن هناك نقطة جوهرية، وهي أننا لن نستطيع أن ندخل أو نسمح لأحد بأن يدفعنا إلى القيام بعمل غير ناجح.

حملق باحتقار واضح، أحسست بكلمته المنتزعة من بئر كتوم:

- هكذا أنتم دائمًا.

ونفض يديه وصمت. جلستنا أشرفت على نهايتها، أردت أن أعيد الاتصال معه مرة أخرى، قلت:

- أعتقد أن هذه اللقاءات ستتكرر.

- يصير خير إن شاء الله.

واشتعل داخلي بهواجس كثيرة حول هذا التنظيم. حزّ في نفسي أنني لم ألمس في ختام جلستي تلك النظرات التي اعتدتها.

كانت خواطري تلهب أعماقي، سأبحث في تشكل وتكوين الثورات، سأخاطبه من واقع الحركات التي يعرفها، لأريه أن ما أقوله هو الحق، حين يرى تجارب الآخرين ودرايتي بها، في اللقاء الآخر سأعود وقد انتزعت من أصحابه الإعجاب. خيالي يحاول أن يعوّضني عن تلك الليلة، لعلي كنت خائفًا أو فاقدًا لشيء لا أريد أن أكتشفه فأكشفه، ومع ذلك صممت أن أريه كيف كانت الثورات وكيف يُخطط لها.

ونظر عبدالحميد إلى الطبيب متسائلاً:

أعلمت معنى هذه الأوراق التي بين يديك، إنها بعض، بل بداية الشيء الذي كنت أريده أن يسمعه.

ولكن لم يسمعه.

وقال الطبيب:

- ألم تلتقيا؟

- نعم التقينا ولكن لم تكن الصحراء تجمعنا، موقفان عجيبان، كان في داخلي شيء يحرّكني فأقضي الساعات الطوال في البحث، وأطل علي مرة أخرى ليوقف كل شيء.

لاتزال صورته ماثلة، العينان نفسهما، التلطيخ الأسود لم يلغ ما كنت أراه فيهما، هو هو، لم تلقه الحواجز، كأني وحدي، المقصود بنظرة

الاحتقـار تلك، يومها تذكرتهما، حتى الكاميرا لم تسـتطع أن تلغي ذلك التأثير، كان الشـريط يطلق صوتًا متكتكًا،عيناه تشـقان الشـريط، لم تسـتطع اللقطات الجانبيـة أن تقلل من الهيبة التي شـعرت بها إزاءه، البريق بـاق، بينما كان الحرس المدججون يحيطـون به ومن معه، وجوه عرفت بعضها، لقطات الكاميرا تمر مسرعة عليه فلا تغادره إلا وهيمنة عينيه باقية.

سـمعت أخبار الاقتحام، والظروف لم تكن بغريبة عليّ، أيام حاسـمة طويلة، وأخبار متضاربـة لا نعرف من خلالها إلا القليل، ولكن الحقيقة التـي لم أسـتطع أن أبتعد عنها هي أنه هناك، فـي الداخل، لقد وضع نفسه في بؤرة مشعة لا يستطيع أحد أن يتجاهلها، تذكرت كلماته - نحن ندري طريقنا ونفقه هدفنا - التذرع بالوسـائل حجة الخائف أو العاجز - أخيـرًا اختار فأصبح موجودًا، رفع صوته وانطلقت بندقيته في البقعة التي يقدسـها فكانت قبلته، هل فكرت يومها حين رأيت وجهه الخاشـع والمتوجه نحو القبلة أنه سـيكون محاصرًا في قبلته. فكرت في كل شيء إلا أن أراه في ذلك المكان على تلك الهيئة.

يومهـا لهثت وراء الأخبار، هل كانت معه في ذلك الموقف، تخيلت ذلك الشـعر المنسـدل والعينين النافذتين وقد غطاهما دخان البنادق ونيران الجحيم الأرضية، كل شـيء أصبح متعـذرًا، وألقيت الأوراق التي تراها جانبًا، لم يعد تعنيني الكتابـة عن الثورات والتنظيمات، والتنظير للثورة الناضجة. مضى الإنسـان الذي أردت أن أتحداه، وبقيت كلماته الأخرى تشغلني، هي وحدها الباقية، أتعرف ماذا أقصد بكلماته الأخرى؟

وتساءل الطبيب.

- ذكّرني بها!

- الاغتيال!

هل فكرت في أن تغتال أحدًا؟

- أردت أن أدرس فكرة الاغتيال، أتتبع جذورها في تاريخنا.

- والفائدة؟

- لعلها الطريق الوحيدة، ألم يقل هو أن هناك حلاً أخيرًا؟

- وبعد؟

- اســتهوتني الفكرة، وواصلت الدراسة، لم أرد أن أكتب عن الاغتيال كالثــورات، الأفــكار غير المنطقيــة تحتاج إلى ما يلائمهــا، لذلك كتبت الأوراق الأخرى. انظر إليها... إنها تلك الصفراء.

-٤-

وراح الطبيب يقلب الأوراق الصفراء:

بقايــا غبش الليل، خطــوات متئدة حذرة، لمعان آلــة القتل يلقي شــعاعًا مضطربًا. ملتصق في زاوية من زوايا المســجد، تلمســت يــده النصلين بارتياح، يقــول لي أن عمل له رحــى تطحن بالريح، لئن ســلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب. هل أحسســت يا عمر بوعيدي. أعرف أن تســليمك يلغي حذرك ولكن آن أوان الانتقام. نعم. نعم. نجار، نقاش، حداد،.... ولكنني قتّال يا عمــر. قتّال. درهمان ادفعهمــا كل يوم، بيني وبينك أكبر من هذين الدرهمــين اللذين كنت تلتهمهما يا مغيرة، آه يا أرضًا ممتدة طويت تحت الأقدام، يا دين، يا من طويت مجدنا لتبســط ســجاجيدهم، أليس هذا بكاف كــي أقف هذه الوقفة، يا عتمة الليل المتبقية متى تنقشعين.

أنا بالانتظار يا عمر!

***

رحمكــم الله يا قتلى النهروان، ســنكفكف دمعنا، مع هذا الفجر الآتي سيســدل ستار الظلمة، ساعتك ســتحين قبل الآخرين، آه يا برك بن عبدالله يا صادقا، كل شياطين معاوية لن تخبره بانتظارك، ليتني يا عمرو كنت معك حين تجندل دهاء عمرو، وينتهي ليل الأمة، والآن يــا أيها الليل متى تذهب ليأتي؟ أيــن أنت يا علي، الحكم لله لا لــك، وأنا في الانتظار، لقد انتظرت طويلاً، فقتلني هدوء الأيام، لولاك يا قطام ما اشتعلت هذه الشعلة، عجبًا. جمالك بهرني فأضاع كل تخطيط. كدت أن تُنَسّــيني، ولكن وقفتك الشامخة التي ازدادت عتــوا بجمالك: لا أتزوجك حتى تشــتفي لي، يا لها من كلمة رائعة! اشتفاؤك يساوي اشتفائي... ثلاثة آلاف وعبد وقينة و...

هذا أوان ســداد بقية المهر، الدراهم والقينة، لا يساويان جزءًا يسيرًا

من هذه اللحظة، هذه البقية الباقية، إن مهرك سيتحدث فيه المتحدثون يا قطام.. قتل علي!

***

- نقطع بها اللحم!

صدقتما، ومن أصدق منكما يا هرمزان ويا جفينة، سأقطع بخنجركما لحما تمنينا تقطيعه منذ زمن، هذه فرصتنا. لا أدري ما هي دخيلتكما الآن، أعرفكما جيدًا، طول عمركما تتناجيان، ولكنني وحدي الذي سيرفع الصوت عاليًا. ركبكما الآن تصطكان، لن تستطيعا أن تشاهدا هذه اللحظة المجيدة، ولكن هأنذا أجمعكما في شخص واحد، أنتما معًا في شخص واحد، أنتما هذان النصلان، نعم يا عمر: نجار. نقاش. حداد. وبعد لحظات سأكون قتالاً، قتالاً!

***

هذه بداية الحركة، إنه صوتك، ويل لأصوات منكرة، هذا الوز يوقظ الهاجعين أنت تدفعها: «صوائح تتبعها نوائح»، يا سيفي سندعُ الدنيا تنوح، يا نقيع السم شهرا، أريد كل هذا السم في هذه اللحظة، هاهو صوته مرة أخرى، الصلاة.

الصلاة. إنها لحظتك «لن يموت حتى يملأ غيظا، ولن يموت إلا مقتولاً»، ها أنت غيظ يتحرك فآن أوان القتل، لست بالشقي يا علي. تقول: «ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه»، بل سأكون شقيا إن لم أفعلها.

لتستعد لحيتك فسأخضبها من دم الرأس، يا رفيقي استعدا. شبيب.. وردان... هاهو مهر قطام يجمعنا، وهذا صوته.

- الصلاة. الصلاة.

***

أردت فقط أن أقترب منك وأتأملك، أقترب لأعرف كيف أضرب، لقد تمنيت هذا منذ ذلك اليوم المشئوم، لعلك نسيته ولكني لم أبال يومها، لو كنت أمامي لقتلتك في الحال، سبيٌ نهاوند تستقبلهم مدينتك، يومها لم أملك نفسي، لعل الأخبار وصلتك، هل أملك إلا أن أمسح تلك الرءوس وأذرف الدمع «لقد أكلت يا عمر كبدي». «أكلت يا عمر كبدي».

صرخت عاليًا... لعلك صدقت تلك الطُرفة. نعم طرفة من الطرف حكاية الدرهمين تلك، هل تصدق أن واحدًا مثلي يأتي ليتحدث في أمر درهمين. صدقت ما كنت أدفعه ليس بالكثير عليّ، ولكني دفعت من قبل شيئًا كثيرًا، هذا العمل الجديد كم هو خراجه؟ كثير. كثير جدًا. ذهب الذين يدفعون، اطمئن يا هرمزان لا أرغب بشيء. متعتي أن ألج هذا الخنجر من طرفيه في بطنك يا عمر.

هل هذا يشفي؟ إنني أرتعش. هاهم يستعدون، أناسك يسوون الصفوف، ويل لرجل زلت قدمه أمامًا أو خلفًا، لن أسمح لدرّتك أن تعتلي أي رأس. سأضرب بنظام وستختلط هذه الصفوف التي يرتبها لك صحبك... آه... ها أنت. الثبات. الثبات. يا كلّ آلهتي. إني أرتعش. يا ثبات الصانع. أنا بحاجة الآن إليكما أيتها اليدان. ثباتكما، كم يشيع خوفًا في النفس... هاهي أقدامك.

وتحسس النصلين، جرحه ارتجاف عابر. ضم كفيه واستعد.

***

أحسّ الآن بخوفكما، هل أخافكما أبو الحسن، إنني أيضًا أرتعش، لقد قلت لك يا قطام: ما أراك ذكرتِ قتل علي وأنت تريدينني.

آه... طاشت ضربتك يا شبيب... طاشت، أين أنت يا وردان، حملتك قدما الهرب. ولكني وحدي سأصنع كل شيء، أنا وحدي سيعلو سيفي، لم أعد ملجمًا فأنا طليق. طليق. صنعت كل شيء، وسيتم مهرك يا قطام.

- خذها..

- أدركوا الكلب فقد قتلني!

أنني لا أتنفس، لا أدري يا خنجري ماذا صنعت، لم يبق لي إلا أنت.

***

هوامش وملاحظات:

أولا: هل اتفق هؤلاء الثلاثة على الأمر، أم أن كل واحد سار بطريقه الخاص. هل هي مؤامرة عامة القصد منها قتل الإمام علي وأن البقية تغطيه. والأصل هو الأول، وإلا فهل يمكن قبول هذه الصدف الغريبة حيث نجا الآخران، الأول لا يصاب إلا بجرح، والآخر يتخلف..؟

وهل كان الخبران الواردان عنهما صادقين. وتبقى بعد ذلك إشارة أبي الأسود الدؤلي الصريحة وكأنها تنبّه إلى هذه المؤامرة.

وأمـــر آخر، هـــذه القصة حول هذه المرأة الخارجيـــة، كيف نقبل هذه الصـــدف المزودجة، أن تكون جميلة، أن يشـــغف بها ابـــن ملجم حبًا، ثم تلتقـــي مطالب مهرها مع ما كان ينويه أصلاً. هذا أمر غريب يحتاج إلى تفسير. بل إنها قصة محبوكة.

ثانيًا: إن الصورة واضحة بالنسبة لقتل عمر، فأبو لؤلؤة لم يكن وحيدًا، فنحن أمام ثلاثة أطراف تشـــير إلى النقطة الرئيسية، فصلته بالآخرين لاشك فيها، وقد يكونون قد دبّروا هذه المؤامرة.

حقائق:

أ- لما قدم ســـبي نهاوند المدينة جعل أبـــو لؤلؤة لا يلقى منهم أحدًا إلا مسح رأسه وقال: أكل عمر كبدي.

ب - شـــوهد هو مع الهرمزان وجفينة ومعهمـــا الخنجر الذي قتل به عمر، وقد كان هؤلاء يجتمعون اجتماعات خاصة.

جـ - كان كعب الأحبار ينبه عمر إلى أنه ســـيموت. هل كان هذا يعني أنـــه على علم بالموضوع وأراد أن يبرئ ســـاحته أو يبعد اشـــتراكه ويلقي بالأمر على أمور غيبية؟

ملاحظة مهمة وخطيرة:

الأمر الذي لابد أن نقف عنده في هاتين القضيتين هو.... أمر غريب يبعث على الشك، لماذا نحن كذلك؟ إن الاغتيالات كشفت عن هذه العورة الجديدة لنـــا. هاهي الاغتيالات عندنا، إما أنها مشـــبوهة أو متخبطة، وحصيلتهـــا محزنة، إننا نقتـــل فقط الطيبـــين والناصحين والمخلصين، ويبقى الآخرون لا يمسهم شيء. وهذا أمر حقير.

ولكن... ولكن.

***

- ٥ -

قال الطبيب:

- لماذا؟

- كان لابد من أن أتوقف. الطريق مسدود أمامي.

قال عبدالحميد لنفسه:

أصل دائمًا متأخرًا، هاهو سـواد الشـعر الملتف، الرأس المتحرك مع ميلان السيارة، كان سائق التاكسي يهز رأسه عجبًا:

- رجال... رجال حقيقيون... أليس كذلك؟ أبطال!

شفته ورأسه يتحركان، يده تضرب على فخذيه، بصق وناكف من حوله، جسمه بعيد عن سيارته، وتحشرج السؤال في الحنجرة، تردد في حلقه، لم يعتد الحوار مع هؤلاء، رغبتهم الطافية بالحديث يكتمها بالتشاغل أو بالابتسامات غير المشجعة أو باستجابة فاترة تمنع من الاسترسال، بينما يهدر الحديث عنده حينما تحلو جلسـة المساء مع صحب ساخط. ولكنه هاهو يحاول أن يفتح الحوار، يكسر حدة الغيبوبة التي عاشها مع أوراقه، فقد سقط كل شيء وأفاق على السطور الكبيرة الغامضة:

قتلوه...!

جندلوه أخيرًا!

كأنـه كان غائبًا عن هذا العالم، كيف هذا وهو يعيش في البؤرة، يالها من سخرية فاقعة، بابه المقفل وأحلامه التي راحت تنساب مع موضوعه الذي شـغله: (الاغتيال في التاريخ العربي). حقًا إنها سـخرية عجيبة، الأسـئلة المزدحمة في رأسـه انفلتت خيوطها. إن هذه العناوين الفاقعة تؤلمه، هل جرؤ على أن يحلم بمثلها..

- ما رأيك؟

هز رأسه فاهتز كل جسده، مال مع سيارته قال:

- رجال... وهو.. هو هذا رجل ابن أمه وأبيه حقيقة.

- ما معنى رجل عندك؟

سكت برهة، لم يحتمل السكوت:

- رجل يعني رجل... عند كلمته.

- الذي يقول وينفذ؟

- نعـم... نعـم... هذه. يقـول وينفذ. هكـذا يقال. يقـول وينفذ... حقيقة.

- ولكن ألا يفكر.. يعني يتفحص؟

- يمكن... يمكن... لماذا لا؟

- ولكن التفكير قد يدفعه إلى أن يتراجع؟
- لا. هذه لا. الرجل لا يتراجع وإلا فلماذا قال؟
- يفكر.
- من يفكر لا يغتال.
- ولكن ألم يسبق الاغتيال تفكير؟
- بلى... تفكير في الاغتيال فقط.
- أنت ترى هذا...؟
- نعم. نعم.
- أنت سعيد؟
- جدًا.
ونقدته أجرته:
- ولكن صاحبك قد يقتلونه.
- لا.
هذه اللا التي سمعها بقيت عالقة، طريقته فيها الجزم.
- لا.
عجيب هذا التفكير.. لأول مرة لم أستطع أن أحرّك اهتمامي نحو التساؤل لقد انتهيت.

***

قال الطبيب:
- وبعد؟
- لاشيء...
- أنت تعرف الحالة التي جئت بها. أخبرني ماذا بعد؟
- قلت لك لاشيء... صدقني، جلست، مددت قدمي، راحت عيني تمسح ما حولي. أيملك مثلي الآن أن يصنع شيئًا، السؤال الذي أهرب منه هو: لماذا أصل دائمًا متأخرًا؟ كنت أظن أنني الأول دائمًا، فكيف أصبحت الآن الأخير؟ (لعلها هذه هي المشكلة التي لم أرد أن أبحث عنها، ولكن هأنذا أمامك).
مددت قدمي، راحت عيني تمسح ما حولي، لم يعد لدي ما أصنع، أحسست أنه لاشيء يصنع، أدير رأسي فيما حولي، فأحس بالعجز. لقد

انتهى دوري، رأسي أصابه الخرس، مددت يدي، كعادتي، إلى كأسي وجعلت أتأمل الهرب من التفكير، فأقع فيه. كان عالمًا جميلاً ، لأول مرة أحسست أن كل عقبة يمكن أن تحل. أغمض عيني فأجد ما أريده قد تم. هكذا انتهى كل شيء واكتشفت أخيرًا معنى أن تمدد قدميك وتترك عينيك تتحركان بحرية. توقف كل قصد. يضايقني أمر واحد، رغبت في الهرب منه إلا أنه يلح كثيرًا، الماضي الذي يطاردني. أن أعود لأتذكر ما كنت أصنع. يعود الأشخاص والأقوال إلى ذهني. الحركة الخلفية أو الأمامية لا أريدها. أجمد كل شيء، أوسع اللحظة، أمطها لتتبعج فإذا هي عالم غريب، وأمد يدي إلى ما حولي. آه لذة. أليس كذلك؟ اللحظة تمتد. تكبر، تحارب التخشب وأنا وراءها. ودب التوقف في كل متحرك أو نابض. هكذا كنت. هكذا - وأتوق أن أبقى و... لا عودة أبدًا. ولكن الآخرين ظلوا يطاردونني.

حطموا لحظتي.

هذا كل شيء.

***

قال الطبيب:

- قد يكون أكثر تماسكًا مما نتصور، لعلها حالة عارضة...

- ومع ذلك قد يعود.

***

راح المسئول الكبير يقلب طرفه بين تقريرين، وتساءل ضاحكًا، أيهما سيلغي الآخر: الداخلية أم العيادة النفسية؟ وهمس:

- لابأس... لعل فيه فائدة.

تأمل عبدالحميد ورقة التعيين (ملحقًا بسفارتنا)...

وابتسم باستهزاء، التفت إلى صديقه المرافق:

- أتذكر كلماتك التي ارتجلتها في ذلك الحفل؟

ولكزه الآخر:

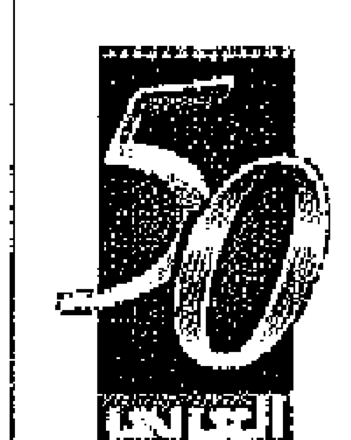
- تعرف يا عبدالحميد أنني لا أرتجل، أردت أن أحييك بطريقتك، فكتبت تلك الكلمات وحفظتها وجلجل صوتي:

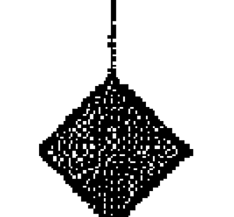
يا نبعــة متفجّرة، يا كل الكل. ياليل الفجــر الصادق، أنت ذرة التراب الحمراء التي اندست بين الجفن والعين لتكسر تحجّر أمتك يا هذا... يا...

- وبعد؟

- لقد ســقــطت كـلمات مؤرخ فــاشل، علــيك أن تــنــقذ نفسك يا عبدالحميد..!







شجرة طويلة وأرنب صغير*

سليمان الخليفي



هناك علـــى منتهى مرمى النظر، في رقعـــة تهتز عليها مويجات النور البدرية أو شعاعات النجوم تفقد الأشياء أطرها المعهودة... عندما تتقارب الأبعاد وتتباعد، فتتداخل المرائي.

شـــجرة طويلة، طوييييلة! أغصانها الدنيا ملفوفة لف وشـــيجة صوف مغـــزول. تتعالى مـــن فوقها طبقـــات فطبقات من الأغصـــان المتضائلة الأقطار طبقا عن طبق، ونثائر الأفنان أكفا لدنة الوريقات ناعمة، تسمق وتستدق فتتدبب.. في شكل مخروط الذرة العاري من لفائفه.

شجرة متلاوية، كروية، جذعها عريض الإسطوانات، متلاحم الأنساغ، كثيف، ساخر. وهي مدحدحة.

هنا دريشـــة تتصدر بالكونـــي. ومنه تطل على المســـرح. ينداح المكان بينهما على مســـافة خمسين خفقة من جناحي مشوقة، أو خمسين خبة من قوائم مسحور.

خرج الأرنـــب من بيته، مغتديًا على هبوب العليلِ. أبيض كالســـحاب. يسيل على أنفه لون الغامق النبيذي.

يلوح الأسود على ظاهر يديه، ويوخط فروة ذيله الكركوشي.

---

* نشرت في مجلة البيان: رابطة الأدباء في الكويت، العددان ٤٨٣ - ٥٨٣. يوليو - أغسطس ٢٠٠٢.

بيته غرفتا نوم: ماســتر، وأخرى للضيوف بحمام كامل. مطبخ صغير، صالون استقبال، ومصطبة تضم طاولة وكرسيين قيد الاستعمال.

لكن بيته منحوت في جســد الشجرة القصيرة، على مفارقة من عادة الأرانب. وأدنى غصونها مظلته الهالية.

موعد الحمامة، وقد جاءت ســوداء كمقطع الفحم المتنامل إشــعاعه. تتقلد طوقًا أبيض ناصع الدرجات. حامت دورة تتفرق مقادمها وخوافيها عن أمشــاط جناحيها. ينبســط أحدهما وينخفض الأيسر فتتحكم في لولبة المناورة التشكيلية تشعر به ينبهر إليها.

تســتوتر الهالة عند نق.. تتعامد كحرية دخان إلى غاية الشهيق: تطق روســا ذات الجهــة وتلك، ينخفض رأســها، ينقلب جســمها مرتين بين جناحيها، ثم تنخرط على أعلى الغصون الخضراء: أرجوحتها الصباحية. اتّديــرف هناك، مثنى ورباع. تنحدر على الأصفر، مازالت تشــعر به، ثم تريز على الغصن المكين.

عينــاه عصير رمان يتذبذب فيها آلاف الأرانب الدقيقة ومشــتهياتها، وقلبه صوت يترسم.

- صباحك الخير. قالت:

- صباحك أخير.

- وينك أمس؟

لاحظ في عينيها سؤالاً آخر يبتسم.

- أنظف البيت. وأنتي؟

- جيراننــا بلابل مزعجة. ظلوا يغنون حتــى الفجر. الظاهر عندهم مالد! لم أنم إلا صباحًا. جئتك الظهر.

- وحلمتي؟

- أنني سمكة.. ونصفها بنت. يسمونها..

- حورية. رأسها البنت؟

- حتى يحبها أمير سفينته ضائعة.

- لكن، لماذا تحلمين هكذا؟

- لأنني محرومة من البحر.

- وأنا من السماء.

- ألا تحب أن تحلم؟
- ... أن أتزوج لبؤة.
- لبؤة عاد؟!
- إن كنت سأحلم، فلا أقل من لبؤة.
- لماذا؟
- حتى تنام تحت المظلة، فلا أخاف.

جاء كلب - خلفه ذباب رهيب، ثقيل الحجم، أشهب، منتن - ليس سلوقيا ولا جيرمان شـيبرد، كلا... بل من كلاب المزارع، أرقط، أخذ يتشمم كل مكان، وينثر بوله على الشيء البارز وذلك المثير، كمن يرسم خرائط. غير أنه متقلب المزاج، فتارة ينبح بتوحش وأخرى يعوي كالمواء. لكن لا يلبث أن يغيب، ليعود. وجوده يمثل حدثًا ملحوظًا، وإن يكن عارضًا.

خـرج ثبثوت إلى الفناء منتظرًا قدومها. وراح ينتفض بجسـمه طاردًا عنه رطوبة المأوى وكسل النوم.

يجري هنا وهناك، يلوك هذه العشـبة ويقضـم عودها، يلفظ برعمًا ويشـتم آخـر، يتطلع إلى السـماء ويجس حركة الريح لسـماع خفقات الأجنحة وهديلها من بين شتى الأصوات المتلاحقة.

فيما كانـت تحلق من فوق وتلعب في دوائر الخيلاء من أعلى ناظريه، كان يتكـور وينطلق ثم يتقافز ويشـرئب على قدميـه، ضاحكا مبتهجًا، يستخفه الطرب.

ولما ألهبتها متابعته الشـغوف، وكأن التـوازن اختل بها... هوت غلوة، فشهق بـ «اسم الله عليك».

- تعرف ما الذي يدهشني فيك؟

نحت لك بيتًا في شـجرة، وهجرت الأرانب، أنت سوليتير جنسك هل تتعبد؟

- لقد أكل فأر كبير، بأنياب صفراء، أخي التوأم. فجعت أمي وهربت، وضعت منها.

- لم تبحث عنها.

- كيـف؟ هي تركض، وأتحرك في اتجاهـات، وعندما أظلمت الدنيا، ولم تسمع ألا أصوات الكلاب، لجأت إلى الشجرة.

- متى حدث ذلك؟
- منذ ثلاثة بدور.
- هل أطير وأبحث عنها؟
- وكيف ستعرفينها؟
- ما شكلها؟
- دافئ وحليبها يغني.
- ولونها؟
- لون التفاحة الخجول.
- سأسأل الأرنبات: أأنت من قد أكل الفأر ضناها؟
- كانوا كثرًا.
- سأحاول.
في اليوم التالي عادت والحزن بعينيها.
- طـــرت كثيـــرًا بالأمس، لكنني أخيرًا وجدت رســـامًا يتخذ من أرنب موديلاً. لم تكن ثيابها عليها. كان بردانًا وحوله نار مشتعلة.
- ربما ليشبح قماشته.
موقف قبل المساء.
- ما هذه التي تطل من جيبك؟
- هذي وثيقتي.
- وثيقة؟!
- وثيقة بيتي.
- لبيتك وثيقة؟
- طبعًـــا. لـــو أنه مجرد بيت، لما كانت له وثيقـــة. لكنه بيت مجرد. أنا طبقت مخططه إلى وظيفته، فتمكنت من السكنى فيه.
- أنت ماركسي؟!
- أنا ثبثوب والأجر على الله. يعني شنهو ماركسي؟
- ... عمومًا، بعد البيريسترويكا، لا داعي.
- خير؟!!
- فيما بعد.

كان ببغــاء كالح اللون، ربما كان أخضر في يوم ما، يتردد على الوادي، لكنه يتحدث أكثر من لغة، قال ذلك ثبثوب.

- ما الغريب في مجيء ببغاء إلى وادينا؟

- في جيبه قلم.

- ربما كان يعمل في سيرك.

- ربما. لكنك لم تسأليني ما الذي يدهشني فيك؟ وأنت أيضًا تهدلين خارج السرب.

- ما هو؟

- لــم ألاحظ عليك، أي وقت، التقاطــك لأي عيدان. أليس لديك من تحبينه وتبنين معه عشًا؟

- لم أخلق لذلك، فأنا قديمة منذ الدنيا الجديدة.

- كيف؟ كل الحمام، كل الأوقات، يحمل العيدان.

- حملت أثقل عود كان على الأرض.

- اليوم أنت على مبدأ الفكاهة. أم أنك حزينة؟

- كلا.

- إذن؟

- كنت مرة.. رسولة النبي.

- أنت...

- نعم.

- ولمن؟

-لألتقط أي شيء أبصره، فحملت غصنًا.

- أنت التي؟

بعــد أفولين وثلاثة مغارب، بكرت الحمامة ذلك اليوم، وثبثوب لم يكن قد صحا من نومه. أخذت تتأرجح ثم تنزل على الغصن الأصفر فالبني، بعدهــا تطير، وتكور لتحط وتهدل، ثــم تلعي على غصنها المياد. وثبثوب يغط في سبات عميق. لقد أوجست خيفة، فالكلب يلحس خطمه، والببغاء يحك منقاره في الصخور. الدنيا صمت مطبق، والرطوبة خانقة.

نزلت، مشت تجاه بيته شبه راكضة شبه طائرة، تنهض نهضات قصيرة مصفقة بجناحيها، تكاد تســمع وجيب قلبها، والعــرق يبلل طوقها، كان

شـعورها في السـابق غامضًا . أما مع هذا الخوف المثار عنيفًا بسـبب البوادر العارضة، فلاشك أنه الحب: كيف أحب أحدًا ليس من مواخيذنا، ماذا سيقول الحمام، ما هو المستقبل؟ لا أدري. لكنه لم يعد ثمة شك في حبي! وقفت بإزاء بابه وصرخت، مغالبة حياءها، بشـعور القانط الموجع، بعـد إذ لم يترجع عن صدق حدسـه أيما أمل! ليطل ثبثوب من شـباك النوم يفرك عينيه.

– هلا عيوني...!

واسـتدرك محرجا، ذلك أنها المرة الأولـى، تقوده عفويته، فلا يحترز بتعابيره كما يليق: عفوا فأجأتيني. لعلني كنت أحلم.

– آسفة، خذ وقتك، خشيت أنك غادرت إلى مكان... وأسرت هلعها.

– فقط أغسل وأفرش أسناني.

– سـأنتظرك لنفطـر معـا. «هـلا عيونـي!؟» جكيتك يـا الملعون! طارت والأشـعة الملونة المخترقة لأغصان النبات مراقص تهتز أعطافها بين الطبول.

كان الكلـب يختفي، ولم تدرك الببغـاء، جلس ثبثوب، وفي كفه جزرة، على حافة صخرة، وهي يجانبه على جذع صغير مقطوع التاج، وفي نقرة منه بعض من الحب الشمسي.

– أتعرف أعجب شيء في وادينا؟

الببغاء..

– الببغاء أعجب..

– كلا.. تابعته أمس بأكمله، ولم أبصره طائرًا...،

– أكان في قفص؟

– وهل رأيت قفصًا؟

– لعله مقفوص بريشه.

– فقط يتسحب بين الحفر والصخور وفيما وراء الأكمات.

– أتظنينه من خارج البلد.

للأرنـب ثلاثة ألـوان: الأبيض والأسـود وذلك النبيـذي ولعل لهذه المصادفـة الوراثية مؤدى رمزيًا ينم عن تلون الأنـواع في مكنون النفس لديه، ومن ثم تشكله.

في اليوم التالي، انكشفت السماء صافية عن الحمامة. وكانت تركن إلى جانبه وتدور حول نفسها، دورات كثيرة، كمن يبحث عن شيء! وحتى يتغلب على حيرته، سألها: من أهداك هذه القلادة؟

- أمي.

التفتت وطارت، ريثما تجفف دمعتها. فقال ثبثوب: أطوارها غريبة، هذين اليومين. وكمن يخاطبها: إنك لأروع من أن تكوني حقيقة! وعندها عادت. سألها: لم لا تبنين لك عشًا على هذه الشجرة؟

شعر ببعض الغرابة إذ لم تجب! واستحى أن يستفسر.

- وأين أمك؟

- لم أجدها بره السفينة.

- فقال في نفسه: ولا أنا كنت على ظهرها، تحبين البحر لتجربتك المريرة، ثم توجه لها: وهل كانت تدش الغوص؟

- تنكت حضرتك؟

- أوه... Sorry، في تلك الأيام!

وماذا كانت تسميك؟

- حبيبتي! ولم تتطلع إلى عينيه.

- إذن، سأناديك: حبيبتي! فرح بهذا المبرر، وخجل من طيشه، فاستدرك: أليس هو اسمك؟

كانت الحمامة تعيش حالة رومانسية مؤرقة، ذلك أن فارق السن بينها وثبثوب كبير جدًا.. هذا عدا عن فوارق إثنيه لأمراء فيها! ولو حدث وأن عاشت معه تحت سقف واحد، فلابد أن مطبخها، سيختلف عن مطبخه، بما يترتب على ذلك من صعوبات شتى. تلك هي الأمور التي شغلت بالها، تلك الأيام. فاصطبغ مسلكها بنوع من القلق والتردد، وإن كانت عاطفة ثبثوب، وإخفاقات لسانه، وحبه الساذج والمتدفق يغمرها بسعادة لا تقاوم.

والغريب أنه بالرغم من المخاوف من كلا الجانبين، كانت الطبيعة تدخر منبعًا خفيًا لكنه مؤثر ودائم لطمأنينتهما. مما دعا ثبثوب إلى أن يسر لنفسه: لأنني عرفت بأن التوافق مع جنسي مستحيل، لتعقيدات الزمن وحواجزه ونشوء أكثر من هم في عالمه، وأن كمال التوافق مع

الآخر مســـتحيل! آثرت الحب المتبــادل مع الآخر، وإن لــم يكن تمامه! وأدرك الآن بأننـــي في تيه العلاقة! غير أن كل جانح من مســـالكه مفعم بالـرنين. وسواء، أكانت عرائش الحب في دوالي تتحدر أو أطرافًا متسقلة، فســتنتهي لغايتها ! لابد إذن من مناورة المستحيل عند نقطة، حتى يمكن الجمال. ما أروع أن تشعر بالأرض، يشف عنها السحاب، تلك هي روعة الأجنحة، وأول أسباب الحب.

في إحدى العطل الأسـبوعية، جاءت مبكرة، وغنت النافذة، ثم طارت إلى الغصـــن الأخضر وأخذت تتأرجح، فخرج ثبثـوب والفرح يتلون بين عينيه، وحطت إلى جانبه، وقالت:

- صباح الخير..

- صباح النور، اشلونك؟

- أسود ...

- ها ها ها... حلوة.

- آنا والا النكتة؟

- كلاكما.

وأغمضت جفنيها.

- قولي لي.. على سبيل الحلم، لو أنك ستتزوجين فمن سيكون؟

- فيلاً.

- ولم؟ سأل بانزعاج حاول يخفيه.

- لأنني أسـتطيع أن أتلحف بأذنه، عن البرد. ويستطيع أن يدخل بي إلى البحر، في عصائر الزجاج والبلور، فأتمتع بالمشـاهد السـابحة في أفلاكها.

- لكن حبك لن يكفي فيلا.

- في الحلم سيكفي.

***

بعد نثر من الكريستال وقمر وثوان، قالت:

- نتكلم بصراحة؟

- قال نتكلم.

- قالت - ما البحر؟

قال – سرير ماء، يهجع عليه الخشب.

قالت – وحدهُ؟

– قال – شاطئ.

قالت – وعليه لا يغرق متنفس!

قال – والسماء؟

قالت – تحسب أنها كون، وتنطوي عليك، فماذا لديك؟

قال – الوله. وأنت؟

قالت – أنت!

قال – فماذا نصنع بريشتك وفروتي؟

قالت – لا أدري.

قال – وتحبينني؟

قالت – وأنا في أجواز السماء، وبراثنك عالقة في عشب الأرض، أحس بدائرتك دائرة علي.

قال – وأنت، بالأمس والخوف، أدركت أنه: مني وعلي!

قالت – مشكلتك.. في الخبرة.

قال – مشكلتك.. في اليقين.

قالت – في نفسها: لو أنني اشتريتك أو أخذتك، لكنت الآخر! لكنني لم أزد على أن وجدتك، وأنت مني، ثم توجهت إليه: هل سأكون، دائمًا، حلوة في عينيك؟

قال – وهل سأكون نفس ثبثوب.

قالت – ألا تخاف مما حل في وادينا؟

قال – هل ستحبينني؟

قالت – هل.. سينام ويصحو القمر؟!

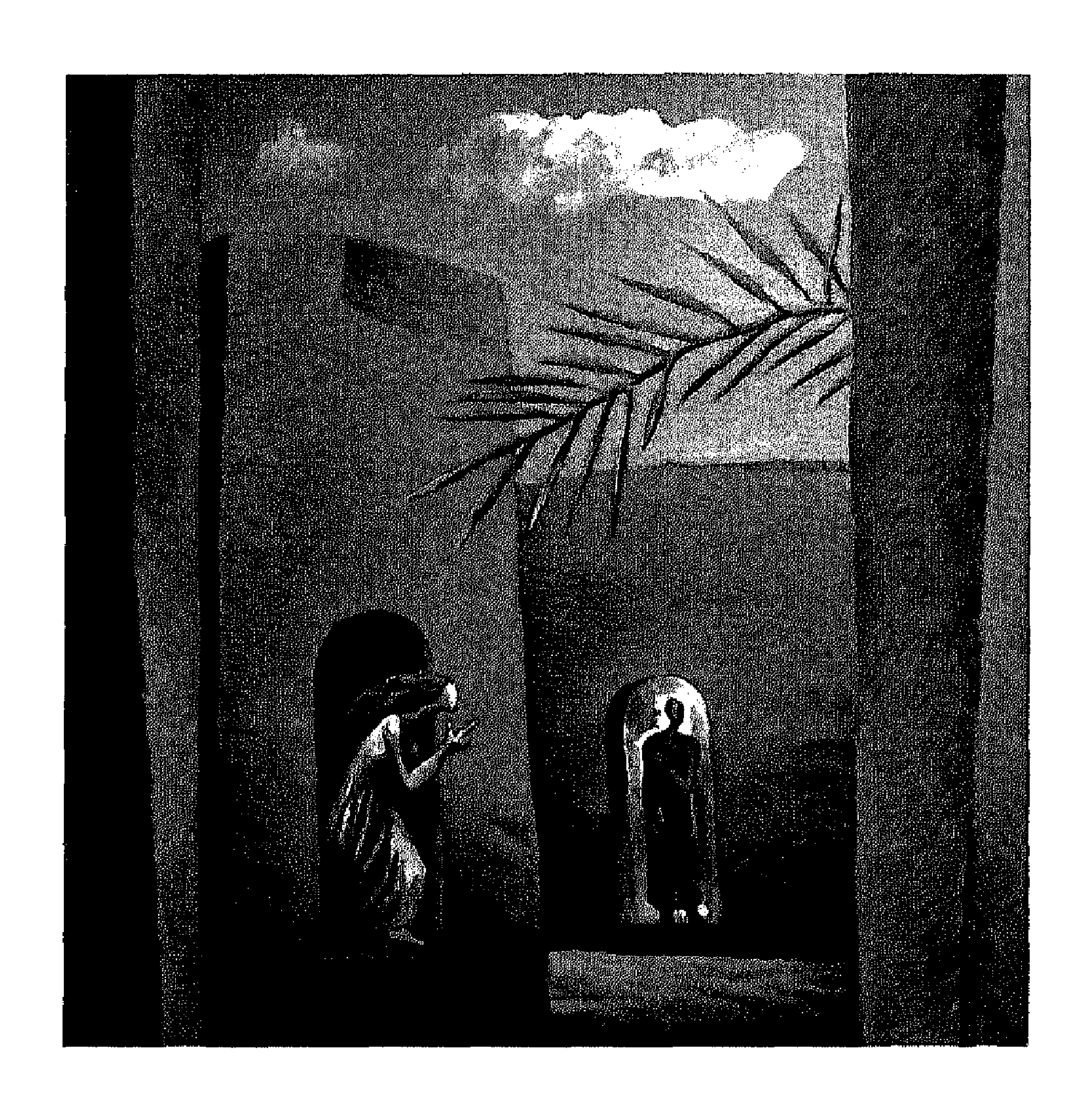
×××

وبعد حر وقر. فجأ الطبل، وكلت الأصداء، وكان لما وفد الضريان... فرت الحمامة، وقبع ثبثوب في بيته خشية المخاطر.

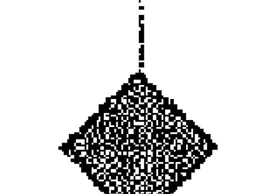
لكن الحرمان صعب، فكان لابد من المخاطرة، أو الحياة في حفر السماء، فما كان منها إلا أن تحدرت بسرعة السهم والتقطت للمرة الثانية في حياتها – وثيقة ثبثوب، ومن هناك إلى الأفعوان. فهرب

بمجيئه الضربان وسقط في الجليب المندثر، وعض الكلب، صار الذباب طلقه - واختفى الببغاء.

حطــت الحمامة على أرجوحتها وثب ثبثــوب، تغيرت الأبعاد اتضحت الصور، وراح ينأى ثم يرجع القمر.







قطتان *

عبدالعزيز السريع

توقفت السـيارة بجانب الجدار الذي اعتادت الوقوف بجانبه كل مسـاء، ونزل منها صاحبها وقد حمل بيده كيسـين من النايلون، لفّهما جيدًا تحت إبطه، وأغلق باب السيارة وتفقدها كعادته، ثم انصرف يضرب الطريق بقدميه بطريقة منتظمة كالعسـكري الذي انضم حديثًا إلى سلك الجندية، مزهوًا بحمله.

وعندما توقف أمام باب بيته، أخرج مفتاح الباب وفتحه بهدوء، ثم دلف إلى الـرواق المؤدي إلى البيت وهو يحاذر أن يسـمع. أغلق الباب بهدوء بعـد أن ترك حمله علـى الأرض اللامعة النظيفة، وأخـذ يردد أغنيته المفضلة بصوت خافت. وبعد أن تلفت وتأكد من شمول الصمت، عاد إلى كيسيه وحملهما واتجه بهدوء أكثر إلى مكتبه ومكتبته، القابعين في غرفة خشـبية صنعها وتكلفت الكثير لكي يسـتغني بها عن باقي غرف البيت ويشعر بالهدوء والصفاء كلما لجأ إليها، فلا ينازعه فيها منازع.

دلف إلى غرفته وأضاءها ثم جلس على أقرب كرسـي، وتناول الكيس الأول وفضّه على عجل، وأخذ يقلب الكتاب الأول، وسيماء الرضى ترتسم على وجهه، تناول المسـطرة الحديدية من على المكتب وأخذ يفتح الملازم

---

* من مجموعة المؤلف: دموع رجل متزوج.

الأولى من الكتاب ويتابع السطور بلهفة وهي تمر بسرعة أمام عينيه.

قرأ قليلاً من المقدمة، وقرأ اسم كاتبها، وابتسم واثقًا، ثم تصفح الكتاب ووقف في آخره قليلاً، ثم نهض ووضعه في مكانه من المكتبة، حيث بدت الكتب مرصوصة بجانب بعضها البعض، جزء منها مجلد، والجزء الأكبر لم يصل دوره في التجليد بعد. وتناول الكتاب الثاني وقلبه بين يديه كأنه يزنه، ثم تركه بجانبه هذه المرة، والكتاب الثالث والرابع، وهكذا حتى أتى على الكيس الأول، وأمسك بأحد الكتب الموجودة داخله، وتصفحه وفتح جزءًا منه وأخذ يقرأ، واندمج في القراءة، وتاهت منه السطور وسط الكثير من أفكاره. إن الوقت الآن متأخر، وزوجته في انتظاره، وهي لا تعلم بأنه قد دخل إذ قد حرص على ذلك حتى لا تكتشف ما أتى به من الكتب، لأنها لو علمت فستثور بينهما ضجة أخرى كالمعتاد. ولذا، حرص على أن يجنبها ويجنب نفسه المشقة.

في السكون ووسط أفكاره، سمع مواء ضعيفًا لقطة صغيرة. فأرهف السمع ليعرف مصدر الصوت، يا للعجب! إنه قريب، قريب جدًا، ماذا؟؟ هل تكون القطة خلف مكتبته وقد عجزت عن الخروج، فلير، ما هذا؟ إن المكتبة قد زحزحت إلى الأمام من مكانها، ولم يلاحظ هو ذلك عندما دخل. إذن، لا يمكن للقطة أن تتسلل خلفها. قد تكون إذن تحت المكتب. ولكن، لو أنها تحت المكتب لماتت حتمًا، إذ لا يمكن أن تحتمل ثقل المكتب بما يحوي. إذن، يجب أن تكون خلف إحدى الكنبات. إنها تواصل المواء، ومواؤها مؤلم جدًا، يبدو أنها تتألم منذ وقت طويل. أخذ يقلب الكنبات، الواحدة تلو الأخرى، ولم ينتبه لصوت قدمين تقتربان من غرفته. وسرعان ما توقفت زوجته أمام الباب، وفتحته بهدوء، وبهتت عندما رأت زوجها يقلب الكنبات، ثم دارت بعينيها في أنحاء المكتب وتركزت أنظارها على مجموعة الكتب التي تكوّمت فوق المكتب، وقد التفت هو، بعد أن شعر بعينيها تلسعان ظهره، وأخذ ينظر إليها بوجل، ويتابع نظراتها إلى كتبه وقد وقع المحذور.

ترك الكنبة من بين يديه، واعتدل واقفًا لمواجهتها، وقال هامسًا: مساء الخير.

ركزت نظراتها عليه ولم تجب، فشعر بالحرج، وأراد أن يداري ارتباكه،

وغمغم:

- ألم تسـمعي القطة وهي تتألم. لقد فتشت جميع أنحاء الغرفة فلم أجدها.

- هـل تريد اسـتغفالي؟ ما هذه الكتب؟ هل عـدت من جديد لتبذير النقود.

- هل تسمين شراء الكتب تبذيرًا؟

- نعم، إنك لا تقرؤها كلها، فقط تقتنيها للزينة، إنك لا تكاد تقرأ منها إلا القليل.

- هـل معنى ذلك أنك توافقين على شـرائها إذا مـا توافر لي الوقت لقراءتها؟

- نعم، ولكن من أين لك بالوقت؟ أنك لا تقرأ إلا على حسـاب راحتي وراحة أطفالك. كان يجب أن تتفرغ لنا بعض الوقت. في الأوقات القليلة التي نجدك فيهـا بيننا، تنصرف لمكتبتك وقـراءة الكتب. وهكذا مضى الحوار. وقـد احتـار فيم يرد عليها: إنها تـتكلم بمنطق سـليم، وهـذا ما يغيظه. إنه يشتري الكتب، ولكنه لا يستطيع قراءتها كلها. هناك كتب يشـتريها لمجرد الاقتنـاء فقط، وهو يدرك أنه لن يقرأهـا... إذن، لماذا يشتريها؟

وانطلق صوت القطة من جديد، ولكنه كان ضعيفًا هذه المرة.

- مالك لا ترد...؟ هل من المنطق أن تأتي في سـاعة متأخرة لتجلس في مكتبتك دون أن أعلم، وأفاجأ بوجودك هنا؟

- إذن ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- ليـس أنت على أي حـال. إنها القطة، وصوتهـا الذي جعلك تقلب المكتب رأسًا على عقب.

وعلم منها بسـماعها مواء القطة منذ مساء الأمس. وأنها قد زحزحت المكتب من مكانه وقلبت الكنبات بحثًا عنها دون جدوى وعلمت أخيرًا أنها قد حشرت بين الجدار الخشبي لغرفته، والجدار الأساسي للبيت، وأنها عجزت عن الخروج، إذ لا يمكن لها الخروج إلا بكسـر جداره الخشـبي وتخريب غرفة مكتبه.

وهاله هذا الأمر.

إن القطـة تواصل مواءها بصوت خافت موجع، وقـد وقفت أختها الصغيرة خارج المكتب ترد عليها بحسرة. ولكن ما الفائدة؟

ودار الصـراع عنيفًا بينه وبين زوجتـه حول أمر القطة: إنها تريد منه أن يكسر الجدار ليخرج القطة. ولكنه يأبى ذلك، لقد كلفته الغرفة ١٢٠ دينارًا، وهو ليس على استـعداد لبعثرة كتبه وتعريضها للتلف أو الضياع. إن أحـرص ما يحرص عليه هو هـذه المكتبة. لقد صرح مرارًا في بعض حالات غضبه الشديد: إن أهم شيء لديه في هذا البيت هو هذه الغرفة بما تحويه. لقد جمَّلها كثيرًا وجعلها تحفة بين غرف البيت. فهناك لوحة زيتية من رسم بدر القطامي. وهناك صور لعدد من الكتاب تحف بصورة مكبرة له. كيف يبعثر كل هذا من أجل قطة؟

– إنها كائن حي، حرام عليك، أين الرفق بالحيوان؟

– وأين الرفق بي؟ ألا تدركين ما أعانيه الآن؟

– على كل حال، أنك لا تعاني ما تعانيه هذه القطة المسكينة.

– أيـة قطة؟ إن العالم يتمزق، والمجازر تحدث في كل دقيقة وسـاعة، ويموت الآلاف من البشر والحيوان معا.

– بأي منطق أرد عليك، إنني لست الأمم المتحدة، إنني مجرد إنسانة، وهناك كائن حي يستصرخك، النجدة، ما هذه الروح؟

ويصمت، ويقلق، ويثور، ويتألم، ولا يعرف كيف يتصرف.

وتتصرف زوجته غاضبة.

وبعد قليل يهدأ، ويتمدد ويحاول معاودة القراءة، وبعد لحظات، ينطلق صوت القطة واهنًا، فيقفز من كرسـيه جزعًـا ويطوي الكتاب ثم يرميه بعنف فوق المكتب، ويغلق الضوء وينصرف إلى غرفة نومه.

يخلـع ثيابه بهدوء، وفي نفسـه صراع محتدم، ويصعد إلى سـريره. وتتقلب زوجته في فراشها، ويحاول أن يتجاهلها بأن يأخذ المجلة الأدبية التي قبعت فوق الرف الصغير المجاور لسريره، ويقرأ وهو متمدد. ولكنه لا يسـتطيع التركيز. وهنا تثـور زوجته مرة أخرى، فتأخـذ منه المجلة وترميها بعنـف. وكان رد الفعل لديه غريبًـا: إذ جعل يضحك ويضحك بهسـتيريا غريبة. فمـا كان منها إلا أن تصاعـد الغضب لديها وأخذت تعنِّفه بكلام قاس جدًا، متهمة إياه بتبلُّد الشـعور والبرود وقلة الإنسانية

وأشــياء أخرى كثيرة. ولكنه يســتمر في الضحك، فتهدأ ظاهرًا، ويتخذ انفعالها مظهرًاآخر، حينما بدأت الدموع المختزنة تأخذ مجراها، منهمرة بيســر وسهولة، وهنا توقف هو عن الضحك وأخذ يفكر، وشعر بتـعاسة لا حـد لها، هاهي نتيجة تصرفاته الشــاذة، ماذا يعمل الآن؟ لقد توقف الزمن وحل الضيق الشديد لديه، فماذا يعمل؟ ماذايعمل؟

الدمــوع هي الشــيء الوحيد الــذي يعجز أمامه، لقد نهض ســريعًا، ووســط ارتباكه وتعاســته، ذهب إلى المجلة وعاد بهــا. فما كان منها إلا أن صرخــت بكل قوتها غاضبــة، وتناولت المجلة وراحــت تمزقها ورقة ورقة. فبهت لتصرفها، مرددا على مســامعها الكثـير من القــول الـذي لا يستطيع أن يقوله في حالته الطبيعية، إنها غبية لا تفهم. أنها لا تترك له المجال ليكون شــيئًا كبيرًا في الحياة، لقد مل هذه الحياة، يجب عليها أن تصلح من ســلوكها معه، وهكذا أخذ الــكلام المختزن يتدفق من فمه كسيل العرم.

ثم بدأ يعود إلى هدوئه رويدًا رويدًا عندما رآها صامتة ذاهلة، وعيونها تذرف الدمع الســخين، الذي لا يعرف من أين يتوافر لها. وهكذا ســاد الصمت والهدوء بعد قليل من الوقت، واســتلقى على فراشه يفكر بكـل ما مر به في الدقائق الأخيرة.

ووســط حيرته، خيّل إليه أنه يســمع صوت القطة مرة أخرى، فتثاقل محاولاً التجاهل، واســتمرت هي في الدموع حتى ابتلت وسادتها. وبعد قليل هدأت، وخمدت ثورة النفس وســط تفكير متتابع لا يعرف التوقف، أســلمها أخيرًا لنوم قلق ثقيل. فقام هو، وأغلق الضوء القليل الباقي في الغرفة، بعد أن مر بزوجته ونظر إليها مليًا وتأكد من أنها نائمة وشــاهد آثار الدموع لاتزال عالقة بأهدابها.

وعــاد يتمدد من جديد، لينــام بعد قليل نومًــا مضطربًا، جعله يحلم حلمًا مزعجًا، لقد حلم بالقطة تجلس على كرســي، تلبس عقالاً وبيدها عصا، وقد وقف أمامها ذليلاً وهي تحاســبه حســابًا عســيرًا، وبين كل سؤال وإجابة تضربه على رأسه بالعصا ضربة عنيفة، وهكذا ظل يصرخ بصوت مبحوح، أدى إلى اســتيقاظ زوجته، التي أخذت تنظر إليه بخوف لم ينقذها منه ســوى صراخ طفلها، الــذي أيقظه هو الآخر، فقام فزعًا

يردد عبارات مبهمة: لا ... لا .. لست أنا .

– ما بالك... بسم الله الرحمن الرحيم.

– أين القطة؟ أين القطة؟

– إنك تهذي ولاشك.. أي قطة؟

ويعود إلى هدوئه، وينظر حواليه ومن ثم يقفز بقوة ويشعل الضوء، ثم يتجـه فورًا إلى غرفة مكتبه ويضيئها، ثـم يأتي بقضيب حديدي مدبب الرأس، ويشـرع في تكسير الجدار الخشبي، وتتبعه زوجه ومعها الطفل يصرخ.

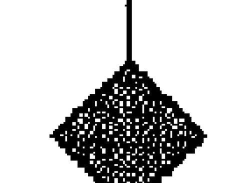
– مـاذا تعمل؟؟ إنك مجنون بلاشـك، ليس هذا هو الوقت المناسـب، انتظر حتى الصباح.

– أرجوك، اذهبي إلى فراشك، لا أريد أن أسمع كلمة واحدة بعد .

وتصمت مندهشة ومستغربة أطواره العجيبة.

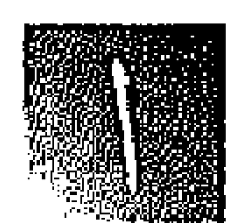
وبعد مجهود غير يسـير، اسـتطاع فتح ثغرة في الجدار وراح يوسعها شـيئًا فشـيئًا حتى أتى على جزء كبير من الجدار، ولم ير القطة، ولكنه واصل حتى عثر عليها أخيرًا، وحملها بين يديه، ولكنه فوجئ بأنها ميتة، فنظـر إلى زوجته بهدوء، ومـن ثم رمى جثة القطة تحـت قدميها، في الوقت الذي انسابت دمعة يتيمة من عينيه، وأراها عن الطفل وأمه، وعاد متثاقل الخطى إلى غرفته، وقد خارت قواه.





آهة مرشوشة بالدم *

ليلى العثمان



استدارت.
تكوّرت ورحيق همستها يعبرني حزينًا:
- تصبح على خير.
تأملتهــا تفاحة متأهبة للقطــاف. تدعوني الرغبة أحلــق بها في المدى الجميل. فكرت أدنو. أحضن همســتها ورقّتها، أبلل أعطافها الصابرة. ما كدت حتــى انقضّت عليّ حراب ذاك النهار الفاجع. انتصبت الذكرى المرّة. وجهه الغائب في الصفرة، حروف كلماته الأخيرة، يحدث هذا كلما دعتنا الرغبة نتهادى لبوابة العشق، ندخل محاقها الواعد بالمسرّات، وفي اللحظة التي يهل رذاذ نشــوتها الشهيّ ليغرقني، تخرج الآهة من صدري مرشوشة بالدم.

يخمد كل شــيء، ينطفئ جمرنا، ألمحها وقــد انثالت نجوم الحزن من حدقاتها، وانكفأ فرحها متكوّمًا أســئلة مرتجفة تستغيثني أنطق، أفسّر لها الذي يحدث.

أكثر من مرة، كادت قتامة يأسي، وخوار عزيمتي تدفعني أهب، أطعنها بالسؤال اللائب بداخلي منذ ذلك اليوم المشئوم.

---

* من مجموعة المؤلفة: يحدث كل ليلة.

- ما الذي كنت تعرفين؟؟

في كل مرة أتراجع. أتعوّذ بالصبر، أبتلع صرختي وسؤالي. أشفق عليها من شك مضى، ألوذ بالصمت ذاته الذي منعني أسأل أمي التي توأمت كفي بكف سلوى. وباركت عرسنا، وحين يتنامى غضبي عليها، أعود أستغفرها دون أن تدري، لا أصدق أن قلب الأم الذي يحيك نواياه الطيبة، يمكن أن يُشقى قلبًا.

«تلألأ وجه أمي يوم عرسي، أعاد له الفرح كثيرًا من سنوات الشباب. شممتُ طيوب صدرها التي فاحت زغاريد ،ودعوات، قبلاتها التي تندّت بلؤلؤ عينيها وهي تبارك لي، أمي التي نست الفرح منذ فارق أبي الحياة. ازدهرت تلك الليلة. رقصت، بدت شابة تحضن وجه الدنيا وتتحول فراشة. كان وجهها قرص شمس دافئ».

***

تأملتُ سلوى التي استدارت بوجهها إلى الناحية الأخرى، شعرها الغزير الحالك مبعثر فوق الوسادة يُذكّرني بشعره الجميل الذي كان يتباهى به. ويشاكسني:

- حين يزحف الصلع إليك قريبًا. سأهديك بعض خصلاتي.

أمي كانت تحب شعره، أذكره كيف كان يرتمي كالطفل إلى حضنها فتدس أناملها التي أنحلها التعب والسهر في الخصلات السوداء الناعمة. تداعبها داعية الله يحرسه من العين، مددت يدي لأعابث شعر سلوى. ارتعدت كفي. ارتدّت.

استكثرتُ عليها الذي صارت أمي محرومة منه. لم تعد أصابعها المفجوعة تندس في قلب شعره. وما عادت دعواتها تجنح إلى صدر السماء.

تأملتها.

همسُ أنفاسها المنتظم. عطرها الليلي الذي يخدّرها، زندها الذي انزاح عنه اللحاف متورّد كخد زهرة يُغريني أطبع قبلتي عليه. تهتز عروش رغبتي. أدنو منها. يزعق الهاتف.

تنتفض مذعورة وصوتها النعسان معتذرًا:

- نسيتُ أسحب «الفيش».

انتفضتُ مبتعدًا عنها. نافرًا بصوتي:

- ألف مرة نبهتك.

هذا الرنين اللعين أكرهه. شـوّه اللحظة. شفطني لدهليز اليوم المعتم. وصوت أمي عاصفًا يهاتفني:

- أخوك يا خالد. أطلق الرصاص.

«قذفت نفسـي داخل السـيارة. لا أدري كيف وصلت البيت. واجهني شيبُ أمي أكثر بياضًا، صفرة تراب ظامئ غلّفت وجهها المفجع. أطرافها المتناقضة وكأن ريحًا تسـكنها. بكاؤها الأشـبه بعويل كائنات يتخاطفها الموت. سـؤالي الراعد عمّا حدث لم ينتظر ردّها الذي لحقني متقطعًا: لا.. أد... ري.

اقتحمتُ الغرفة محتشـدًا بالرعـب. لفحتني رائحة الرصاص والموت مكفنةً بسكون النوافذ وذهول الجدران. واجهني المشهد الصاعق. جسده النحيل متهدّل على الأريكة. الثقب في الصدر شلال دم».

تناهى إليّ نشـيج سلوى الخافت. تشابك وخيوط عويل أمي الذي كان يدخلنـي كالحريق،، أدركتُ أنني أغضبتها. دنوتُ إليها، غمسـت وجهي في غابة شـعرها، تمنّعت قبل أن تستدير. لم يكن اللهاث قد هدأ بقلبي بعد.

استفسرتني بوجهها المغسول بالوجع. وصوتها المعبق بالقلق:

- هل أنت متعب؟؟

استشـاطت أنفاس ندمي. أطلقت آهات جارفـة. فزعت إليّ، ارتمت على صدري لتوقف العاصفة.

«لاهثًا ارتميت إليه، شددته إليّ. تقوّض جسده في حضني. هرسته إلى صدري الذي تلعثمت صرخاته، تهاوى رأسـه رخوًا فوق كتفي. أمسـكت بـه بيديّ المنتفضة في عروقهما الدماء. عانقـت وجهه الذي تقيأ دفؤه وسكنته البرودة. حدّقت في عينيه المنطفئتين. أستنطقهما بوجعي: لماذا يا فوّاز؟؟ ولا إجابة سوى الصمت المسدول من برودة الجسد انسربَ إليّ وأثلجني.

كانت سـلوى مرتكزة عند الباب، ناشجة بالدمع ترقبني، زحف سؤالي إليها دون معنى:

-- كنتِ هنا؟!

ركضــت نحوي. انهمرت على الجســد الغائبة عنه الروح. تلوّنت مثلي بالدماء. تعرّى صوتها من نعومته المعتادة:

- جئت أزور خالتي.

كان فزعهــا المهــوّم في القــرار ينبعث حرائــق من عينيهــا، أبعدتها بكوعي آمرًا أن تتجنب رهبة المشــهد. تباطأت قبل أن تتوكأ شجنها المرّ وتخرج».

خرج سؤالها ملوّعًا بالتوسل:

***

- ما الذي يحدث لك؟؟

«ما الذي حدث ذلك اليوم؟ حين خرجت ســلوى كانت تتعارك بداخلي الأســئلة الحائرة بالأجوبة المفترضة. هل كان ينظف المسدس، فانطلقت الرصاصــة وأخطــأت؟ لم تكن الضربة عشــوائية. هي هنــا في القلب مباشرة،هل جُنّ فجأة! هو الهادئ الرقيق.

مــا الذي أثاره ففزعت عصافير روحه وفرّت! تشــاجر مع أمي؟؟ هو المدلل، ربما لم يحتمل قسوة الكلمات فأراد أن يعاقبها لتندم. لا يمكن أن يحرق قلبها. هــو الذي لا يحتمل رفيف حزنها أو دمعتها، أين كانت هي وسلوى؟ سرقتهما أحاديث النساء المعتادة حتى أيقظها زئير الطلقة؟؟».

***

أي ســبب أقوله لســلوى؟ كيف أنزع أشــواكي وأغرســها في جلدها الناعم؟عمّ أحدّثها؟ عن سر عجزي أم وجع شكي؟؟

«لم أكن قادرًا أستشف سببًا لإخماد روحه بهذه الطريقة المفجعة.

ظللت أشــده إلى صــدري لعلّ بعض خفقــات تغادرني. تتســلل من الثقب. تنعش خطوة القلب المســافر فتعود تــورق في عروقه النبضات. ذراعاي تخدّرتا. أرخيته على الأريكة التي تشربت بعضًا من عصير دمه. بإصرار. نجحــت في فك الارتباط العنيد. انتقل إلى يدي حارًا. حذفته بحقد وعيناي على الثقب النازف الذي تكتّلت حوله قطع اللحم المفرومة ملبدة بقماش جيب الدشداشة».

xxx

مدّت كفّها مندّى ببرودة اليأس. خَبتْ أصابعها من فتحة الدشداشة متجهة صوب قلبي. هوّست عليه برفق، تود لو تقبض على السر الذي يباعد بيننا، يحرمها حقّها، صوتها الرطيب يندلق في أذني مسترحمًا:

– آه لو أعرف ما بداخلك.

«بداخل جيبه لمحت شيئًا تشقُّه نعومة القماش. استبحت لكفي تسحب الورقة المعجونة بحمى الطلقة الواحدة. رهبة التوقع عصفت بي ماذا كتب؟؟ كانت ارتجافة كفي. وبلل الحروف يتوهّان تركيزي. لكن عينيّ التهمتا المعنى، صرخة احتجاج، بوح لحب لم أعرف عنه، ويأس لم يحتمله القلب، هل غدرت به سلوى؟؟

تزلزلت، شعرت السقف يتهاوى، يرتطم بالأرض سريعًا ويهرسني تحت حجارته الثقيلة، اشتعلت من حولي الحرائق، طفحت فيضانات، تشظّت جمرات الغضب برأسي، هممت أنطلق كالسهم أخترق عويل أمي وقلب سلوى: هل كنت تدرين بعاطفته المتوقدة».

تحرك ذراعي نحوها، لمت برودة زندها، همست:

– سلوى.

يفرح تجلّى صوتها:

– روح سلوى.

– هل تثقين أنني أحبك؟

قطعتْ شهقتها قبل أن تلحقها بالرد:

– أعني. هل تفهم المرأة لغة الحب المتسللة من عين! من كفّ! أو همسة عابرة تنطقها شفة المحب؟

حاولت ترد، لامست شفتيها بإصبعي لأكمل:

– هل يمكن لامرأة تفهم هذا أن تتغابى – مثلاً – لأنها تحب رجلاً آخر؟

دفعت باصبعي الهاجم على شفتيها. سألت كمن يجيب:

– ألا يحق للمرأة أن تختار الذي اختاره قلبها؟؟

«فاتني تلك الليلة أن ألحق به. أقتحم غرفته. أستفسره سر ابتعاده عن الحفل. وحزنه. كل الموجودين عبّروا عن ابتهاجهم. أم سلوى – خالتي – رقصت طربًا إيفاء لنذر سابق. عمّاتي. أختي الكبيرة وبناتها الصبيّات

حملن «المباخر والمرشـــات» يسكبن الشـــذى وماء الورد. وحده تأخر عن الحضور. وحين عانقني خرج صوته مترنحًا بالكلمة: مبروك.

لم يتوقف عند ســلوى التـــي هيأت كفها لمصافحته. عَبَرها مســرعًا شممت فوح عتاب من عينيها لاحقة حتى أغلق باب الغرفة».

***

لاحقني صوت سلوى متوسلاً:

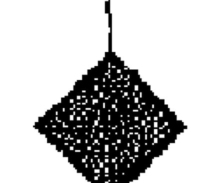
- أرجوك يا خالد. لا تغلق قلبك صارخني.

لم أفعل.

ســنة وأكثر. هي عاشقة وصابرة. ولا أكف عن المحاولات لكن الذكرى تلاحقني وتفزع آهتي المرشوشــة بالدم كلّما قطر عبير نشــوتها ليصب إلى صدري.

بقعة لون *

ثريا البقصمي



مطرقة المزاد تدق لتباع لوحة «زهرة عباد الشمس» للفنان الهولندي فان جوخ. المبلغ تجاوز حدود المعقول، وهي تدق آخر مسمار في قماش اللوحة المشدودة كطبل إفريقي يجب أن تكون كذلك لكي تنتشر عليها الألوان بحرية، فالقماش «الرخو» سيعوق عملية الانتشار وهي لا تحب الأشياء الرخوة ولا حتى الناس الذين بهم رخاوة سمكة «الخثاق».

أحمر، أسود، بنفسجي، ثلاث بقع لونية مزجتها بعصبية ونقلتها إلى قماش اللوحة ثم تراجعت للوراء، فالقماش الأبيض قد فقد طهارته بسبب تلك البقعة اللونية البشعة، زمت شفتيها باستياء وألقت فرشاة التلوين جانبًا غادرت مرسمها لتندس بضجر خلف عجلة القيادة، عبثت بالمفاتيح الالكترونية وبأزرّة جهاز التسجيل، وضغطت دواسة البنزين. حملها ذلك الجسد الحديدي إلى طرف اللسان الأسفلتي لتنساب على الكف الأسفلتية المبسوطة تمارس طقوسها اليومية في نشر حمائم أفكارها المحلقة خلف صور خصبة خلقها خيالها المحموم، وكان كل ذلك يمكن أن يدحض بانعطاف مفاجيء لسائق متهور وفي الحال يخلق لديها

---

* من مجموعة المؤلفة: السدرة.

إحساسا بقرب النهاية وتلهج أحاسيسها الداخلية بصوت خافت .

أموت في حادث وأتحول إلى أسـطورة وفـي البداية تتكدس لوحاتي حتى يأكلها غبار النسـيان ثم يكتشـفها أحدهم فتطـرق مطرقة المزاد، فان جوخ نهشـه الجوع، أما الآن فهـم يتاجرون بإبداعاته التي عاصرت تقلصات أمعائه وحشرجة شـبح الموت الذي كان مرابطًا بباب مرسمه. وتقطع وشـائج الفكر وهي تدلف إلـى مكتبها لتلقي بتحية هلامية على أحد الزملاء وتضع على وجهها ابتسامة مرسومة كأحمر الشفاه الدموي، كأقنعة مهرجي السيرك وتطلب فنجان قهوتها الصباحية فتكتشف مرارة غير عادية.

«اللعنة على هذا الفراش الذي نسي ملعقة السكر، ألا يعلم بأن المرارة المترسبة في داخلي لاتحتاج إلى مرارة أخرى تساعد على تفاقمها؟».

وتنتقـم من الفراش بسـكب بقية فنجان القهـوة على المكتب فيحرك الفراش رأسه معبرا عن أسفه واستيائه في آن واحد وينظف المكتب وهي تضحك ضحكة مشوهة قائلة:

حتى لاتنسى في المرة القادمة ملعقة السكر.

ولما لامس أناملها أول ورقة بيضاء شعرت بوخز حاد في خانة الذاكرة، قماش أبيض مشـدود كالطبل الإفريقي، بقعة لونية داكنة تنهش البياض وهي مشـلولة خلف ذلـك المكتب الكئيب تدور في ضجر ثور السـاقية، وتتنهد بعمق كما فعلت هذا الصباح حينما غادرت مرسمها.

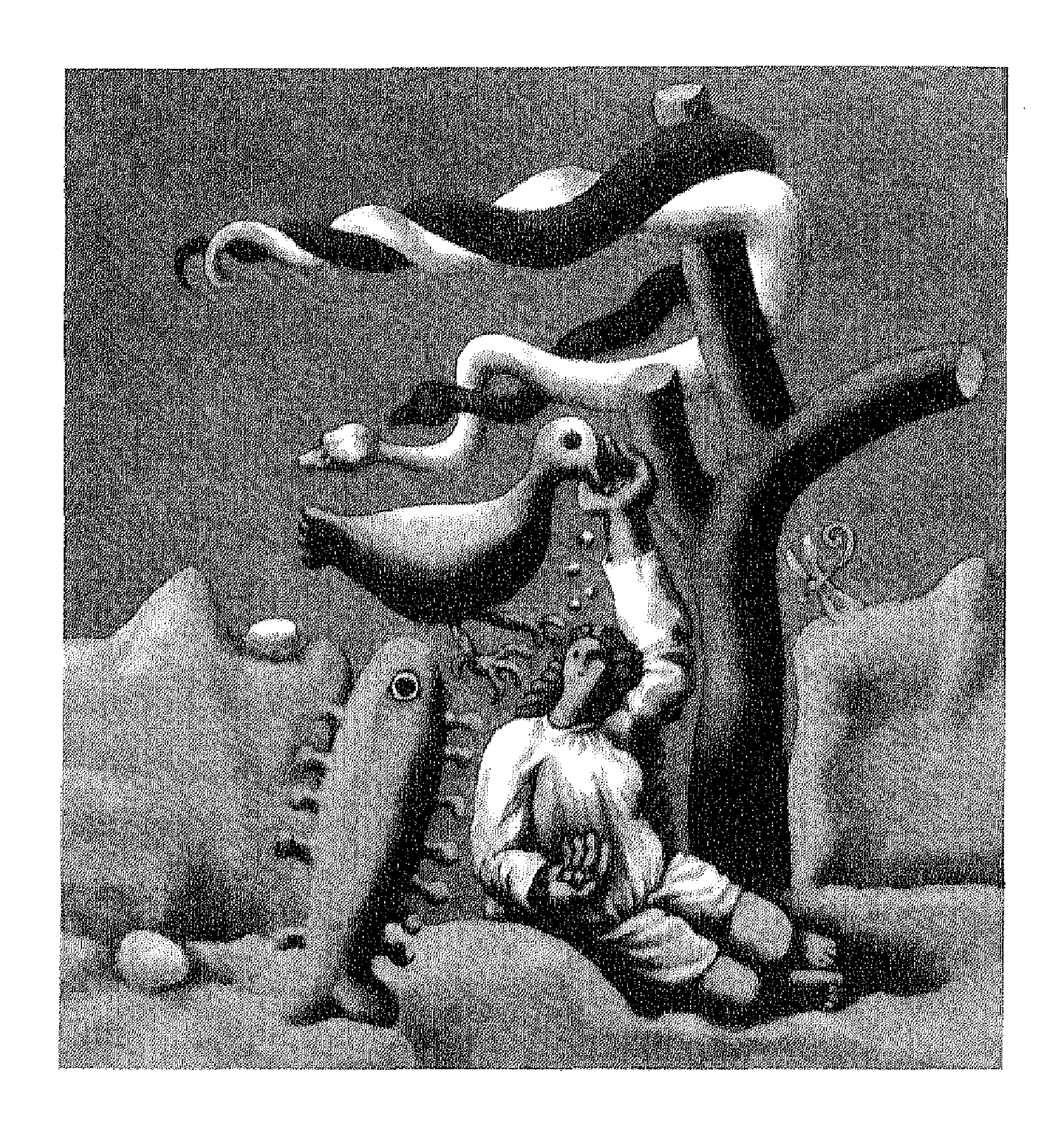
إن مغادرتها المفاجئة لصومعتها الجميلة خيانة لا تغتفر،و إنها لا تعرف متى بالتحديد قد أكلت طعـم الوظيفة لتلقي بصولجان الإبداع الذهبي من يدها؟ فمنذ غدت موظفة، فإن أجنحة إبداعها قد شلت ونزعت هالة القدسية من على رأسها التي أصبحت محشوة بعقارب الساعة وصراعها اليومـي في حلبة «الروتين» القاتـل، وأصبح الوقت المكبل بالدقائق كفنا أبيض لمشاعرها الجامحة، فهي تريد أن تبدع وهم يهمون بإتمام مراسيم دفن قدراتها الواحدة تلو الأخرى، ولقد تعلمت هنا أن تقتل الوقت بثرثرة أشبه بفقاعات الصابون.

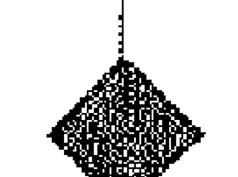
كانت في طفولتها تستميت للتمكن من صنع رغاوي الصابون ونشرها في الفضاء فقاعات هلامية كالحلم، أما الآن فحياتها اليومية قد تحولت

إلى فقاعة كاذبة تنفجر مئات المرات لكنها لا تدفع للبهجة بل هي تجسد الكآبة المتغلغلة في جذورها، ذلك الضجر القلق حملها لمغادرة مكتبها لتنحر الوقت أمام مكاتب الآخرين زملائها المكبلين بعجلة الوقت، وكل واحد منهم يحمل همومه الخاصة، لكن بعضهم يصر على إسدال جفنيه على أمانيه الدفينة وغرس نظرة بركانية في عقرب الساعة المكابر الذي لا يتحرك ولا يرغب في إسدال الستار على مسرح الدمى الكرتونية. وبعد أن استنفدت طاقتها في الثرثرة قررت أن تغرس سكينا حادا في عنق تلك الساعة العنيدة، ووقفت أمام مديرها تطلب منه السماح لها بمغادرة العمل . وأراد مديرها أن يعرف السبب فلا بد أن يكون هناك عذر منطقي لمثل هذا التصرف. أعطته العذر المغلف بشريحة قلق أنثوي وقالت ببطء:

أنا في قمة الصحة ولست متوعكة كما تعتقد لكن هناك شبحا قلقا متربعا في أعماقي بسبب بقعة لونية تركتها على قطعة قماش بيضاء وإن بياض اللوحة يستغيث بي وأنت لا تستطيع أن تتصور مدى بشاعة تلك البقعة ولو مكثت هنا ساعات أخرى فان البشاعة ستنتقل إلي، ثم تتفاقم لتنتشر على مكاتبكم وبين أوراقكم ستغمر كل شيء حتى ذلك العقرب اللعين الذي غرستموه في أعناقنا . غص المدير بهذيانها السوريالي، لكنها لم تنتظر الموافقة بل غادرت بهدوء تدندن بلحن عاطفي وتطوح بحقيبتها في الهواء وأمام باب سيارتها بحثت طويلا عن مفاتيحها المندسة في قاع الحقيبة حتى لامست تلك الخرزة الزرقاء المعلقة في طرف «الميدالية» التي تحمل عادة لدرء الحسد ... على ماذا ممكن أن تحسد؟ وألقت بالخرزة بعيدًا لتستقر تحت جسد إحدى السيارات المجاورة وأمام عجلة القيادة استعدت لرحلة العودة وعبثت بمفاتيح الإنارة على الرغم من أن شمس ذلك اليوم كادت تأكل جبهة المدينة. وسقطت مطرقة المزاد لترتفع زهرة عباد الشمس إلى كبد السماء، وسقطت خيول إبداعها الواحدة تلو الأخرى في بقعة اللون الكئيبة وتشابكت أفكارها لكنها تشتت بانعطاف مفاجىء لسائق متهور .

صوت مطرقة المزاد يدوي كالانفجار لتتناثر بذور زهرة عباد الشمس على قماش اللوحة.





شلاّقة مازال يشعل الحطب *

محمد مسعود العجمي



حاصرته المدينـــة والتحجر في عيون الآخرين. أطال النظر فيما حوله، شد شعيرات رأسه ثم هرب.

أوقفته أصوات زاعقة، التفت ثم تابع الهروب إلى حدود المدينة ليمارس طقوسه هناك.

***

الريح القادمة من الحدود. تفرغها أنوف كلاب الصيد تجدد «شـــلاقة البحولي» في الذاكرة. ينمو من جديد متسلقًا شعابها.

***

كلاب الصيد، تلهث تلعق أحذيته اللامعة.

- سمعتهم يقولون أشياء ممنوعة.
- ... ويرسمون على الأرض مطارق.
- ... وسكاكين.
- وحبوبًا غريبة لنبات كالعوسج (١).

---

* من مجموعة المؤلف: تضاريس الوجه الآخر.

رأسه الكبير - فوق كتفيه المريضتين يهتز ببطء، يسحب الدرج الأسفل. يخرج مسدسًا. تتراجع مذعورة، تتحفز للهرب، توقفها نظراته المشجعة.

يمد يده مرة أخرى ويقذف إليها بعظام طازجة ثم يعيد المسدس.

***

يهز رأسه مرة أخرى، يخرج ورقة حمراء من درج خاص ثم يبصم.

ثلاثة. يزحفون ببطء تحت الظلام، يتوقفون، ويهمس أحدهم:

- مازال شلاقة يغني.

- ويستطرد مغتاظا:

- والنار مازالت تشتعل.

الخوف المتنامي يدفعهم للالتصاق، يشعل أحدهم سيجارة، يتبادلونها بحذر:

- سيطول ليله.

- بل ليلنا نحن.

- ويعقب ثالثهم:

- ينام الظهيرة حتى المساء.

يرتفع سعاله، يتباعدون. تنطفئ السيجارة بين أيديهم، يرميها أحدهم ثم يبصق.

أصوات أطفال ونساء قادمة، يتحرك الثلاثة مبتعدين.

وفي الطريق يتفتق ذهن أحدهم بمشروع مفاجئ، يجمعهم بحركة من يديه:

- اقتربوا... اقتربوا أكثر.

يصمت...

- لنحلل بقايا الأخشاب والحطب.

عيونهما مستنقع آسن، يكمل:

- ثم نرفع تقريرنا.

يضحك. ينظران إليه، يضحكان بهستيريا، تتشابك كفوفهم:

- فكرة.

في الليلة التالية حدث ما يلي:
على غير عادته تتأخر ألسنة اللهب في الارتفاع.
تطل الرءوس. ترجع خائبة.
ويشتكي طفل:
- أمي، لم يشعل النار، لن نلعب الليلة.
- ستلعب وسيشعلها.
الشك في عينيه يدفعها:
- أو نشعلها نحن؟
تطل رءوس كثيرة مرة أخرى، وتعود هذه المرة محمّلة بالقلق والسؤال:
- لن تقدح شرارة.
- كثر الهمس، ارتفع ليصبح سؤالاً بحجم الهم المزروع، بطول مسافات الحزن والهلع الممتدين في الأعماق.
تقترب رءوس الرجال. تفترق. وبعد لحظات كانوا يحملون الفوانيس في الطريق إلى صومعة الصمت.
لم يكن على فراشه القطني أمام المدخل، ولم يكن حوله.
دفعوا الباب. لم ينفتح على غير عادته.
دفعوه. لم ينفتح.
أسندوا مناكبهم، يحرضهم القلق والحيرة، والخاطر المجنون والرغبة في اكتشاف الداخل ومرض الرجل ينمو في الخيال.
ويصيح أحدهم.
- اجمعوا مناكبكم للدفعة الأخيرة.
ويخرسه صوت مفاجئ.
- قفوا. الختم الأحمر.
وبذهول قرأوا التحذير. ثم ابتعدوا مسرعين عن المكان.

***

شهادات

■ يوم قدم إلينا كان في الثلاثين، يحمل قساوة الصحراء، وصهيل الجياد الأصيلة، أحبه الصغار، تعلقوا به وكان يشتري لهم الحلوى

والخبز وأقلام الرصاص.

أبو راشد

■ قبل عشرين سنة قدم من جبال بعيدة، يحمل في يده مشعابًا غليظًا يردد بصوت هامس - يعلو أحيانًا - كلامًا غير مفهوم.

غاب طويلاً، ثم عاد يحمل المشـعاب (٢) ويـردد أغانيه التي حفظها الأطفال لم يصادق الكبار. ويفترق عن الصغار عندما يكبرون.

أم أحمد

■ رأيته كثيرًا يتجه ببصره إلى الأفق وينظر في عين الشـمس طويلاً ومع ذلك تبهره إضاءة الشوارع وزينة الأفراح وترعبه أبواق السيارت.

ثامر الناصر

■ أين هو..؟

أريد أن أراه.

إني أحبه... أحبه.

صوت طفل باكٍ

***

- ١ -

تقارير سرية متعلقة (بشلاقة البحولي) مرفوعة لجهات الاختصاص متقوقعًـا. يحـرق الحطب الذي جمعه من الغابة في سـاعات الفجر الأولى وينشـد أشـعارًا مهربة. يقرؤهـا في عيني قط أسـود مقابل. يجتمعون بالقرب منه - دون الاختلاط به - يرددون بهمس أشـعاره التي حفظوها. وأشياء أخرى غريبة.

استدراك:

إحداهن تثق بي - همسـت بخـوف - بالرغم مـن وجودنا منفردين - بهذه الحكاية:

- في الليلة الماضية حدث شـجار بين الجميع والسـبب رجلان تزعم كل منهمـا قطبا لاختلافهما حول حل لمسـابقة كبـرى طرحتها أجهزة الإعلام.

- ما هي؟

- أيهما أسبق إلى الوجود.. البيضة أم الفرخ؟

- فقط؟!

- وأحدهم يريد أن يرغم الآخر على الدخول في ثقب إبرة.

-٢-

الحطب المستخدم لأشـجار معمرة، تضرب بعيدًا في الأرض، لتسرق مياه البحر، وبالرغم من الجفاف والملح تظل نضرة متوحشة.

أزهارها شوكية وثمارها - بالرغم من الملح والجفاف أيضًا - لها طعم العلقم.

-٣-

يتحدثـون كثيرًا عن الخبز والبحر وأغاني الفقراء الجياع. يشـردون ببصرهم - بالرغم من الظلام - إلى الأفق. فيرتد شعاعًا متألقًا ينعكس على شفاههم ابتسامات حبلى. متوعدة.

-٤-

عثر في جيب أحد ملابسـه المتسخة على مجوعة أوراق تحمل أشعارًا مهرّبة وأسـماء كثيرة وحوادث مشهودة. كتبت بخط رديء جدًا. حفظت جميعها للضرورة.

***

وقف أمام رئيس المركز، تقوس أثقال يديه ورجليه ظهره الخمسـيني، بينما سمر نظراته في عينيه:

- لا تحاول الإنكار... ماضيك وأوراقك مكشوفة. لن نناقشك فيها.

-... تتعهد بعدم إشعال النار.

-... وتتـرك كوخك الخشـبي لتسـكن في أحد قصـور المدينة التي سنمنحها لك.

-...

يخرج رزمة من الأوراق، يرميها أمام (شلاقة) ويتابع:

- وتبصم على هذه الأوراق.

حاول أن يقرأها بطرف عينه ولكنه نهره.

- دون قراءتها.

صمت فترة وجيزة ثم صرخ:

- هاه... ماذا قلت؟

ويبصق (شلاقة) الرفض وبثقة لم تخذله:

- لا... لا... لا.

ينهض، يقترب منه، يبصق في وجهه ثم يزمجر:

- أخرجوه. عودوا به إلى زنزانته.

وفي اليوم التالي:

« يحول الموقوف (شـلاقة البحولي) إلى الطب النفسي. لإصابته بلوثة عقلية».

***

سـبعة منتخبون، يتقدمون إلى مركز الشرطة يسـألون عنه ويجيئهم الرد:

- تم القبض عليه لإصابته بلوثة عقلية وحوّل إلى الطب النفسي.

***

في الطب النفسي

لـم يمنعوا عنه الزيارة ولكنهم زرعوا غرفتـه - أمام عينيه - بأجهزة التنصّت الصغيرة خلف باقات الورد.

توافد عليه أصحابه القدامى. حدّثوه عن الظلام وحنينهم إلى عودته، واجتماعهم الليلي لم يتكلم. ابتسم وعيناه على باقات الورد.

قبل أن يرحلوا أبلغوه بأنهم سيظلون يجتمعون حتى يخرج.

***

بعد فترة وجيزة. احتلت معدات ثقيلة الساحة.

وتم بناء مسجد وحديقة وملاعب.

***

في عصر أحد الأيام خرج شلاقة، لم يتعرف عليه أحد. اختفى ولكنه شوهد ليلاً يقبع تحت جدار المسجد ويفارقه مع ساعات الفجر الأولى ليختفي.

هوامش:

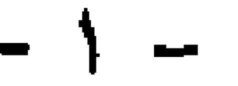
(١) العوسج نبات صحراوي.

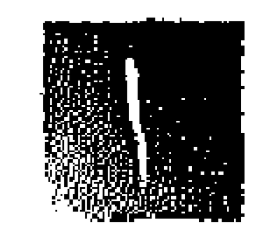
(٢) المشـعاب عصا غليظة تسـتخدم في الضرب تصنع من أغصان الأشجار الكبيرة.



ذاتان وحب*
متتالية قصصية

وليد الرجيب


- ١ -



الفراشة واللهب

«أيتها المراكب التي ترحل الراحلون يذهبون نحو الحب ونحن الحب فإلى أين نذهب؟!»

قاسم حداد

أنا الفراشة التي تدور مسحورة على مركز اللهب، وأنت اللهب الساحر المضيء والمحرق، أسعى إليك، وأعرف أنني أسعى إلى حتفي، والهرب منك، كالهرب من نبض القلب.. فأين المفر؟

لكن التواطؤ عادة ما يكون سؤالا:

- ما رأيك؟

فأعود من أبعد مكان في الكون، أسقط ولا أهبط، وأفتح عيني المفتوحتين، دخان سجائر تلمع خلاله عيون ذات بريق أعرفه جيدًا، وأوراق صغيرة ليس فيها مساحات بيضاء، الجلسة المنتصبة لا تشي

* من مجموعة المؤلف: الريح تهزها الأشجار.

بالرحيل، والعيون تنتظر التأمل، ولكن هل تعلم أي طريق سلكت؟

وسنان الأقلام على الأوراق الصغيرة تستحث:

- أظن..

وتنفخ الشفاه كثيرًا من دخان السجائر.

يجب استكشاف الأمور أولاً.

فتسقط القبضات على الطاولة:

- أنا أتفق تمامًا..

- لكن يجب التحرك بجرأة أكبر.

- تعقيدات الوضع تعني أن كل انتظار هو مضيعة للوقت.

- الاستكشـــاف يعني وضوح الخطوات، وغير ذلـــك قد يكون مغامرة خاسرة.

مـــا للحوار الذكي والســجائر تخرج من ألفتهـــا؟! ويصبح صوتك هو الألفة، من ســاقية الحوار تصبين على روحـــي وحدي.. من خلف نوافذ الصمـــت تقبلني ضحتك علـــى وجنتي وحدي، وحدي المكبل بالســؤال، محاطًا بسكين الاحتمال:

- ما هي الخطوة العملية؟ فالوطن لا ينتظر أحلامًا فقط.

مـــن غمدي أطمن فيـــك.. وفي العيون التي تســـبح في الدخان نهرك الغارق فيه.. أنا الغريق وانتشالي منك وفيك و:

- تفضل.

- أعتقد.

فتتشد الوجوه، وتعبث الأصابع بالشوارب.

- .. إننا يجب أن نبادر.. المبادرة صفة المناضلين.

فتسقط القبضات على الطاولة:

- هذا تناقض واضح.

- إن الاقتناع عن طريق الحوار هو أمر حضاري.

- ولكن المبادرة تحتاج إلى دراسة وحسابات دقيقة.

- المواجهة تحتاج إلى ثقة.

مـــن أين لي بمراكب هذي العيون ذات البريق الذي أعرفه، من أين لي بالتناقض والاقتناع والمبادرة والثقة، ليس لدي ســوى سؤال حاد كشفرة

سكين: كلهم يرحلون نحو الحب.. وأنا الحب.. فإلى أين أرحل؟!

مثل سـرب الحمـام يطير عاليًا، عاليًا.. ثم يعـود حمامة حمامة إلى أفراخهـا.. وأنا أطير إلـى عينيك ولا أريد أن أعود أبـدًا، لأني أعرف الجواب:

- الوطن جريح وأنت.

وجرحي المفتوح منذ النظرة الأولى واللمسـة الأولى والبسـمة الأولى والحيـرة الأولى والاكتشـاف الأول والموت الأول، وجرحي هذا السـؤال الغائر. أسيصبح ندبة؟ أم جرحًا متعفنًا؟

باقٍ من الزمن فرحتان وألم، والمبادرة أربعة أحرف ونبض قلب.. غصة وارتجاف صوت وأصابع.

- باق من الزمن غدًا.

- غدًا نتحرك.

وتناثرت شظاياي في غرفة الدخان.

- مستحيل.

بريق العيون دهشة:

- هكذا كان القرار.. ألم تكن معنا؟!

كل دروبهم تفضي إلى الحب، لماذا لا يفضي دربي إليك؟!

- هل أنت معنا؟

مع اللهب الساحر المضيء والمحرق.. مع نبض القلب.

- أنا..

فتتشد العيون التي أعرفها..

- .. معكم.

٢٣ فبراير ١٩٩٣م

- ٢ -

قلبك زنزانتي

أقسمت ألا أحتار

وأن أختار

نعاسًا
لا يملأ أحداقي إلا أحلامًا
تنثال..

فوزية السندي

لماذا؟!.. ما كدت أنسى طعم الحب حتى جاءت عيناك لتبعث كل جروحي التي اندملت وأصبحت أطلالاً في الذاكرة، لماذا أنت بالذات؟

اللعنة على عينيك.. كم كنت سعيدة قبل أن ألقاهما، كنت أحتفي خواء جميلاً، كنت مستقرة متوازنة، حتى قال وجهك ذات لحظة مربكة:

- حبيبتي..

لا أريد أن أحب وأنتِ على الأخص صديقتي والسماعة الطبية تتدلى من رقبتها:

- هل اعترف بحبه لك؟

أنا والسماعة الطبية تتدلى من رقبتي.

- كل شيء فيه يعترف ما عدا لسانه.

وإن اعترف ماذا ستكون ردة فعلي؟ لا أريد أن أحبك ولكن أريدك أن تعترف كي أرضي المرأة في داخلي.

في داخلي تمور أنت كخليط من كل شيء يصعب تفسيره لكن لماذا يتحول هذا الخليط إلى غضب من نفسي، منك، من المرضى، من كل شيء! لماذا أرهق عندما تلح على ذاكرتي أطردك منها لتدخل من خلف باب، أغنية.. كتاب.. سيارة كسيارتك.. أعقاب السجائر في المنافض في كل التفاصيل الصغيرة، والمشكلة أن الحب هو التفاصيل الصغيرة وهذا ما يثير الرعب في نفسي.

تسأل صديقتي وهي تضع السماعة على صدر طفل يسعل:

- هل فكرت فيه بجدية ولو لمرة واحدة؟

فأجيب بعبثية أريدها واضحة:

- أبدًا.. لم يحدث ولن يحدث.

إبهام الممرضة يدفع بالحقنة فيندفع السائل الشفاف في الهواء، أعلم أنني سأراه اليوم، لكن نفسي تقاوم نفسي كي لا أراه، وبين الكبح

والانفلات تكمن ذاتي كلها، ذاتي التي لا أريد لها الألم، والحب حالة ألم دائم، ومع ذلك لا أستطيع أن أسمي المقاومة سعادة.

لـــم أنتبه إلي أنني ظللت ممســـكة برســـغ المريض لفتـــرة طويلة حتى سألني:

- ما الأمر يا دكتورة؟! هل الأمر خطير؟!

كماأنها ليســـت المرة الأولى فكثيرًا ما أنســـى ميـــزان الحرارة في فم مريض، اللعنة على عينيك كم كنت أفضل حالاً قبلهما.

لم أناقش نفســـي بجدية لماذا لا أريـــد أن أحبك؟ مرة أعللها بانتمائنا لأصول ومذاهب مختلفة، وتارة بصياغة هذا السؤال الحائر:

- من أنت؟!

ينتابني كثيرًا، لكن السؤال دائمًا يخرج هكذا:

- لماذا المغامرة بحياتك؟

ويأتي جوابك دائمًا هكذا:

- الوطن هو خياري الأول، ومن دونه أنا لست أنا.

مأســـاتي معك أنني أراك والمرة الأولى كانت هنا في المستشفى، كنت جريحًـــا ومنذ ذلك الوقت وأنـــا أراك ورؤيتك الدائمة تصعب علي مهمة انتزاعك من نفســـي، ورعبي الكبير يتمركز في اللحظة التي ســـتعترف فيها بحبك، فعلى الرغم من دغدغتها لنفسي إلا أنني أخشاها.

لماذا أنظر في الساعة؟! فأنا لا أريد أن أراك.

فـــي كل مرة نلتقـــي أحس بمشـــروع الاعتراف على شـــفتيك فأزداد رعبًا.

هـــذه المـــرة ســـأخبرك أن لـــدي مناوبة ولن أســـتطيع الخـــروج من المستشفى.

لماذا أنظر في الساعة؟

مرت خمس دقائق على موعدك، في العادة أنت دقيق في مواعيدك.

مرت عشر دقائق على موعدك، حتمًا ستأتي.

نصف ساعة على موعدك، اللعنة عليك لماذا لا تأتي؟

٢٨ فبراير ١٩٩٣

نجمتاك وشهابي

هل تسع المراكب كل هذا الموج؟

قاسم حداد

أجلس إلى مكتبي وأكتب:

- أيها الشعب الأبي..

المنشور/ قصيدة، وموسـيقى التصوير صمت أخرس، لم أقل لرفاقي إني استحضرتك كي أكتب، كذبت وقلت:

- استحضرت آلام شعبي.

لم أقل:

- استحضرت نجمتيك وهما تهمسان:

- افهمني أرجوك.

بل قلت:

- استلهمت مزاج الجماهير.

وعندما قرأوا المنشور لاحقًا، سقطت الأكف على كتفي فخورة.

- في الاجتماع بدوت تائها أو غير موافق، لكنك في المنشور.

قبل أن يقرأوه لم يعلموا أني كتبت اسـمك في السطر الثاني والثالث والرابع والعاشر تحت، الشعب الأبي مئات المرات ومزقته مرة واحدة.

من نافذة القبو الصغيرة أرقب السـماء لأجد أن كل فضاءاتي مليئة بنجوم عينيك، وليس في فضائك غير شهابي الذي يسعى إلى حتفه.

كل الكـون قبو.. منفضة تشـكو، ومذياع صغير، وكأس شـاي وأقلام استفرغت حبرها، وآلة كاتبة.. وعيناك هذا الموج الذي يزدحم بمراكبي.. كل الكون قبو.. وكل أحرف الكتابة اسمك، لهجت به الآلة الثرثارة.

- من أين لي بموهبة الانتظار.

تقول الآلة الثرثارة:

- اصمد أيها الشعب الأبي.

- أنا سـؤال مخلوع من قلبي ومنزرع في يسـار اسـمها، وهي أحرف مخلوعة من يسار الكلام ومنزرعة في صدري.

تقول الآلة الثرثارة:

- الأمل كالحياة انتظار.. كالسحاب وعد.
وأنا بين الأمل والوعد صحراء وحصى.
معك.. الزمن ليس في صالحي.
معك الزمن قصير جدًا.
من دونك الزمن طويل جدًا.

أمـا الآن فقد اقتربت سـاعة عينيك، فهل يتوقـف الزمن ليكون في صالحي ولو لمرة واحدة؟ ها هي خيوط الفجر تعلن غياب نجومك وظهور شمسك.

أدسـك في جيبي وأخـرج مراوغًا البحلقة مدفوعـة الأجر، تأخذني الشـوارع التي تقود إلى شـوارع التـي تقود إلى حوار علـى كل الوجوه كمامات، وحدها العيون مدفوعة الأجـر لا ترتـدي كمامـات، كالعـفن لا يستحي من رائحته.

الرفاق منتظرون وأنا قادم لأسلمهم عشق البارحة.

أسلم في ثانية واحدة، وأهرع إليك في ثانيتين لأجلس معك العمر كله دون كمامات.

تفصلني عن المسـتلم ثلاثة شـوارع وحارة، وأنا أقود السـيارة لاهثًا، مراوغًا، عازمًا على:

- أنت في جيبي الأيسر.. فهل أنا؟
شارع وحارة والمنتظرون.
شارع وحارة.

حارة وباب ليس باب المنتظرين.. يدي والباب ونبضي.. تطل ابتسامتك التي تقول:

- افهمني أرجوك.
افتح فمي، لكن يسقط شهابي منتحرًا وتبقى نجمتاك.

٢٦ فبراير ١٩٩٣

- ٤ -

تِك.. تَك

نحن لا نتلاقى
بل نتقاطع
مخترقين بعضنا بعضًا

مضرجة بالتوتر وانتهاك القمر من نافذتي، دون استئذان إلى سريري، وأنا في المشوار الليلي من باب غرفتي إلى النافذة، مرواح ومجيء يستغرقان كل مشاعري، أروح وأجيء وأدخن، آلاف الأميال أقطعها بين الباب والنافذة، وأنت بين الباب والنافذة، وعيني على الهاتف الأخرس، لِمَ لَمْ تأتِ اليوم في موعدك؟ هل أنت مستاء مني؟ ولكن مم تستاء؟! لم أفعل شيئًا.

شفة السيجارة المحترقة تلهب شفة السيجارة الجديدة، وقدماي مبرمجتان من الباب إلى النافذة، من النافذة إلى الباب. والهاتف أخرس.

بل فعلت.. عاملتك بعدم اكتراث، وأعلم كم يؤلمك ذلك، في الحقيقة كان ذلك يمنحني قوة تنعش روحي، فكلما أحسست بأني شغلتك بي، شعرت بقيمتي تجاه نفسي، ولم أعلم أن سحري سيرتد إليّ وسأشغل بك.

في المستشفى كنت أحاول عدم الاكتراث، كنت سأتمادى لو جئت في موعدك، ولكنك لم تأت. لماذا؟ ألن أكون سخيفة وضعيفة لأعترف باهتمامي بك.

وهذا الشعر الكريه يزعجني كل دقيقة بسقوطه على وجهي، أنا لا أهتم بك، أقصد طبعًا، ولكني لا أ..حبك.. أنا فقط أخشى أن يكون قد أصابك سوء.. فأنا أعرفك.. بل لا أعرفك وتلك هي المصيبة.

الهاتف صامت.. وهذا الشعر المزعج أرفعه عن وجهي فيسقط باستفزاز.

ماذا أنتظر؟! فالوقت يقترب من منتصف الليل.. أنت عادة لا تهاتفني في هذا الوقت، مع أن الأمر طبيعي، فمعظم زملائي يفعلون ذلك.. على الرغم من أن حديثهم ممل وتافه.

تِك.. تَك.. تِك.. تَك.. تِك.. تَك.. تِك.. تَك.. تِك

لماذا أصبحت ثواني الساعة المنبهة عالية فجأة؟! ربما لأني ركزت

انتباهي عليها.

تِك.. تَك..تِك.. تَك..تِك.. تَك..

قلت إنك لاَ تهاتفني فَي هذا الوقت، فلم تناكفني الساعة؟!

تِك.. تَك..تِك..

اَللعنة على هذه الساعة.

أتناولهــا، أهم بإلقائها مــن النافذة، فأتذكر احتياجــي لها، وأخنقها بمخدتي.

وهذا الشعر الكريه...

أتجه إلى المرآة... أجمع شــعري بيدي على شكل ذيل، وأربطه بشريط أحمر، أنظر في المرآة، أنزع الشريط وأضع آخر أصفر، أنظر في المرآة، التركواز مناسب أكثر، وأستدير يمينًا ثم يسارًا.

أحتاج إلى إنقاص وزني.

أقتــرب بوجهي من المرآة، أضع أناملي على خدي وتحت عيني، أجرب ابتسامة معينة، أعبس فجأة.

ماذا أفعل؟!

أرتمي على السرير وأحس بدمعة ساخنة على وجنتي.

***

طــرق علي باب البيت، الســاعة تحــت المخدة تقول إنها السادســة صباحًا.

مَن يكون؟!

يدي ترفع شعري، أتمطي رافعة ذراعي.

الطرق يتكرر.

يدي والباب.

تتسع عيناي، تنفرج شفتاي دون إرادتي.

وجهك وعيناك، وثواني الصمت تلم شتاتي، وتذكرني بكرامتي.

- جيــد أنك أيقظتني باكرًا، إذ يجب أن أذهب إلى المستشــفى حالاً، لدي عملية جراحية بعد نصف ساعة.

٢٥ أبريل ١٩٩٤

- ٥ -

بين يدي السراب

- غريب!

عندمــا تلمس يدك يــدي بالصدفة ترتجفين، عندمــا تلمس يدي يدك بقصد ترتجفين.

عندما تلتقي عيناي بعينيك أنجذب، عندما تلتقي عيناك بعيني أنجذب.

لماذا أحسك إذن بعيدة؟!

غريب، كالسراب أنت قريبة بعيدة.

ســيارة تعتقد أنها في وقفتها لا تثير الريبة، بيد أن العيون الأربع داخلها تبحلق بأساليب تقليدية تشبه تلك التي في السينما العربية.

يدور محرك ســيارتي، ولمزيد من إرباك العيون مدفوعة الأجر، أقوم بكل الطقــوس اليومية الروتينية، أضع نظارة شمســية على عيني، أعدل وضع المرآة العاكسة، أشعل سيجارة حتى يزداد التقرير تضخمًا.

يرتفع مؤشــر الحرارة، أقود سيارتي ببطء فتتبعني السيارة الذكية، أدفع بشريط الكاسيت داخلا فتنبعثين بحتمية وشجن من خلال النغم.

تعايشت مع البحلقة الذكية، ولم أستطع التعايش مع سلوكك المحير، آتيك مفعمًا بالقول وحشود المشاعر، وتقولين: يجب أن أذهب للمستشفى، فتنهزم حشــودي، وينطفئ التوقد داخلي وأتضاءل وأتحجم حتى أصبح مثل الكرة بين أرجل الصغار، تقذف في كل الاتجاهات دون اعتراض، دون شــخصية واضحة.

كما هي العادة، تنســحب الســيارة الذكية، تنعطف في شارع آخر، وتحل مكانها سيارة ذكية أخرى، بماركة أخرى ولون آخر.

وأنــا في الاختبار الروتيني، أدخل في منطقة ســكنية، أقف في شــوارع فرعية، أو عند بقالة أشتري منها أشياء لا أحتاج إليها، فتمر السيارة بشكل طبيعي حتى لا تثير ريبتي.

حياتــي، تســير بوضوح منهجي، ولم أســقط في وهــم أو غموض أو حيــرة، لا أتوقف إلا لكي أعرف موطــئ قدمي، أما معك فلا تحليل ولا وضوح فســلوكك لا يخضع لمنطق، وكلما قابلتك أزداد غضبًا من نفسي، أحس كمن يلقي ســلاحه تعبيرًا عن حسن نيته، بينما يقوم الآخر بطعنة

خديعة.

تختفي السيارة الثانية، ويحل مكانها تاكسي، مزيف، يتكرر هذا الأمر حتى أشعر بالألفة، حتى أحس أن من الواجب علي أن أقول لهم كل يوم:

- صباح الخير.

أستغرب أنك تشبهين كل شيء جميل، وكل شيء قبيح!

أستغرب شوقي إليك بالرغم من سخطي عليك.

كل هذي السيارات المسرعة والبطيئة، التي تتجاوزني وأتجاوزها لا تعرفك، ولا تعرف حيرتي مع عينيك.

ما أجمل عينيك القاسيتين.

أصل إلى منطقة إبدال السيارة، أنعطف وأمر بصف البيوت لأجد أن البيت المتفق عليه قد شرع مرآبه، أدخل السيارة وأغلق المرآب، وأستقل السيارة المرصوفة عند الباب، فيدفعني الأمان إلى الهمس.

- أحبك.

ثم بصوت أعلى:

- أحبك.

مستحيل، لا أستطيع أن أحب من لا يحبني، من يود إذلالي، أفتح مساحات الزجاج بعدما أصبح الرذاذ قطرات كبيرة متواترة، ولكني أفكر فيك، أفكر لا أنكر، وأتألم لغيابك وأنشغل بك بجدارة.

صوت المطر على الزجاج، ولمعة الأسفلت المبتل تفعل فعل المهدئ.

أعتقد أن اعترافًا صريحًا سوف يحل المشكلة، ويهدئ موج غضبي منك، ويبدد حذرك مني.

في المرآة لا ينعكس سوى عينيك، والطريق يمتد ليصبح بلا هدف، ولا أتذكر المهمة الذاهب إليها.

أبطئ السير تدريجيًا حتى أقف على هامش الطريق، وأحس شوقًا حادًا كسهم من لهيب يمرق في قلبي، فأشغل الإشارة اليسرى في السيارة، وأستدير مع أول منعطف.

٣ مايو ١٩٩٣

- ٦ -

عيناك وراياتي

«إني خلقتك
ثم انتميت إليك»
ممدوح عدوان

المسألة جادة إذن، فعندما أفكر بك كل الوقت، وأشتاق إليك في كل وقت، المسألة جادة لا ريب.

لم يعد الأمر يحتمل تبريرًا.

إنه الحب.

أصارح نفسي بكل شجاعة، منذ أن عرفتك والدنيا في عيني في فمي شيء آخر، لم أجرؤ على الاعتراف بهزيمتي، قاومت، حاولت عدم الاستسلام، بيد أنك ظللت تتسرّب إلي من كل شيء، أطردك، فتتكسر راياتي أمام صوتك، وتهتز خلاياي في كل مرة عند كلمة:

- «اشلونك».

كنت أريد أن أمارس لعبة الجلاد معك، ولكنني كنت أحس باللسع على روحي، كنت أعتقد أن المتعة الحقيقية في حيرتك، وجدت عذابي الحقيقي في حيرتي.

من غرسك في قلبي؟ كيف تغلغل نصلك في روحي المحصنة؟

أطفئ عقب سيجارتي في المنفضة المليئة بالأعقاب، وأحس بسكون صوفي يرخي كل عضلة في جسدي.

من أين للحب كل هذه السطوة؟ كنت أعتز بمنظر المرأة القوية في عيون الآخرين، وأكتشف في لحظة الانفراد بنفسي أنني قطة أليفة تذوب شوقًا، وتتوق إلى ضعف لذيذ شجي، أجمل صوره المتخيلة عندما ينام رأسي على صدرك بخضوع، وعندما تنام كفي بكفك الدافئة كل الزمان.

أطفئ عقب سيجارتي في البن الخاثر المتبقي في فنجاني.

إنه الحب الجميل بكل وضوح وصراحة.

كفي جبنًا وهروبًا، كنت أعتقد أنني أحمي نفسي من الألم، اكتشفت أن الهروب هو الألم، والاستسلام خلاص منه.

أهرب من بداهة الحب، فأسقط في بداهة التوتر.

لم أخبرك عن تجربة الحب أيام دراستي الجامعية، تلك التي مرغت مشاعري، وحطمت أصنامي، أنت لا تعرف ألم من يرى ذراع حبيبه شابكة ذراع غيره، أنت لا تعرف ذلك الشعور الدامي عندما تتخيل حبيبك يمنح ملمسه ورائحته وأحاسيسه في السرير لغيرك، عندما يقترب الوعد الذي بنيته أملا أملا، وانتظرته لحظة لسنوات، وحفرته حرفا حرفا على كتب الدراسة، يذهب ببساطة الطلقة في القلب، ويكون ذهابه أهوى من الموت نفسه.

حبيبك الذي يتحدث عن النضال الطلابي والمبادئ، يكسر ببساطة اللعنة كل المبادئ.

كانت الطعنة نقطة التحول، التي عشت بعدها سنة كاملة في وهم بلا أفق، وهم أنه سيطلقها ويعود إلى حضني، ولما لم يحدث ذلك روجت الإشاعات بشكل صدقت معه نفسي بأن حياتهما جحيم، ولكنهما بدلا من ذلك أنجبا طفلهما الأول، وأقنعت نفسي بسهولة أنه لابأس من الزواج بمطلق وله أطفال، وسأسامحه على كل شيء، ولكنهما أنجبا طفلهما الثاني، ثم تمسك بآخر خيط من تنازلاتي مقنعة نفسي بأنه لابأس من أن أكون زوجة ثانية وسأعتذر له عن كل شيء، وأحصل على نصفه، أفضل من ألا أحصل عليه إلى الأبد، ولكنهما ظلا متمسكين ببعضهما ينجبان الطفل تلو الآخر.

وبعد سنوات الوهم جاءت سنوات التخطيط للانتقام، ثم سنوات جدب الروح، والآن في سن السادسة والثلاثين لم أكن أتصوّر أن الحياة ستدب في عروقي ثانية، وتنتعش غصوني وتخضر أوراقي الذابلة.

من أين للحب هذا السحر؟!

تأتي عيناك لتعلنا الخصب على روحي البور، أنا المتمترسة خلف عهودي، خلف سنوات ما بعد الطعنة، أنا المحصنة بالصفعات، تأتي ابتسامتك المهذبة لتسقط جدراني الواحد بعد الآخر.

لماذ أنت بالذات؟! عجزت عن الفهم، ولكن لا يهم، آمنت بسطوة وسحر الحب دون أسباب منطقية.

أطفئ سيجارتي في فنجاني بعد أن أسحب منها نفسين لا معنى

لهما.

هذه آخر سـيجارة أدخنها في حياتي، حياتي التي سأفني بقيتها بين ذراعيك، سـأكون إنسانة أخرى جديدة معك، سأنسف الذكرى فلا يبقى منها أثر، وسأولد من جديد في حضرة عينيك.

وحتـى أكون أكثر إيمانًا بقراري، أقتحم عيادة صديقتي وأقول بصوت عال:

- أحبه.

فيندهش المريض الذي تحت يديها.

تقفل صديقتي الباب بعد خروج المريض:

- ماذا قلت؟

أحس بانشراح في صدري وأنا أردد:

- أحبه.

- إذن ضعفت.

تقول صديقتي بنصف ابتسامة متهكمة، وأرد في هيام صوفي:

- ضعف جميل، جميل للغاية.

ولأن عينيّ تريدان قول شيء تستحثني صديقتي:

- «إيه».

أقرر بشيء من الخجل وابتسامتي تتسع:

- سأعترف له اليوم وأدفن وجهي في صدره، وأقبل يديه اعتذارًا عن كل الوقت الذي ضاع في الألم.

١١ أغسطس ١٩٩٣

(٧) الريح تهزها الأشجار

آن لنا أن نحترق

أو نفترق

من يخلق الماء، ليس كمن غرق

أحمد الشملان

لسنوات طويلة، منذ يفاعة ما بعد المراهقة، وتربيتي السياسية تشكّلني وفق

مقتضياتها، كل سلوكي وأفكاري وأحلامي وكوابيسي ضمن هذا الإطار، ولاشيء خارجه، كل صباح يشرق هو يوم آخر للنضال، أرتشف في أوله أخبار الجرائد مع قهوة الصباح، وفي الليل أنام على خطة ومهمات الغد، عملي، علاقاتي، قراءاتي، شربي، أكلي، سفري، كل شيء في حياتي مكرّس لهدفي السياسي.

أنا لا أعرف حمل كتاب حتى وإن كان رواية أدبية دون أن أضعه في مظروف أو أدسه بين صفحات الجرائد، أنا لا أعرف الجلوس في مكان عام أو مقهى دون أن أختار زاوية خلفية تتيح لي رؤية الداخل والخارج، أنا لا أستطيع أن أذهب في مشوار حتى وإن كان للتسوق دون المراوغة في الشوارع والحذر من المراقبة، لا أعرف التحدث بالهاتف بارتياح دون تورية أو رموز، أنا أستخدم هواتف البقالات أكثر من استعمال هاتفي الشخصي، وأكبح مشاعر الشوق عند رؤية زميل سياسة في الشارع وأتجاهل معرفته.

على مدى عشرين عامًا، لم أعش كما يعيش الآخرون الذين يدرسون ويتخرجون ويتزوجون وينجبون ويأخذون أبناءهم في نزهة أو لمطعم أو سينما، وذهابي إلى هذه الأماكن لا يكون إلا للقاءات سرية.

لم أنم كما ينام الآخرون ملء جفونهم، هكذا تشكّل نمط حياتي عبر السنين. وفي مساء لا يشبه أماسي حياتي، اضطرب نظام كوني عندما عالجت يدي.

لم أستطع تفسير رغبتي الشديدة لرؤيتك، فبعدما انتهت زيارات تغيير الضماد، أتت زيارات شكر ثم استشارات ثم مناقشات حادة، وبدأ نسيج العلاقة، فأصبحت لقاءات ضرورية.

أنا لم أسقط رهينًا لعادة مثل السجائر، والقهوة والكحول، أسقط في شباك إدماني عليك!

أنا الناذر حياتي لوطني أشغل بك عن حياتي!... أنا الملتزم بالنذور المبكرة أتقاعس عن مهماتي لأراك!

أنا؟! أنا؟! أضغط أزرار الهاتف لأسمع صوتك ثم أقفل السماعة؟

أنا الذي ربيت نفسي على رفض الاستغلال والذل، أحس أنك تحاولين إذلالي، فكيف آتيك قبل إتمام مهمتي وكلي شوق لتقولي لي:

– جيد أنك أيقظتني فلدي عملية جراحية.

قد تكونين معذورة، وقد يكون من ســـوء حظي أنني لا أجيد كلام وسلوك الحب.

ولكنني لم أطلب شيئًا بعد، كنت أتمنى مبادلتك لودي، بينما لأملي كلما اقتربت منــك ابتعدت، قد أكــون عديم خبرة، قد أكون منفرًا، لكنني لا أحب هذه اللعبة النســوية، كنت أتمنى مناقشة مســئولة يتم بعدها أي قرار ثنائي، لكنك فضلت إدخالي في الدائرة الســخيفة، دائرة نصيحة الحموات، لا تشبعيه، دعيه يجري وراءك دائمًا، وأنا لا أجري وراء أحد.

فعندمــا أحب يجــب أن يدفعني هذا الحب لمزيد مــن تطوير ذاتي، بينما تعلقي بك يدفعني للتسيب والتراخي في أداء واجبي، كان يمكن أن تبادليني الشــعور وننتهي من دوامة الحيرة، لألتفت إلى نضالي، ولكنك ظللت تقربين قطعة الحلوى من فمي، وتبعدينها، وأنا لم أعتد العبث.

كنت دائمًا أعتقد أنني عندما أحب، ســأحب بعظمة بتميز، ومعك عندما أشعر مرة بلهفتك ومرة بفظاظتك أستصغر نفسي، وأحسّ بمهانة.

تجربتي معك تهدم ولا تبني.

الموعد يقترب والمستشــفى يقترب، ســأدخل، لن تكوني جاهزة في الموعد كما هي العادة، ولكنك ستســتقبلينني كالعادة بابتســامة تبعث في الأمل، ثم ستسلكين سلوكًا محيرًا كي أجري وراءك، لكن المبادرة بيدي هذه المرة.

أدخل من باب المستشــفى، أمر بالدهاليز الناصعــة التي تنبعث منها رائحة الديتول، سأراك هذه المرة، وستستقبلينني بابتسامة ولكنني..

أفتح العيادة، أنت تجلسين برداء الأطباء الأبيض معلقة السماعة حول رقبتك.

- مساء الخير.

فتردين بابتهاج وابتسامة واسعة:

- مساء النور.

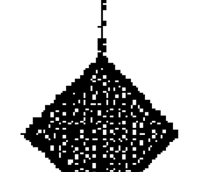
أقف قبالتك وأقول بصوت محايد:

- لن أســتطيع أن أراك مرة أخرى، فظروفي لن تسمح، وربما أسافر ولن أعود أبدًا.

وأخرج...

١٢ أغسطس ١٩٩٣.





الصورة المعلقة *

ليلى محمد صالح

دسست جسمي المتعب تحت الأغطية.. واتكأت على وسادة خلف رأسي لأقرأ قبل أن أنام.. لكني لم أستوعب.. أطفأت النور ووضعت شريطًا في (الكاسيت) سرعان ما غيرته.

لم يكن في الغرفة سوى شعاع الضوء المتسلل عبر النافذة راسمًا دوائر ومربعات فوق السرير، وصمت واسع يتحرك جسدي فيه.

محاصرة كنت بين العقل وبين الصورة المعلقة أمامي والتي توقظ أبدًا أحداث ذكرياتي من دياجيرها، وجسد مشاعر طفولتي البريئة.

لم أفترق يومًا عن هذه الصورة الحبيبة التي كنت أحملها في أسفاري وتنقلاتي.. وأرى الزمان في بحر عينيها العميق، فأنسى ما قد أساء لي.

أرجوك حولي ناظريك عني فما في مقدوري مواجهة ابتسامتك الحنونة الساحرة ولا نظراتك الحانية التي تتبعني أينما تحركت كنظرات الموناليزا (الجيوكاندا) لدافنشي.

---

* من مجموعة المؤلفة: عطر الليل الباقي.

الصورة المعلقة.. شاخصة نحوي، حاملة بسمات الرضا على شفتيها.

فجأة تغادر الصورة الإطار الفضي المعلقة به، تمشي في ضوء غرفتي الخافت، كالذي يمشـــي أثناء النوم، تندس تحـــت اللحاف قربي، تقترب مني، أبتعد أزحف لآخر الســـرير، تقترب أكثر، أبسمل، لكني أعرف هذه الأنفاس المألوفة الحميمة المعطرة بالحنان، عشـــت عليها منذ طفولتي.. أعرف هذا الطيب الأصيل، المســـك، العنبر، وهذا الملفع المرشوش بدهن الورد والعود الذي حضنني، غطاني، وأنا طفلة أرضع الحليب.

تلتصق بي، تمد يدها تلامسني، أشعر برعشة تسري في بدني، أتكهرب، أقفز، أصرخ، يتحرك الفراش بي، أقوم برفع الغطاء والشراشف، أبحث تحت الفراش وفوقه، لا شيء، لا شيء.

لا أدري كـــم مرّ مـــن الوقت عندما نهضت من فراشـــي، بدأت أبحث وأفتـــش دون إرادة مني، ودون أن أرى ما حولي، كان انتباهي كله موجهًا إلى الصورة المعلقة.

في دهشة وتلعثم أحدث نفسي:

- أمي معي في الغرفة، تتحرك، شـــممت رائحتها، شـــممت أنفاسها، ســـمعت همســـاتها، توقف قلبي، كتمت أنفاســـي، كنت أخاف أن أتنفس فتختفـــي، لكنها اختفت كالغيمة، كالدخان، وأصبح بيني وبينها جدار من البلـــور، أفرك عيني، أقرأ المعوذات، يـــا رب هل أنا أتخيل أمي؟ هل هي تعيش معي؟ هل أنا أحلم؟

أخذت أنفاســـي اللاهثة المتلاحقة، تعلو وتهبط، تلفت يمينًا، شـــمالاً، هل ذابـــت كفص الملح.. أين.. أين.. لا.. لا أســـتطيع انتزاع أمي الغائبة الملتصقة بذاكرتي.

أبكي.. أبكي.. أفتح عيني على سعتهما، حين أرى طيفها جليًا واضحًا، تمد يدها لي، تحاول أن تسحبني نحو السماء.

تســـمّرت في مكاني، تملكني خوف رهيب.. تجمد الدم برأسي، تثاقل تنفســـي، أحســـست بجبل رصاص يثقل صدري، قفزت والعرق يتصبب مني، لمحتها عند الباب، فتحت فمي أردت أن أكلم الإنسانة التي رسمت حياتي، أناجي وجهها الذي كان للحياة نافذتي، أطلق أشـــواقي لها، أبثها ألمـــي الدفين، والعبء الثقيـــل الذي تركته عليّ بعدمـــا كانت لنا وللبيت

العتيق كالملاح في لجة البحر.

أمي، أمي، لكن الصوت احتبس في حلقي، تقلبت على جنبي، أغمضت عيني، فتحتهما، أحسست بحركة خفيفة قربي من جديد.

بين اليقظة والمنام وجدتها رويدًا رويدًا تختفي، أردت أن أرفع يدي لألوح لها، أحسست أن يدي ثقيلة وكأنها مشلولة، أسبلت جفنيّ وتركت ظلام أعماقي يمتص نور الغرفة الخافت، أغمضت عيوني، أحسست بسريري المخملي يغوص بطيئا داخل تابوت إلى قعر واد عميق ساكن كالقبر.

***

لازمت أمي طيلة مرضها الذي بدأ بآلام في فقرات الظهر ومفاصل القدمين فكان يتعذر عليها الوقوف والمشي، إنه (ديسك) ذو آلام مبرحة تخز جسدها طوال الليل كالإبر.. وتتركها تتقلب في فراشها.

الإعياء الشديد ظهر عليها على الرغم من محاولاتها لإخفائه عني كي لا أتعذب، لكني كنت أسهر معها، أغير لها لصقات (الفيكس)... الكيس الساخن الذي تضعه تحت جنبها، أسقيها كأس الماء، أرقب لها مواعيد الدواء، وأراقب كل حركاتها وإيماءاتها وحتى أنفاسها، لقد كنت دون منّة الابنة، والممرضة والأخت... والأم لأمها.

تفرغت من كل التزاماتي ورفضت القيام بأي واجب اجتماعي ما لم أكن مرغمة على ذلك.

شاركت الحبيبة آلامها كما لو كنت أنا التي أعانيها، أقدم لها المهدئات عندما ألاحظ هذيانها.. أدثرها بالأغطية لأحميها من القشعريرة، أجلس إلى جوارها على حافة السرير، أحدق في وجهها الأبيض الصافي المريح الذي لم تستطع سنوات التعب الطويلة أن ترسم تجاعيدها عليه.

عيناها الصافيتان الحبيبتان مغمضتان، هاتان العينان اللتان كنت أستمد قوتي منهما، وحين أنظر فيهما تشرق لي الدنيا وتبتهج أقترب منها أكثر، أشدها لي.. أشم شعرها الأسود المنساب إلى صدري بقوة.. يا لطيب صدرها..! أشبك أصابعي بأصابعها. فأحس بالعمر الجميل يتسرب بين الأصابع.. تسحبه الخيوط اللعينة.. خيوط المرض المحكمة.

أعود لأحضنها بشوق مرة أخرى.. كأني أحضن الدنيا بين ضلوعي..

لم أترك يدها.. أخشى أن أفقد تلك اللمسة الحانية في قبضتها.. أستنشق عبيرها الذي هو توأم رائحتي وسنوات عمري التي مضت والتي هي جزء من سنوات عمرها، يا بعد عمري، فيَّ ولا فيك.. وفيما يشبه الهمس أغني لها (ست الحبايب) و(أمي يا ملاكي) أروي لها صورًا متتالية تتلاحق أمامي:

- آه يا أمي الحنون كم أحبك...! وكم تحبيني...!

هناك حب يبني.. وحب يهدم.. الآن وأنت متعبة لا أريد أن أذكرك بحبك الشديد لنا عمومًا ولي خاصة، حب عنيف حتى الموت.. أتذكرين كلامك لي حين انكسرت ساقي اليمنى وأنا ابنة السنوات الثماني.. وبدل أن تحمليني للطبيب.. حملتني إلى (مجبر قديم) وضع عيدانًا دقيقة على جهتي العظم المكسور وربطها بشدة، ليلتها لم أستطع النوم وحين سمعت أنت الحنون الشفوقة أنيني المتواصل المؤلم الموجع، قمت بحنانك المعهود وفتحت الرباط كي لا أتعذب، فخربت الرجل التي لم تعالج جيدًا بسبب حبك الزائد المفرط الذي ورثته عنك.

وأتذكر «يا الحبيبة» حين ينهمر شتاء وابل المطر، ويأتي الباص لينقلنا أنا وأختي إلى مدرسة المرقاب، نهرول بأحلامنا البريئة.. تظهرين أنت للشارع وتؤشرين للباص بالذهاب خوفًا علينا من البرد القارس والمطر الشديد، تدخلين للبيت، وتجلسينا قرب (دوّة الفحم) وتقدمين لنا الحليب الساخن والكستناء المشوية.

وفي الغداء تحرصين أيام البرد والمطر، أن نحتسي شوربة البقول المتنوعة، وشوربة العدس.

وأتذكر يا أمي، حين كُنت أغفو تعبًا وأنا أذاكر للثانوية العامة وكتاب التاريخ مفتوح على وجهي، يدك الحانية تربت على شعري وخدي، تسمّي عليَّ وتوقظني:

- بس قومي يا ابنتي الحبيبة.. اسم الرحمن عليك.. قومي لفراشك نامي.. غدًا الامتحان.

وحين استيقظ في الفجر لأكمل مذاكرتي.. أراكِ تعدين لي الإفطار، خبز التنور الحار... شرائح الجبن الأبيض.. النعناع.. والزيتون.. وعلى الجانب الآخر صينية الشاي والحليب.

- يا إلهي كل هذا في الصباح الباكر.

ترددين بصوتك الحنون:

- مـن أجـل أن تكوني قويـة للامتحان.. سـمّي بالرحمـن يا ابنتي وأنتِ تقدمين الامتحان.. وسـمّي وأنتِ قادمة للبيت. يحفظك الرحمن ويحرسك من العين.

أمي الغالية أتذكرين أخواتي كيف يزعلن حين يسمعن صوتك الشجي الحنون بالهاتف يرد عليّ:

- سمّي وأنتِ قادمة.

ومن على البعد أسمع صوت احتجاجهن:

- لماذا هي فقط تطلبين منها أن تسمي بالرحمن وهي عائدة للبيت؟ هل هي فقط الأثيرة عندك؟

ويقلـب الأم الأبيض ونوايـاه الطيبة.. تضحكين وأنـتِ ترددين عليهن بسخرية طيبة:

- كلكن بالمعزة والمحبة نفسيهما.

مضت سـتة أشـهر على مرض أمي المضطرم.. كانـت كل واحدة منا تعيش لتفكر بالأخـرى.. لكن يقينًا أدركت ما أصاب أمي وإن لم أطلعها على مجريات الأمور.. مصائب تتبع مصائب.. يومًا بعد يوم لا ينفع معها الدواء.. محاصرة بالأمراض.. لكن لا أريدها أن تتألم.

بقيـت طريحـة الفراش.. تنام أكثـر مما تسـتفيق.. تعطي الانطباع أحيانًا بأنها تنسى من تكون؟ لا أدري هل هو ضباب شيخوخة الخامسة والسبعين؟ لكن أدرك تمامًا أني أراها شابة في السبعين.

في مسـاء اليوم التالي ساعة العشـاء.. زادت حالتها سوءًا.. امتنعت عن الطعام، إسـهال، تقيؤ، مرة أصفـر، مرة أخضر، فقدت القدرة على الحركة، ومواصلة التصرف السـليم، أصيبت بإغماءات مفاجئة، نبضها ضعيف، تنفسـها بطـيء، يتصبب منها العرق، اتصلت مسـرعة بطبيب العائلة الذي جاء حاملاً حقيبته مع ممرضة رقيقة شعرها مصبوغ باللون الذهبي.

الطبيـب قاس درجـة حرارتها،جس نبضها، قلّبها جهـة اليمين، فتح عينيهـا، وضع السـماعة على صدرها. الممرضة أخـذت تجهز الحقنة

والقطنة المبلولة بالمطهر، لكن الطبيب يطلب منها أن تتصل بالإسعاف.
يقرر وهو يلتف جهتي:
- يجب نقلها للمستشفى حالاً.. حالتها خطيرة، تجد معاناة في التنفس.
لم أتركها وحدها.. ركبت معها بسيارة الإسعاف لمستشفى مبارك.. أكاد أختنق ألمًا وأنا إلى جانبها، دنوت منها وجدتها تذوي، تذوب بجسمها الذابل الهزيل، يعتصر قلبي وأنا أرى المرض يفترسها، شعرت أني لن أحتمل المزيد من القسوة وأنا أرى الحياة تنسحب من الحبيبة رويدًا رويدًا، كل شيء أمامي تحول رماديًا، قصور الشارع المشيدة تكاد تنهار أمام عيني، الشوارع تضيق.. تضيق.. بدا مستحيلاً عليَّ تلمس حتى أريج الياسمين والفلّ الآسر الذي حملته إليها مع ما تحتاج من أشياء بسيطة وضعتها في حقيبة ملابس صغيرة، آه كل شيء بدأ أصغر مما كان عليه قبل ذهابنا للمستشفى، على طول الطريق القصير لم أرَ شيئًا يستحق أن ألتفت إليه، أحسست بمشاعري تتلبد، وبالهزيمة والمرارة، أدير وجهي جهة النافذة كي لا أرى الغالية تتعذب، أبتلع ألمي، أبكي بصمت وحرقة، وأقرأ عليها كل الصلوات والآيات التي أتذكرها، والتي تقال في مثل هذا الموقف الصعب في الجناح الثاني عشر، باطنية، وفي الغرفة الخامسة خصوصي.
لم أتوصل إلى النوم ليلة كاملة طوال الأسبوعين التاليين، أمسك يدها، أحس بها باردة متشنجة، أسمعها تئن بحشرجة مكتومة، أقوم أضع لها موسيقى هادئة، دقات بيانو، عزف عود، أوقف الموسيقى، أتلو عليها من كتاب الله كما أوصتني أختي، سورة ياسين، آية الكرسي، وآخر ثلاث آيات من سورة البقرة.
أعود ثانية، أمسك يدها، أحس أنها دافئة وطرية، مبللة بندى رقيق بدت ملامحها عادية، أصلي، أسبح بحمد الله وشكره على عنايته الإلهية التي رحمت ضعفها ووهنها.
حين أطمئن عليها، أمتلئ بالسعادة المنتشية، والانطلاقة الرائعة، أعود للبيت بالأمل الجميل والحلم الأجمل، أستحم، آخذ حمامًا باردًا يعطيني إحساسًا باللذة والانتعاش، أتمنى أن أغسل من خلاله كل تعبي وأرقي..

أبقى تحت هذا الدش اللذيذ أحلم، أحلم.

فجأة أتجمد في مكاني، تصطك ركبتاي، تصعد الدماء حارة حارقة إلى وجهي، حين أسمع طرقات الصوت الباكي متتالية على باب الحمام.

- افتحي.. افتحي.

بفزع ألبس ثيابي.. وبذعر أفتح الباب.

- أمك ماتت.. أمك ماتت؟؟!.. البقية في حياتك.

شـعرت أن قلبي يتفجر، مددت يدي إليه أتحسـس النـازف منه، لم يكن دمًا .. كان دموعًا عميقة حارقة، ملأت صدري وانسـابت نازفة على وجهي الحزين المفجوع.

***

السـاعة السـابعة صباحًا .. ٢٨ يوليو، أواخر القرن العشرين المفضي إلى الإمحاء، توقف التنفس، وسـكت القلب الخفاق بالمشـاعر الرقيقة الحنونة، مشـاعر انصهرت في الجراح، وانسابت في توجيه كل الأحلام والرغبات والحب الكبير للأبناء.

انخرطت في بكاء مسـتمر دون أن أجهش.. وظلت دموعي تبلل خدي وحلقي.. حارة نازفة صريعة حزن اليتم.

انطلقت لمستشفى مبارك، كانت في رحاب الموت هادئة، ترقد بسلام، ألقيت عليها نظرة الوداع.

كم هو مفجع ومؤلم أن تتسلل الروح من جسد من نحب وتختفي أمامنا، مفجع أن يتجمد ويشـحب وجه شجرة العطاء وعمود الضياء الذي ملأ البيت حياة، آه كيف يذبل هذا الجسد الذي كان يضج بالنشاط؟!

كيـف تخمد هاتان العينـان اللامعتان الجميلتـان، كيف يضعف هذا الرأس البهي المسـتغرق أبدًا في عشـق الحنان، ومتعـة الحوار العذب، وصنع الأحلام؟ كيف ينطفئ هذا القلب المفعم بالبياض؟

يا وردة في شراييني، يا من علمتني من أكون، وكيف أكون، يا من جعلت حياتي أكثر اخضرارًا وأحاسيسي أكثر شفافية.

حدقت في وجهها الرزين الحبيب المبتسم.. وجدتها جامدة لا تتحرك، تحسست خديها،ارتعشت أصابعي وسَـرَتْ في جسمي قشعريرة باردة،

تمنيت أن يخترقني الموت بدلاً منها، انحنيت عليها برهة، عانقتها، قبلتها قبلة حب طويلة، خلفي صوت ينادي من؟ لا أدري؟ لكني أصغيت.. الكون معي يصغي.

- ماتت وهي تبتسم كالملائكة.

رافقتها حتى اللحظات الأخيرة للدفن، بجوار رأسها أخذت أقرأ القرآن، أخي يربت على كتفي، يسحبني،يطلب مني العودة للبيت قائلاً:

- سرعة دفن الموتى إكرام لهم وللموت.

أعود أقدم له، شتلات من النعناع والريحان والورود، ليزرعها على قبرها، وينثرها على نعشها.

***

في بيتنا الرحب بدأت أجمع الجراح على الجراح، أحاول أن أسدل ستائر الحنان على منارة الدار، لكن الصورة المعلقة، صورة حبيبة الأمس واليوم والغد لا تفارقني نظراتها، تلاحقني مهما ابتعدت، تنظر لي مليًا أينما اتجهت، تركز على وجهي، أناجيها وأفضي لها بالأشجان، أطبق عيني على أحلام تقتل الأحلام، أجتر معها الآلام والأحزان.

من رحم الظلام يتراءى لي طيف آدمي يرتدي بياضًا.. قادمًا.. نحوي من النافذة.. من الباب، أهو حلم أم واقع؟ لا إنها هي الحبيبة الغالية، النظيفة الشفافة، في ثياب بيضاء، نظيفة القلب والروح، أتت تمنحني نفسها، تحاول أن تسحبني نحو السماء.

مضت شهور وأنا على حالتي، مذهولة، أرفض الواقع المُر، أحلّق بالخيال.

تعذبني النظرات التي تطاردني في اليقظة وفي المنام، في أوقات الليل والنهار، أستمتع بالعذاب.

أناجي الصورة وفيديو الذكريات أمامي، يتدفق داخل الفكر والرأس، أحيانًا أهرب، أحاول أن أتفادى النظر إلى عينيها، لكن شيئًا تلقائيًا ما يجذبني إليها، في خلسة أحملق فيها كثيرًا، روحها حية تحاكيني، تخاطبني، تناجيني، أبكي على كتفها موت أبي، أضحك معها حين أتذكر جلستها المريحة، سوالفها السلسة.. وحزاويها الصغيرة.. نصائحها

حديثها الرصين الآسـر الذي يشـدنا إليه شـدًا محكمًـا .. صلواتها .. دعواتها الصالحة وهي ترفع يديها للسماء.

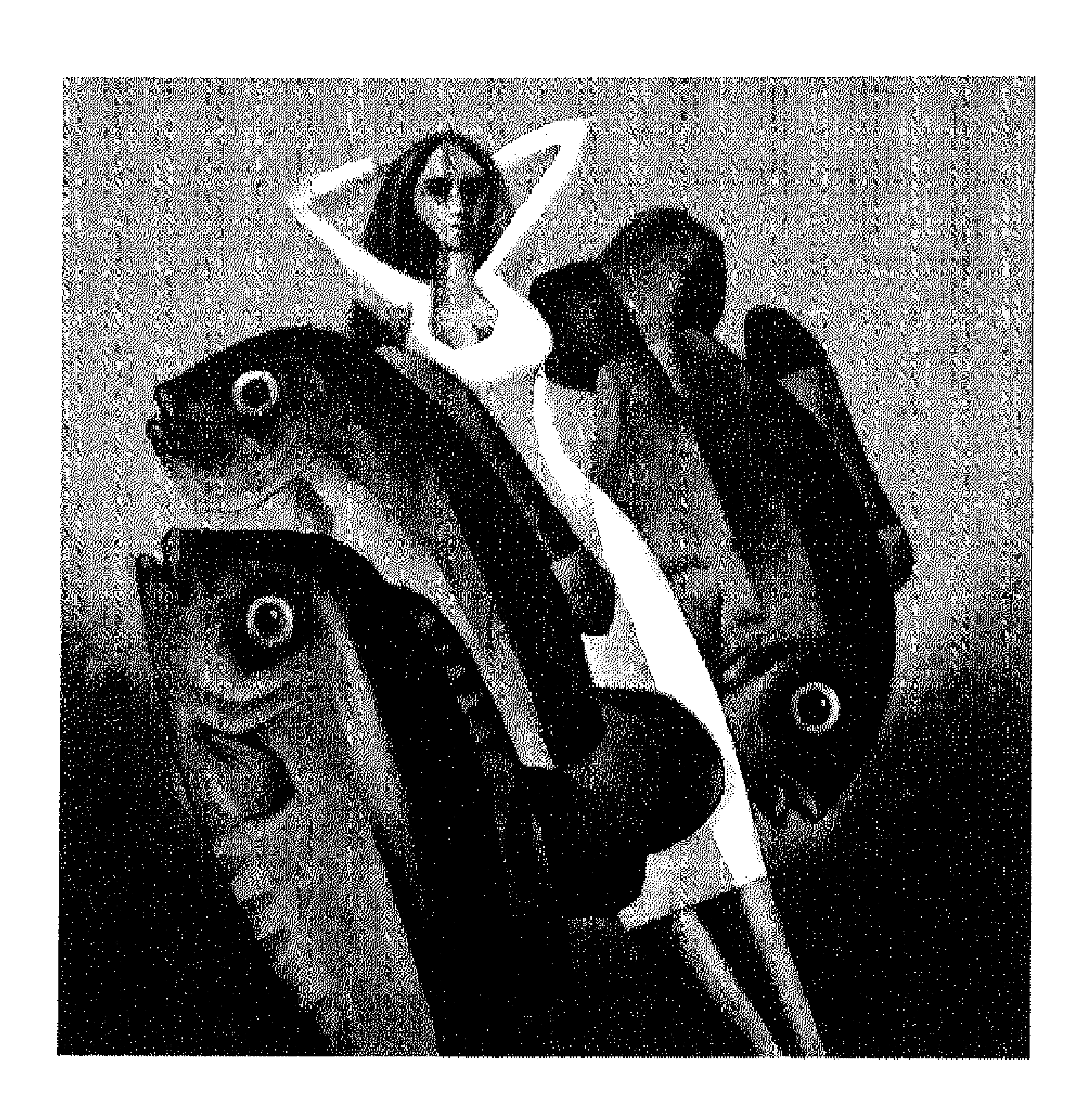
بهدوء اقترب.. اقترب أكثر من الصورة.. أهمس لها:

- أمي أيتها اللؤلؤة الأصيلة، صاحبة الطيب الأصيل.. ما أطيبك.. أنا لا أملك أن أغير البيت العتيق.. بموتك أرى موتي الآن.

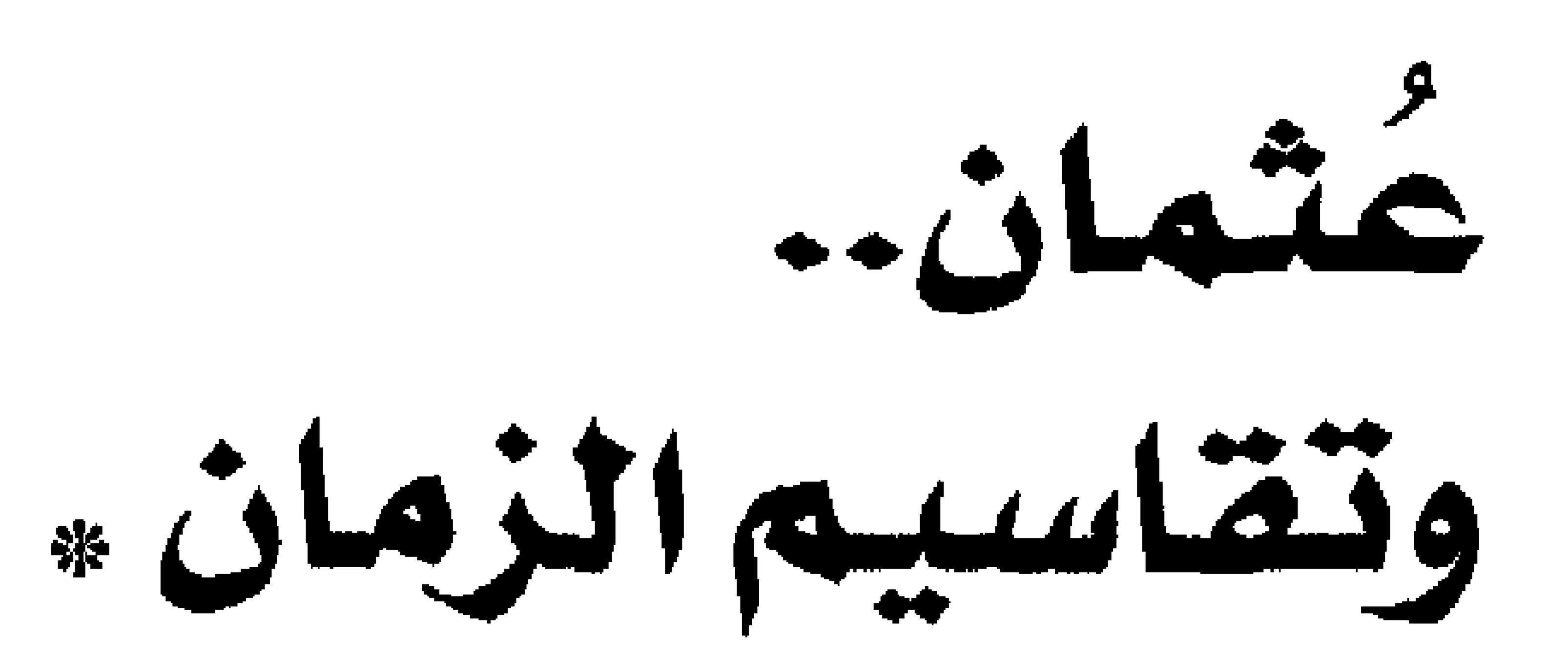
أرجوك..حولـي نظراتك عني فما في مقـدوري مواجهة بريق عينيك الآخذ،ولا نظراتك التي تتبعني أينما تحركت أوابتعدت.

بصلابة وتصميم، أمسـح بوجهي نظراتها المتألقة، أرسـم على شفتيَّ ابتسـامة عذبة كابتسامتها الحلوة السـاحرة، بأصابعي المرتجفة، أرفع الصـورة المعلقة،أقبلها أضعها في علبة زرقاء مخملية، أحتفظ بها وديعة غالية.. أطلب لها الرحمة والغفران.

أدور أرجـاء الغرفـة.. أزيح السـتارة عن النافذة لمزيد مـن الإنارة.. أسـحب نَفَسًا عميقًا.. أملأ رئتي بهواء البنفسج المعطر بالحب الكبير.. وابتسامة متوهجة تملؤني.







عُثمان.. وتقاسيم الزمان *

حمد الحمد

-١-

● مانشيت عريض بلون أحمر ظهر على الصفحة الأولى بصحيفة «الشروق» حتمًا شدّ انتباه القراء في هذا الصباح الربيعي الجميل.

التقط الصحيفة وراح يعيد قراءة الخبر المرة تلو الأخرى، وضع فنجان القهوة جانبًا وابتدأ يتمعن في السطور المتلاصقة.. مرة ثانية، ثالثة، رابعة وخامسة.

وضع نظارته جانبًا، استرخى قليلا، ردّد «خبر غريب.. قد لا يصدق» أشعل سيجارته ونفث دخانها نحو الجهة اليمنى، أغمض عينه اليسرى، حاول أن يعيد قراءة الخبر هذه المرة بصوت مرتفع «تهبط في صباح الغد مركبة فضائية قادمة من كوكب أبولون المكتشف حديثًا، هذه المركبة تتسع لألف راكب.. لا يوجد درجة أولى ولا درجة ثانية.. الجميع سواسية، تقبل إدارة المركبة الراغبين في الهجرة لأسباب إنسانية، أو سياسية، ومن

* من مجموعة المؤلف: عثمان.. وتقاسيم الزمان.

يهاجر لا يعود للأرض مرة أخرى».. وفي جانب من الصفحة هناك صورة توضيحية لموقع هبوط المركبة بين خط محيط غرب وخليج شرق.

تنفس عثمان الصعداء، ورشف فنجان القهوة، وطوى الصحيفة ووضعها جانبًا، اتكأ على الأريكة.. «فكرة جميلة من يذهب لا يعود».

-٢-

وفي صباح اليوم التالي، استيقظ عثمان مبكرًا وحلق ذقنه على غير عادته، وأخذ فرشاة الأسنان ليستعمل معجونًا بلون أخضر اشتراه بالأمس من البقالة المجاورة لمنزله، فرك أسنانه بقوة حتى كاد يدمي لثته،غسل وجهه ثم غطاه بالمنشفة، عاد ليرتدي بذلته الزرقاء التي اشتراها في العيد الكبير، أخذ ربطة عنقه الحمراء المنقطة والمتناسقة مع قميصه الأبيض، انتعل حذاءه الأسود، بدا له أنه ضيق جدًا.

حمل بيده حقيبته الجلدية التي وضع بها مغلفًا أبيض به صورة والده ووالدته.. الصورة مضى عليها أكثر من أربعين عامًا.. قد تكون في يوم مولده.. هنا تذكر قول والدته.. «ولدتك يا عثمان في يوم جمعة.. ستفتح أمامك أبواب السعد».

فابتسم.

-٣-

خرج من المنزل واستنشق الهواء وشعر بأنه في يوم عيد، أتاه هاجس من بعيد «ما الذي يدفعك يا عثمان لأن تغادر الوطن؟» فقال يخاطب هاجسه المتعب «الوطن هو الناس.. والناس تنهش الناس.. كالأسماك يأكل بعضها بعضًا».

يأتيه هاجسه مرة أخرى «يا عثمان.. نعرفك جيدًا.. أنت كاتب ومفكر.. والوطن بحاجة إليك» ضحك عثمان «آه.. الوطن» ثم ضحك مرة أخرى.. «كاتب ومفكر..!! بالأمس شاهدت صورة راقصة لم يمض على هزها لخصرها سوى أشهر قليلة.. أجرت معها صحيفة «الشروق» مقابلة بنصف صفحة.. أنا لم تجر معي مقابلة ولو لمرة واحدة».

-٤-

«الوطن يا عثمان هو الناس.. والناس لا تعرف أنك كاتب.. لأنك يا أخي لا تضع صورتك بالألوان في صحيفة الصباح.».

ضحك عثمان «أنا أضع صورتي مع صورة راقصة؟.. لا.. لا لن أفعلها.. أنا أقدم أفكاري ولا أقدم شيئًا آخر.. هل أكمل.. سأكمل!!..».

«وقح يا عثمان الرجاء لا تكمل»..ضحك مع هاجسه المتعب.

-٥-

يصل عثمان إلى دائرة هبوط المركبة الفضائية القادمة عبر الزمن من كوكب أبولون.. قيل إنها تعبر بسرعة خمسين مليون سنة ضوئية وعلى جوانبها أنوار تستطيع أن تضيء مدينة بأكملها..

نظر عثمان إلى دائرة التجمع، هناك بشر كثيرون.. يضحك عثمان.. «قد يكون جميع أبناء الوطن...!!» هذا من محيط غرب.. وهذا من خليج شرق وآخر من الجنوب داكن البشرة..

حاول أن يقتحم الصفوف، الغبار يتطاير، يرفع منكبيه ويستنشق بعضًا من الهواء..يسمع قول أحدهم «فرصة ثمينة.. نذهب ولا نعود».

-٦-

السماء زرقاء، والأرض فضاء خارج بؤرة التجمع، ولا وجود لمركبة فضائية، هناك رجال أمن وضوضاء، ورجل أصلع يبيع المشروبات الغازية، يقف بجانب عربة بيضاء.. يخاطب المتجمهرين بصوت مرتفع:

- اشربوا.. اشربوا قبل أن تغادروا.. اشربوا فقد تكون آخر فرصة لكم.

يخاطبه رجل آخر:

- وهل ستغادر معنا..

يلتفت نحوه:

- نعم سأغادر.. وسأبيع لكم في كوكب أبولون مشروبًا من نوع آخر.. هناك لن يلاحقني رجالُ البلدية.. لأن رجال البلدية هنا لا يلاحقون إلا الفقراء.

يقترب منه عثمان.. ويشتري منه مشروبًا غازيًا بطعم البرتقال.. رجل يشتري مشروبًا غازيًا بطعم الفراولة.

-٧-

هناك نساء أيضًا.. وتلك المرأة تبدو في كامل أناقتها.. هل ستركب المركبة أيضًا؟ يبتعد عنها عثمان خشية أن يقال إنها زوجته، فهو -

عثمان – يكره النساء كرهه لرقابة وزارة الإعلام والتثقيف.

-٨-

سار عثمان نحو تجمع كبير، وابتعد عن مصوري الصحافة والتلفزيون.. كانـوا يلتقطون صورًا عديدة للمتجمهريـن.. أكثرهم كان يضع يده على وجهه.

-٩-

اقترب من مركز دائرة التجمع، كان هناك أحد الصحفيين يوجه أسئلة إلى مجموعة من الرجال، أحدهم أبيض البشـرة وآخر أسـود البشرة، وثالث لا أسود ولا أبيض.

اعتلـى المصور المرافـق للصحفي برميلا متوسـط الحجم صبغ بلون أصفر.. وأسود.. قال بصوت مرتفع:

– يـا إخواني معكم صحيفة «الشـروق» سـنجري تحقيقًـا صحفيًا بمناسـبة قدوم مركبة كوكب أبولون القادمة بعد قليل، نود معرفة سبب مغادرتكم للوطن.

تأتي إجابة أحدهم بصوت أجش:

– وهل نحن مجبرون على البقاء.. لقد ولدتنا أمهاتنا أحرارًا.

رد آخر بعصبية:

– أسكت أيها الغبي.. فقد يكون هذا من رجال السلطة!!

-١٠-

يبدو أن المتجمهرين اقتنعوا بفكرة المصور الذي طلب منهم أن يصطفوا بطابور يذكرهم بطابور الخبز في مدنهم التي تلفظ النساء أطفالها عند الولادة كالفئران.. وبلا مستقبل.

قال رجل طويل القامة مخاطبًا الصحفي:

– لقد هاجر أخي محمد لأمريكا بعد أن أنهى دراسته هنا..

لقد مضى عليه الآن سبع سنوات، وبالأمس أرسل لنا صورة له ولأفراد عائلته.. الآن هو يملك منزلاً وسيارة وأصبح رجلاً محترمًا يعرف حقوقه ويعي واجباته.

قال عثمان مخاطبًا الرجل:

– وأنت؟

التفت نحوه الرجل.. وقال بحسرة - بينما الصحفي يضع آلة التسجيل قرب فمه:

- أنا.. أنا؟ (وضرب بيده على صدره) أنا أبدو كثور الساقية.. أدور.. أدور ولا أعرف حاضري من مستقبلي.

ضحك أحدهم:

- على الأقل ثور محترم.

ضحك الملتفون حول الرجل.. الذي اعتراه الخجل.

-١١-

مواطــن آخر تقدم إلى الأمام وراح يتحدث للصحفي.. بلغة أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية، فقال:

- أنا شــاعر أنشــد الارتقاء بالمجتمع.. أعشق الصدق أجسد أفكاري وأحلامي على الورق.

فقاطعه أحد الحضور:

- نريد قصيدة يا شاعرنا.

اعتلى الشاعر.. البرميل الأصفر وأخرج ورقة بيضاء وراح يقرأ بصوت جهوري:

«النمل يأكل النمل

القطة تأكل صغارها

وأنا وأنت يا حبيبتي

يأكلنا النمل».

ضحك الجمهور إلا عثمان فقد فهم ما يعنيه الشاعر.

قال رجل بعصبية:

- مــن يفهمك يا شــاعرنا.. نحن في عصــر البترول والمــال والذرة والأقمار الصناعية!

اســتاء الشــاعر.. عندمــا رأى الجمهور ينفضّ من حولــه وقال وهو يضرب بكفه على صدره:

- يا للحسرة «في عصر زيت الكاز.. يطلب شاعر ثوبًا وترفل بالحرير ...».

وأومأ الشــاعر بيده نحو امرأة كانت تقتحم الصفوف وترتدي لباسًــا

غير محتشم.

-١٢-

اقترب الصحفي من رجل بدا بائسًا.. وكان يردد:

- متى تصل المركبة؟؟

قال الصحفي:

- بعد قليل.. وهل تريد الهجرة؟

- نعم.. فقد أحصل على عمل.. يقال إن الوظائف متوافرة.. أفضل من هنا.

- عمل في كوكب أبولون؟ «يضحك..»

- يقال إن الرواتب خيالية..

- ولماذا الهجرة.. أمِنْ أجل وظيفة؟

- نعم..فقد أوصدت أمامي أبواب الرزق هنا.

قال الصحفي.. وهو يقلب شريط التسجيل.

- تبدو رجلاً فاضلاً.

- نعم.. هذا سبب مأساتي.

- لم أفهم؟

- كنت مواطنًا صالحًا.. وأصبحت مواطنًا بائسًا.. هل ترى هندامي..؟!

قال الصحفي:

- أرى.. أرى.. ولكن الرجاء الاختصار.. أخبرني ما الذي جعلك هكذا .. فشريط التسجيل مدته محدودة؟

أجاب الرجل:

- كنت أعمل في إحدى المؤسسات المالية بوظيفة محاسب واكتشفت ذات يوم حالة اختلاس بمبلغ نصف مليون دولار ولم أتوان عن إبلاغ الإدارة.. على الرغم من أن زملائي نصحوني بغض الطرف.

- وبعد ذلك ماذا حدث؟

- طبعًا رفضت أن أسحب التقرير.. ولكن ما حدث لم يكن بالحسبان حتى أنه ذات صباح وأنا أهمُّ بشرب الشاي في الكافيتريا حدث أن اقتربت مني سوزان موظفة الكافيتريا، وبحركة فجائية وضعت يدها

على جزء حساس من جسـدي، وقمت بحركة لا إرادية بوضع يدي على صدرها ودفعتها إلى الخلف.

- وانتهى الأمر؟

- لا .. قامت سوزان بالصراخ أمام رواد الكافيتريا وادعت أنني خدشت حياءها، ورفعت القضية إلى الإدارة القانونية واتهِمْتُ بارتكاب فعل شائن وتم اتخاذ قـرار بإنهاء خدماتي.. فورًا .. ونجح «الملعوب» وبقي المختلس في وظيفته!

- ولكن أين حقك؟!!! هذا ظلم.

- ألم تفهم. نجح «الملعوب» ولكن هل تعتقد أنني سأحصل على وظيفة في كوكب أبولون؟

- ولم لا ...؟!

-١٣-

يقبـل رجل له لحية طويلـة وبثوب أبيض قصيـر، وكان يردد بصوت مرتفع:

- لماذا تتكالبون على مغادرة الوطن؟ لماذا تغادرون هذه الأرض الطاهرة؟ فأنتم خير أمة أخرجت للناس.. تأمرون بالمعروف.

يأتي صوت من بين الجموع:

- بل نحن الآن «أتعس» أمة.. بعد أن ألغينا استعمال العقل.. واكتفينا بالتفكير من خلال عقول أسلافنا..

قال عثمان:

- أسكت يا هذا .. هؤلاء سطوتهم أشد.. فرقابة الحكومة تأخذك إلى السجن.. أما هؤلاء فرقابتهم تأخذك إلى القبر!!!

-١٤-

ابتعد عثمان ليستنشـق بعضًا من الهواء، استرخى قليلا.. اقترب منه أحدهم وقال:

- يقـال إنه في كوكـب أبولـون.. لا يوجد جنة ولا نـار.. ولا عذاب آخرة.

ابتسم عثمان:

- يـا أخي ألا يكفينا عـذاب الدنيا.. حتى تذكرنـا بعذاب الآخرة؟..

ابتعد قليلاً..

يكمل الرجل:

- فعلاً.. أن تستيقظ صباحًا لتبحث عن لقمة العيش لصغارك..هذا عذاب كبير!

-١٥-

بينما هو يشعل سيجارته ويجلس على قالب اسمنتي اقترب منه صحفي آخر.. قال:

- هل بالإمكان إجراء لقاء صحفي.

شعر عثمان بسعادة غامرة.. وهو يصغي لكلمات الصحفي التي بدت أكثر تهذيبًا.. أجاب وهو يضع رجله اليمنى على ساقه اليسرى:

- تفضل.

- أراك متلهفًا.. للصعود إلى كوكب أبولون؟!

- طبعًا كغيري.. أنظر لهذه الجموع.

- ومالذي يدفعك لذلك؟

قال عثمان: وهو ينفث دخان سيجارته من فمه:

- أنا كاتب.. لي رواية طبعت خارج الوطن.. ومنعت من التداول هنا.. مسكينة لم تشم رائحة الوطن.

أردف عثمان:

- هل أسترسل؟

أجاب الصحفي.. وهو يقرب آلة التسجيل:

- تفضل.. فاليوم متعب جدًا.. والمركبة العجيبة تأخرت.

أكمل عثمان حديثه وهو في حالة استرخاء:

- عندما كنت طفلاً.. كنت سعيدًا جدًا.. لأنني لا أفكر بقضايا الوطن.. أما الآن فإنني متعب جدًا.. أفكر بالوطن وبالناس وبالمستقبل وأمرض كل يوم لأن أحلامي تتلاشى كانقشاع سحب هذا اليوم الربيعي.

كان يود أن يكمل حديثه ولكن الصحفي.. انسحب دون أن يستأذن.. شعر عثمان بإحباط داخلي شديد.. وقال مخاطبًا الصحفي الذي توارى عن الأنظار:

- نحن الكتاب «نعطيكم الفرح الجميل.. وحظنا حظ البغايا ما لهن ثواب»

وراح يكمل تدخين سيجارته.

-١٦-

صوت من بعيد:

- أنظر.. ها هي مركبة أبولون قادمة..

رجل آخر:

- أيها الغبي.. هذه طائرة مروحية تقوم بتصويرنا

قال رجل له شوارب طويلة:

- يقال إن نساء أبولون أشبه بالحوريات لا يمل الرجال من معاشرتهن!!

ابتعد الرجل بعد أن رأى امرأة ضخمة الأرداف تقترب منه.

-١٧-

الكل كان بانتظار وصول المركبة، انتصف النهار،صعد رجل على برميل أزرق.. راح يرقب الرءوس المتحركة كأمواج البحر.

صاح آخر كان يستمع لراديو صغير:

- إذاعة لندن تقول إن مركبة أبولون دخلت حدودنا الغربية وهي الآن تتجه نحونا.

قال آخر.. وهو يرفع يده للسماء:

- الله أكبر.. الله أكبر.. جاء الفرج من إذاعة الإنجليز!!

سرت قشعريرة في جسد عثمان.. راح يتلمس حقيبته الصغيرة ووقف.. يرقب السماء.

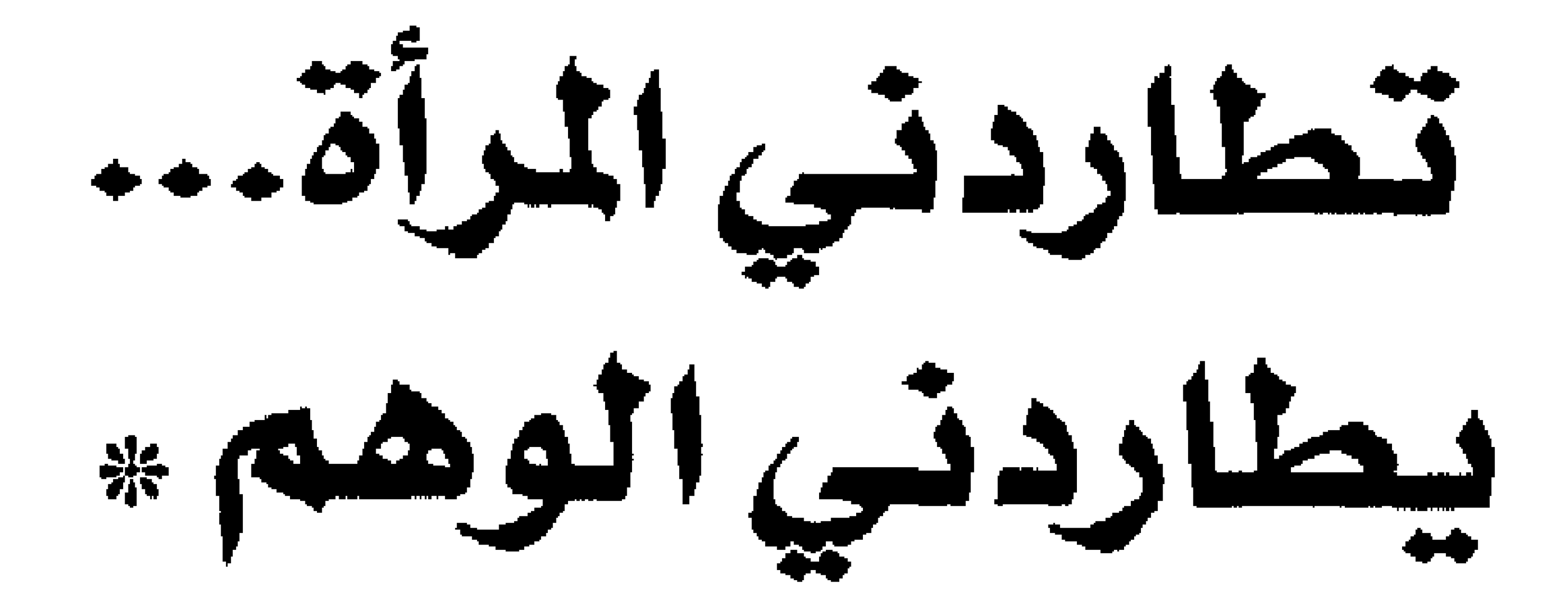
اقترب منه شاب يرتدي ملابس رياضية ملونة.. وعلى شفتيه ابتسامة لا معنى لها.. سلمه ورقة صغيرة بحجم راحة اليد.. واختفى وسط الزحام.

فتح عثمان الورقة.. وراح يتمعن في حروفها.. ألقى سيجارته جانبًا أعاد قراءة الورقة مرة أخرى.. حروفها.. كتبت بخط صغير «نأسف على هذا الإزعاج.. اليوم هو الأول من أبريل.. صحيفة الشروق».

شعر عثمان بانكسار داخلي شديد، خليط من الألم والمهانة.. التفت حوله وراح يرقب أولئك الذين يرقبون السماء بانتظار الخروج من دائرة الوطن.







تطاردني المرآة... يطاردني الوهم *

عالية محمد شعيب



كلما أردت أن أسألك... عن المرأة الأخرى.
أبتلع لساني
تتضخم شفتاي فجأة...
تتناسل عليها شقوق كثيرة، رفيعة نصف دائرية، وأختبئ.

وفي الليل، أخرج كل صحف اليوم، وأقرأ عن الانتفاضة وعن أطفال الحجارة. أستمع لما يقوله المذيع البليد والمذيعة الدمية. أركض للحمام، أتقيأ مرات عدة، وأعود لأتابع المشاهد الساخنة الدامية.

(يضربون شابًا على رأسه وظهره. تهوي عليه أمه العجوز لتنتشله من الأرض. يرفسها الجندي - الآلة. يضربه ثانية، فيتناثر دمه على الأرض وتصرخ) مجمدة أمام الشاشة أنظر كالبلهاء.

وحين ينتصف الليل، يبدأ المخدر في التفاعل مع السائل السابح الراكض في شراييني، وتغتالني رائحة الدم، تسبقني إلى قميصي. ترتديني قبل أن أتنفس الملح، وأتهيأ لارتداء وجهي وقدمي. أحاول تجاهلها فأتشبث بها.

---

* من مجموعة المؤلفة: امرأة تتزوج البحر.

تحاول الهروب مني، فتلتصق بي!

أريد أن أنام.

أريد أن أتذكر كيف كنت أنام.

أريد أن أمارس النوم كما كنت أفعل. أريد أن أتذوق معنى السفر للداخل حيث الألوان تحترق وتمتزج وتتركني واقفة عند عتبة الباب الخشبي. انظر ولا أجرؤ على الدخول. أريد أن أتذكر كيف كنت أنام، وبماذا كنت أحلم. أدخل في دفء الفراش وأتهيأ لحرير النوم وأبقى مثل الجثة المجمدة في التابوت الحار. أعد دقات الساعة. يرحل الليل شامتًا، يجيء الفجر ساخرًا، يتقيؤني الألم الحارق في عينيّ فلا أذوب تمامًا ولا أصحو تمامًا. أعود فأدرك. أنك لن تموت في داخلي.

وأني لاأكون إلا لك.

لك وحدك!

أغمض عينيّ وأذوب شيئًا فشيئًا، أرحل عن جسدي وعن فراشي وغرفتي و... أ.. نا... م!

ليبدأ كابوس الأيدي الزاحفة.

تزحف الأيدي الكثيرة المجعدة ذات العروق الخضراء والزرقاء النافرة وتتسلق الفراش. تندس أسفل أطراف الغطاء وتقترب مني وأرتعش، أتحول إلى جثة مكهربة، تلمسني أطرافها، أعتقد أني لازلت في الحلم، تتمرغ على دفء جلدي، أتمنى أني لازلت في الحلم، لكن حين تمسك بي بقوة، أدرك أني لست في الحلم فأقفز وأصرخ، تتراجع متوعدة، لأسفل الفراش، وربما لأسفل الأرض.

وفي يوما ..

استجمعت ما تبقى من شجاعتي ويقيني، فتحت الباب على آخره والنوافذ وفتحات التكييف. رفعت كل الأغراض عن الأرض. وقفت عند الزاوية أرقب ما سيحدث، لكن شيئًا لم يحدث. لم يتحرك حتى الفراش، اقتربت قليلاً، قلبي مضخة مسكونة بالهلع، لكني قررت اكتشاف السر. رفعت الغطاء، ضربت أطرافه بضربات خفيفة وركضت. لم يظهر شيء. ولم تبق سوى الوسيلة الأكثر شراسة وقررت اختراق الخوف واقتلاع أسنانه المدببة من لحم رئتي وقلبي.

اقتربت، نزلت برأسي لأسفل الفراش. لاشيء سوى الظلام سلطت مصباحًا

يدويًا على كل المساحة، لاشيء، مساحة عريضة وخالية، أين إذن الكائنات الليلية السرية.

أين الأيدي المبتورة التي تصحو حين أنام لتزحف نحو جسدي، وقد يدخل في دفء الليل المخملي...!

-٢-

منذ متى وأنا أقاوم هذا العذاب العذب الذي يلتف حول رقبتي ويضغط على لحمها الزجاجي المذاق، الذي ألفته منذ عرفتك. أدركت أنها هناك في زاوية ما من حياتك - غرفتك - جسدك منذ أدركت أنها كانت زوجتك، ولاتزال. وأنها سبحت في بحيرة جسدك ليالي عدة. ونامت على ضفافها المبللة بدفء رائحتك مرات ومرات، وأنها تعلم كل تفاصيل تضاريسك وعدد ملابسك وألوان أقلامك.

لعلك أحببتها يومًا... في لحظة ما
لكن الآن... ماذا أفعل وقد
اكتشفنا هذا النزف الحارق الذي
يصرّ على جرفنا لأعمق نقطة في الحريق

أريدك لي وحدي... أريدك لي وحدي. منذ متى وأنا أحاول أن أسألك عنها... لا أدري، منذ أسابيع أو... قرون؟ أصبح البرد نزيل غرفتي وطعام مائدتي... والأصدقاء؟

الأصدقاء يستعدون لحفل رأس السنة. وأنا أقاوم الرغبة الملحة في أن أسألك عنها «أريد أن أعرف... أريد أن أعرف!».

هكذا صرت أحدّث نفسي أو أصرخ في وجهي في المرآة ثم أغمره بكفيّ وأبكي، ماذا سيحدث لها؟ أين ستكون هي وطفلتها التي ولدت لذلك الأب الغائب المسافر الذاهب للداخل - دونما عودة.

قلت لي ذات يوم:

«لم أشعر بها في يوم أو ليلة. هي في غرفتها وحياتها وأنا لي حياتي المستقلة، وهكذا ركض بي العمر. لكن الآن وقد وجدتك أريد أن أتنفس وأعشق من جديد، أريد أن أفنى في وجودك...».

صدقتك دون أن أصدقك. أردت أن أصرخ في وجهك، والطفلة البريئة، هل تستطيع أن تخترق حاجز الاحتمال لتتخيل ماذا سيكون لون عذابها حين

تكبر، ولا تجدك.

مَن سيجيء لحفل ميلادها، من سيذهب لاجتماع الآباء في المدرسة؟ من... من...؟

لكنني ظللت صامتة.

جعلت الأمر غامضًا بيننا منذ البداية، لذلك كان لابد أن أصمت وأبتلع أكياس الهواء الشفافة، التي أصبحت تتكدّس بكثرة في الجانب الأيمن من معدتي، وتسبب لي ألمًا هائلاً كتمته عنك. قال لي الدكتور ببلادته الجليدية: «اصرخي، انفعلي افعلي أي شيء حين تغضبي أو تحزني لكن لا تصمتي، لا تبتلعي الهواء ثم تعودي لي شاكية. بكل بساطة، اكسري أي شيء أمام». واستمر في سكب نصائحه في وجهي بلا شعور. أردت أن أقول له، لكن يا سيدي، كيف أكسر الألم الذي يسكن حلقي، كيف أكسر هذا القدر العنيد الذي يلف خيوطه الحريرية النارية المذاق على عنقي وأصابعي.

أردت أن أقول له، لكن الله يرقبنا ويعلم بكل شيء، قد يعاقبني في نفسي أو في أولادي.

ماذا سأفعل إن ساءت العلاقة بيني وبين الله، كيف سأعيش؟ كيف سأتنفس، هل سوف تجدني حينئذ، هل ستعيد لي اخضرار روحي ظللت أحدق في وجه الطبيب الزجاجي الملامح بلا وعي، وشعور بالاشمئزاز يطفو في داخلي متسللاً إلى حلقي ثم إلى فمي لأتقيأ على مكتبه وأوراقه وقفازيه ومشرطه المعدني.

ولم ينطفئ الألم الحارق الذي كان يعتصر معدتي.

-٣-

بدأ الأصدقاء يشترون هدايا حفلة رأس السنة ويعلقون الزينة، ويلفون شريط قوس قزح الضوئي على الشجرة - العروس. وأنا مكومة على الأرض، أتأملهم بصمت. كفّي على وجهي ووجوههم تتتابع في مخيلتي تتكدس الأقنعة، الواحد تلو الآخر وأتخيل أن كل وجه مطبوع على كيس منفوخ بهواء ذي لون ورائحة خاصين وكل الأكياس تتجمع في الجانب الأيمن من معدتي وتضغط، يستنجد بي ووجوههم على الأكياس تضحك أكثر فأكثر، وينفجر الألم في داخلي، لكن وجوههم تستمر في الضحك والثرثرة. افتعل المشاركة معهم.

وأنت، ماذا ستفعل في حفل رأس السنة، هل ستكون معي أم معها. لكن كيف

تكون معي وهي بيننا. أحبك... أرجوك.. أحبك.

أريد أن أصرخ، أن أبكي. أريد أن أركض إليك لأكسر هذا الألم الصاخب عند قدميك.

أحبك، هل تعرف معنى أن أحجب هذه الكلمة عن كل رجال العالم وأرمي قرنفلها على صدرك وحدك.

أريد أن أكون معك وحدك عند بدء السنة الجديدة، هل تعرف ماذا سأفعل؟ سألف كل هذه الزينة الملونة المزركشة حولك وأجعلك شجرة حفلة رأس السنة الجديدة، الخاصة بي وحدي، وحدي أنا.

وأدخل في مهرجان الفرح اللؤلؤي، ألعب بالزينة، أنثرها على الأصدقاء حولي، ألقي بالكرات الصغيرة الملونة في وجوههم، ونضحك، وأنسى لفترة فقط هذا العذاب العذب الذي يؤرقني.

-٤-

لماذا صرت أتخيلها كل لحظة وأخرى، كأنها تدخل بيني وبين النفَس الذي أستنشقه. تقف بقامتها الطويلة الصلبة شعرها طويل فاحم. حاجبان دقيقان وعينان انطفأتا منذ ذلك الزمن الندي البعيد.

تقف عند الزوايا القريبة، عند المنعطفات الباردة تترقّبني، تنتظر اللحظة المناسبة لتقذف في وجهي ذلك السائل الحارق لتبصق في وجهي لتصفعني. «لابد أنها تحقد عليّ، وكيف لا، وقد سرقت من بيتها لؤلؤ الفرح ومصدره الوحيد». تلاحقني بعباءتها السوداء الباهتة من مكان لآخر، تلفّ رأسها بغطاء ما. أشعر بخطواتها السريعة تتابعني. صدرها يرتفع ويهبط مع نبض قلبي.

أريد أن أحدّثها، أن أخبرها بأن الذنب ليس ذنبي ولا ذنبها، وبوجوب أن تنتصر إحدانا، لابد أن تفوز المرأة في صدري أو في صدرها. هي تتعذب وأنا أحترق وهو في سكرة العشق يغيب ويفيق ليجد مزيدًا من الحب والانتظار... ينتظره!

هي... تنتظر عودته، وأنا، أقف عند عتبة الباب، ظهري لجليد العالم، خيط العرق الدافئ يتسرّب على خريطة جرحي، يسخر مني، يشيع الدفء في جسدي، ويبقى قلبي باردًا باردًا، لأني أنتظر، لازلت أنتظر.

أيتها المرأة الأخرى، متى أنتزعك عن جلدي، تقيدينني مثل سلسلة ذهبية عطرة، تلفين خصلات شعرك الطويلة على أصابعي وخصري ورئتي. أشم

كحل عينيك الأسـود كلما انفردت بنفسـي لأكتب أو لأبكـي. لابد أن تنتصر إحدانا.

لكن أين أنت أجيبيني، كيف أجدك؟ كيف أحادثك؟ كيف؟ لا أدري.

لا أدري...

لا أدري!!

-٥-

ليلة رأس السنة...؟؟..

الرفاق قد تجمعوا كل اثنين معًا. بريق العيون والأسنان يلسعني.

أحتضن قلبي بقسوة، أهمس له: ألا تفرح معي الليلة فقط؟».

انهمك في تحضير الطعام والأطباق. الموسيقى عالية، يذوب شعوري بالمكان والزمان، للحظة لا أدري أين أنا.

هذه القاعة الضخمة المتلألئة تسبح بي في فضاء بنفسجي الرائحة، ريشي الملمـس. في لحظـة، أتمنى البكاء على صدرك. وفي اللحظة التالية أتسـلل خلـف ظهرك، أغمض عينيك وأقبلك بعنف وأغرز سـكينًا ضخمًا في قلبك. عظام صدرك أسمعها، مذاق دمك أستنشقه، أريد أن أموت بين يديك بدل أن أظل أسيرة هذا الوهم الدموي التفاصيل.

لكن هـي...

كيف أعتقها من عذابها...

كيف أحررها...

كيف أكسر الطوق الحديدي الذي يحاصر عنقها؟

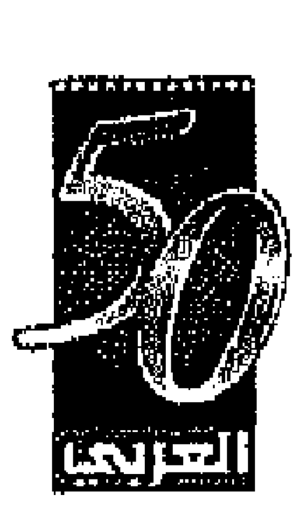
هل هناك من يحبها أيضًا أو... من... يتمنى لها الموت؟! لكن أنا.. أنا أريد لها الحياة، أريد أن أرمـي بها عبر نافـذة عريضـة إلى عالم جـديد جـميل لا تجدك فيه، «هل تسمعني، لا تجدك فيه». لا تعثر على عذابها اليومي الذي يوقظها صباحًا لينام في فراشها ليلاً، وأنت لست هنا.

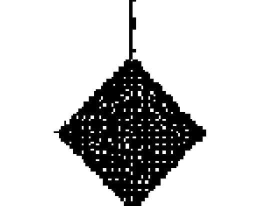
لابد أن تنتصر... وحدها تستحق ذلك.

ليس أنا ولا أنت.

وحدها يحق لها أن تنتصر.

هذا كان قراري والساعة تدق الثانية عشرة ليلة رأس السنة الجديدة.





قال الراوي *

وليد خالد المسلم

كان يا ما كان في قديم الزمان صياد تعود صيد الصبايا في الحدائق، وكان لا يخرج إلى صيده إلا في الليالي القمرية فأصبح مشهورًا باسم جار القمر.

توقف الراوي عن السرد للحظات، بدأ بداية أخرى فأخذ يكتب: وأخيرًا وصلت القافلة ومعها الكثير من التمر والتبر والنفائس.

صمت الراوي يستلهم من كتب التاريخ، يعيش أحداثًا وهمية، يتذكر علاء الدين وعلي بابا وملكة كل الأزمنة شهرزاد، يطوف أمام عينيه السندباد وحيوانات كليلة ودمنة، يستذكر المسموح والممنوع في وطنه فيقول بشكل جديد: في ركن قصي من غرفة وسعة في قصر مشيد تتكوم فاطمة مبتعدة عن كل شيء، تسيل دموعها بغزارة فتختلط بإفرازات أنفها وفمها، تنشج بقوة فتنسج حكاية تحوّلها إلى قطعة أثاث موقوفة في هذا البيت الظالم.

تسأل نفسها يائسة: من أين لها أن تأتي بكل الحب الذي ولّى!؟ وهل

---

* من مجموعة المؤلف: شهاب ثاقب

تقف وحيدة لتنتظر مصيرها؟

يلتقط الراوي أنفاسه، لقد أحس براحة لأنه استطاع أخيرًا أن يصطاد بدايته.

ينظر متمعنًا في قسـمات فاطمة، يقول: إنها ذات عيون نجلاء واسعة جميلة، يسترسـل على كتفيها شـعر كسـتنائي طويل، وقرطها الذهبي الصغير يتناغم مع أنفها الجميل.

- ماذا ألم بك يا فاطمة؟

يقولها الراوي لمخلوقته.

- القصة طويلة يا أستاذ مؤلف.

- احكها لي فكلي آذان صاغية.

من بين أنينها قالت:

- اصطادني جار القمر، في ليلة ربيع قبل سـنتين في حديقة منزلنا. وقد وعدني بالزواج والتقدم لوالدي. مرت الشهور تلو الشهور وهو يبثني لواعج حبه وهيامه.

- لحظة صمت من فضلك يا فاطمة، دعيني أكمل الرواية!

قالها ثم كتب: لقد كان جار القمر شخصًا مغامرًا ذا إرادة جبارة، محبًا للحيـاة، يتمنى أن يكون ذا شـأن عظيم في يوم ما. ولكن وصول القافلة إلـى المدينة غَيَّر الكثير من خططه، إذ إن والد فاطمة يفكر في تزويجها من أحد أصدقائه من تجار القافلة. لقد ترك جار القمر فاطمة البارحة تبكـي وتنوح وهي تُبَلِّغهِ عـزمَ والدها، وتنتظر منـه أن يتقدم لخطبتها غدًا.

فجأة يظهر أمام الراوي جار القمر يصرخ به متحديًا:

- لا أريد أن أكون ضمن شخوصك!

- كيف لا تريد؟ من أين لك بهذه الأفكار؟ هل تتحدى إرادتي؟

يقولها المؤلف مستغربًا. فيقول له جار القمر بصوت عال:

- نعم، أنا أريد أن أنهي دوري، وإن لم تقبل فسـوف أنهي العمل كله، فليس لك يا أستاذ أن تفرض عليّ إرادتك.

- ولكن ماذا تريدني أن أقول لفاطمة التي ودعتك بالأمس على أمل أن تقابل والدها هذا الصباح، ولم يبق على الشروق سوى ساعات قليلة.

- هذا شأنك!

- يا جار القمر، استهد بالله، وقم لتنام الآن لتصحو غدًا نشيطًا وتستأنف حيويتك في الفصل الثاني من الرواية.

- وهي تسمى ما تسطره على الورق رواية؟! إنه عمل أخرق!

- كيف؟ ..

قالها منزعجًا!

- أنا أخبرك: إنك لا تفعل شيئًا سوى أن تقول إن فلانًا به كذا وكذا، وفلانًا يريد أن يفعل هذا وذاك، ثم تستذكر بشكل ملول بعضًا من عبر التاريخ وجزءًا من مصائب الزمن والقوانين الجائرة، وأنا باختصار شديد لا أقبل على نفسي مؤلفًا مثلك.

- ولكنك لا تتمتع بهذا الحق!

قالها، وكأنه ينهي المقابلة.

- ومن قال لك ذلك؟ ألم تقل أنت في صدر الفصل الأول خلال توصيفك لشخصيتي: أنني أحتكم على إرادة صلبة جبارة تُهزم أمامها أشد المصاعب؟ أنا فكرت طوال الليل بهذه الإرادة فوجدت أن أكبر صعوبة أمامي ستكون الخروج من عملك المزعوم.

- لحظة يا جار القمر يا صياد العذارى، هل نستطيع أن نناقش الأمر بشكل منطقي، إن فاطمة تبكي حظها في العثور على العريس الذي تحبه ويحبها،بعد أن منعها والدها من لقائي: فلا شك أنها تنتظر الآن مبادرتك في تأجيج الفصل الثاني من خلال لقاء والدها والتصدي لخطبتها من أحد تجار القافلة.

- أيها المؤلف المأفون، أنا أرفض أساسًا أن أكون معجبًا بفتاة مثل فاطمة، فهي لا تفعل سوى البكاء لحل مشاكلها، إلى جانب انتظار قدوم صديقتها زينب لتبثها شكاواها والاستماع لرأيها. بصراحة لا متعة لي في الدور الذي رسمته لي. وأنا عندما تركت فاطمة البارحة بعد أن علمت مخطط والدها، ورأيت انهزاميتها، ذهبت لصديقتها زينب.

- هل التقيت بها من وراء ظهري؟!

- لقد التقى بها صدفة وأنا أقلب مسودات العمل، إنها فتاة ذكية شجاعة، وقد قررت أن أتقدم للزواج منها بعد أن أتحرر من موبقات

الصياد جار القمر التي حبستني فيها - فإما أن تزوجني إياها أو سوف..

وقف جار القمر يتأمل المؤلف وهو يكمل تهديده الذي حمل الكثير من المعاني.

أما المؤلف فقد بقي يحدث مذهولاً أمام التطاول الجارف الذي أبداه بطله، يسأل نفسه: «أينفذ تهديده وينسف كل العمل»؟!

سحب ورقة بيضاء، أخذ يكتب مقدمة الفصل الثاني، ألقى نظرة على مسودات الأحداث الرئيسية كما سطرها قبل يومين، ولكنه لم يستطع كتابة أي شيء.

فجأة ظهرت له فاطمة متألقة بين السطور، وقد جفت دموعها التي بللت وسادتها بالأمس، قالت:

- وأنا أيضًا لا أريد! لقد اتصل بي جار القمر قبل قليل وسألني إن كنت مقتنعة بما تكتبه عنا.

- اتصل بك؟!

صرخ بها المؤلف غير مصدق.

أجابته:

- أجل، وسوف أتبعه في الخروج من روايتك.

- وهل هذا قرار نهائي؟

- أجل يا أستاذ مؤلف. مع السلامة.

أراح الراوي رأسه بين يديه يفكر، فكيف له أن يكمل روايته بعد أن خرج منها شخصان، أخذ يبحث في إمكان المحافظة على جار القمر، وإن زوَّجه من زينب التي يريدها. ولكن كيف؟ إنه لا يعرف أين تسكن، ولا يعرف عنها سوى أنهاصديقة فاطمة.

أراد الاتصال بفاطمة لمعرفة عنوان زينب، فشل في هذا إذ لم ير سوى جملتها الأخيرة: «مع السلامة». قبل مغادرتها النهائية.

أطل عليه جار القمر مستهزئًا وقد تغيرت ملامحه.



عندما تجف الجذور*

وفاء الحمدان

ع ■ عبر الممرات الطويلة التي تفصل بين الحجرات، كان مختار يروح ويغدو بخفة لا تتناسب مع سنوات عمره، التي يمكن للمرء أن يقرأ عددها من خلال التجاعيد التي تركها الزمن على صفحة وجهه، وعندما يبتسم تطل من عينيه نظرة مرحة سرعان ما تسقط في بئر الحزن، لكنه لا يتوقف طويلاً عند شجونه، فهو يتجاهلها ليستدير ملبيًا نداء أحد الموظفين طالبًا شاي، قهوة، أو تصوير إحدى المعاملات أو إرساله إلى هنا أو هناك.

... لكنه اليوم مستبشر ويحس بسعادة غامرة أكثر من أي يوم مضى، فبالأمس شعر بضوضاء وجلبة غير معتادة في هذا الطابق الذي يغرق في الصمت طيلة الوقت، ولاحظ بعض الأثاث الجديد يتكدس أمام المكاتب المغلقة، لمحه مع باقي العاملين من قسم الصيانة، شاب من بلدته، سعى إليه مرحبًا ومستفسرًا، ما الحكاية، وعرف أن هناك مجموعة جديدة من الموظفين تم تعيينهم هذا الأسبوع، وقبل نهاية الدوام كان رئيسه يكلفه بالعمل

---

* من مجموعة المؤلفة: الريح تصفّر لحنها.

بالمكتبين ٨ و ٩ توقع منه التذمر المعتاد الذي يسـمعه من الفراشين حين يتم تكليفهم بأعباء إضافية، ولكن مختار تلقى الأمر بترحاب وربما بسعادة.

... أجـل إنه يفرح كلما رأى وجهًا جديدًا شـابًا لأنه يذكره بأولاده، العام الماضي عندما سـافر إلى بلدته فاجأه ابنه الأكبر، بدا رجلاً ناضجًا شـديد الشـبه به، لم يكن قد رآه منذ ثلاثة أعوام، كان وقتها بدأ دراسته الجامعية لأول سـنة، ولكن الآن هو يجلس مفاخرًا حـين يتحدث عنه بين أبناء البلدة مكررًا اسم ابنه الذي أوشك على إنهاء الدراسة الجامعية، أما ابنته الصغيرة، فهو يحلو له الحديث عن أحلامها، بالرغم من أنها مازالت في السنة الثانية في المدرسـة الثانوية، وماذا يعني، كلها سـنوات قليلة ستمر بسرعة وتصبح موظفة كبيرة.

***

... ينصرف كل صباح إلى عمله، ينظف المكاتب ويرتب أي فوضى متبقية من اليوم السابق، يفتح النوافذ قليلاً ليتجدد هواء الغرف، يروح ويغدو لحين وصول الموظفين لتتلاحق بعدها طلبات لاتهدأ، لكنه اليوم سـعيد أيضا أكثر من أي وقت مضى، فالمكتب رقم ٨ والذي نسـقت فيه الموظفتان الجديدتان مجموعـة مـن النباتات لمح نبتة صغيرة بورد أحمر علـى الطاولة الجانبية، أفرحـه وجودها، إنـه يحب اللون الأخضر، ويجـب أن يرى الخضرة حوله، شـاغلته الذكرى، فلطالما أحب الجلوس في الحقول ساعة الغروب يحتسي الشـاي ويتبادل الأحاديث مع الأصحاب وعيونهم تتابع الشمس وهي تختفي هنـاك وراء الحقول، وقتها كانـت هذه الحقول هي حـدود أحلامه وإطار أمنياته، كثير من المكاتب بها نباتات خضراء بعضها كبير وضخم، وبعضها له أوراق غريبة حتى ملمسـها يختلف عن الزرع الذي اعتاد عليه، أمام مدخل البناية حيث يقطن، تمتد مسـاحة كبيرة جرداء، كم تمنى لو يسمح له المالك أن يتولى زراعتها، لن يطالبه بأجر، ولكنه سـيكتفي بشعوره بالسعادة مقابلاً لذلك.

... كان كل يوم يتأمل النبتة بوردها الأحمر الصغير ويحلم بأن تنمو فتغدو كبيـرة وتزهـر وردًا أحمر جديدًا يفوح منه رائحـة عطرية نفاذة، كانت أمه - رحمها الله - لا تفتأ تسـقي أصص الورد التي زرعتها عند مدخل بيتهم، فإذا ما عاد من مدرسته مساء ألفاها جالسة تحنو على الزرع، وإذا ما غادر

صباحًا كان آخر ما تحفظه عيناه صورتها وهي تسقيه حتى ليظن مَن يراها أنهـا لا تبارح مكانها في مدخل الـدار إلا لمامًا، وفي هذه النبتة، يرى صورة أمه وصورة ابنته الطفلة التي كانت لاتزال تحبو حين رآها آخر مرة.

... عيناه كانتا تعانقانها، بينما كان ينتظر الأوراق التي سترسله بها عائشة إلى التسجيل، سألته هل تعجبك هذه النبة؟

ابتسم قائلاً في لهفة: جدًا يا آنسة عائشة... إنها جميلة.

تمنى أن يستمر الحوار لكنها تابعت، لا تنس أن تحضر نسخة الكتب يا مختار، بينما قالت زميلتها نورية: ولا تنس الأوراق التي أرسلناك بها يوم أمس، هزّ رأسه مؤكدًا أنه لا ينسى، ثم تابعت متساءلة: ماذا كنت تعمل في بلدكم يا مختار!

قال متفاخرًا، كنت مزارعًا يا سيدة نورية.

- إذن سنعتمد عليك للاهتمام بالنباتات عندما نخرج في إجازة. قال بثقة:

طبعًا اعتمدي على الله وعليّ.

تمنى لو أنه تخلص من حذره وحرجه وطلب منهما الاهتمام بهذه النبتة الصغيرة، التي لا تريد أن تنمو، فهي منذ حوالي ثلاثة أشهر لم تزهر فيها وردة جديدة، أتراها بعيدة عن الشمس.. أجل، فالزرع يحتاج إلى الشمس، ولكنهم أخبروه أن هذه النباتات لا تنمو إلا في الظل، إذن ما هو السبب؟

.. الهاتف في مكتب رقم ٩ لم يتوقف عن الرنين منذ بداية الدوام.

ولكن أحدًا منهم لم يحضر، خير، لماذا تغيب الشباب اليوم، ساءل نفسه.

في منتصف اليوم حضروا تباعًا وبدأت طلباتهم، أحدهم طلب منه كوب ماء ليأخذ قرص البندول لأنه يشكو الصداع، والثاني لا حقه ليذهب إلى التسجيل بإجازته الدورية، والثالث أرسله بأوراق للإدارة المالية ثم للشئون الإدارية، هذا غير طلبات المكاتب الأخرى، توقف في سعيه أمام مكتب ٨، كانت الفتاتان متغيبتين، عائشة ذهبت للعمرة، ونورية في إجازة لأن ابنتها مريضة، آخر اليوم، اقترب من النبتة، تأملها، إنها جافة، يبدو أن أحدًا لا يسقيها.

***

... بقعة صغيرة من الماء على الطاولة الجانبية، قالت عائشة وهي ترفع

زجاجـــة الماء بيدهـــا، يبدو أن بالزجاجة ثقبًا لأن ثمة تســـربًا على الطاولة، ولكن غريب أنا لا أفهم يا نورية، فبالأمس أيضًا كانت المشكلة نفسها، ولكني قلت لابد أن مختار قد أهمل في تنظيف الطاولة، أو أن الصينية التي أحضر بها الأكواب غير جافة، ضحكت نورية، يا عزيزتي لماذا تشغلين نفسك بذلك، نادي مختار واطلبي منه تغييرها.

انتهى الأمر ببســـاطة، ولكنه تكرر في اليـــوم التالي، والذي يليه، بدافع لا تدري ســـره رفعت عائشة النبتة بيدها لتتفاجأ أنها مملوءة بالماء، هتفت غير مصدقة، نورية، أتعتقدين أن مختار يسقى هذه النبتة.

هتفت نورية مســـتنكرة: لا ... غيـــر ممكن فهي نبتة بلاســـتيك، لابد أنه قد تســـرب ماء من الزجاجة التي قربها، يا أختـــي جففي الطاولة، ولينتهي الأمر.

***

لا .. اليـــوم كان الأمر فوق الاحتمال، فبقعة الماء كانت كبيرة، بل لقد وصل البلل حتى إلى السجادة، فقد تساقطت قطرات ماء كثيرة حول الطاولة.

.. جاء مختار نشـــطًا كعادته: سألته عائشـــة بعد تردد: مختار هل تسقى هذه النبتة؟

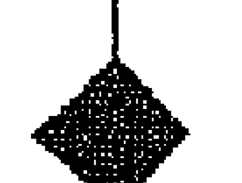
قال في حماس: طبعًا... أنا أفعل ذلك كل يوم.

كتمت نورية ضحكتها وتشـــاغلت بورقة أمامها، أما عائشة، فلقد قاومت طويـــلاً نظرة الدهشـــة، ولكنها تمالكت نفســـها من الضحـــك هي الأخرى، وقالت: ولكن هذه النبتة بلاستيك، يعني مجففة، لا تنمو.

قال مدافعًا عن رأيه: بلاســـتيك لا تنمو، وهذا الورد الأحمر! يا آنســـة... عندما كنت في إجازة هذه النبتة جفت لأن أحدًا لم يكن يسقيها.

ســـكتت على مضـــض وهي تقول، حســـنًا لابأس، مـــن الآن لا داعي لأن تســـقيها. قال في رجاء: أجل يا آنســـة ولكن احرصي أن تسقيها أنت كي لا تموت، حمل الصينية في يده وخرج، تبادلت الفتاتان نظرة ذات معنى، بينما كان مختار يسير في الممرات سعيدًا بنفسه.





للموت اشتهاءات *

ناصر الظفيري



السماء صافية.. ذلك اليوم الذي بدأ فيه الصيف بحشو ذاكرته بالقطن.. ويدخل القرية للمرة التي لا حصر لها. صيف جديد، ابتداء كل شيء، وانتهاء كل شيء.

فتح شباك الخشب وفاجأه مستطيل السماء الأزرق وغيوم ناعمة في طريقها للزوال، تأمل هذا الفراغ الأبيض المترامي الأطراف ولم يكن حتى التقاء السماء بالأرض سوى زرقة صافية وأرض صفراء.

بانت الشمس من بعيد وكأنها مسندة على أعمدة الضغط العالي التي تقف بانتباه شديد فيما ترتعد أسلاكها تحت وطأة الكهرباء التي لا تسري بالقرية.

عصافير الصيف تجتمع أسرابًا حافلة بالفوضى المنظمة وعازمة على هجرة خضراء، ومن بعيد رجل مسن يعبر الصيف بعباءة من الصوف. جلس على سريره الخشبي، لم تتغير أشياء توقعها، فها هو الشخص ذاته في المكان ذاته.. توقع ألا يكون هنا، نهض ليمسح عن البلاط مزيجًا

---

* من مجموعة المؤلف: أول الدم.

أبيض مصفرًا وجافًا، وعاد ثانية السـرير، وبدا الشـباك مستطيلاً من السماء العارية.

طرقت والدته الباب ولم يفتح.. قالت:

- ألن تخرج؟ إنه الضحى.

ثم سـمع وقع أقدامها عائدة.. تأمل سـاعته على الطاولة الخشـبية الصغيـرة بالقرب من السـرير، لم تكن تعمـل، كان يعرف ذلك، فهي لم تعمل منذ ألقاها على الطاولة بقي جالسًـا على سريره يحدق في نافذة السماء.

بدأت الظهيرة تسـير مفعمة بالغرور وتلسـع كل رأس حاسـر أو قدم حافيـة. ثم انتابت عينيه فأحـسّ بهالة من الضوء تمنع عنه الرؤية، منذ متى وهو يراقب الصيف والشـتاء وخياناتهمـا الصغيرة؟ منذ متى وهو يراقب الصحو والمطر من نافذة المساء والخشب؟

على سـريره تغتاله الأسـئلة الحمقى في أن يكون الذي يشـتهي في المكان الذي يشتهي.. لكن كل شيء سيتغير وما عليه سوى أن يبدأ ثانية، وعلى الرغم من ذلك الانتظار لم يتغير في روحه هذا الصيف الطويل.

نهض واقفًا أمام الشباك ومستندًا على حافته الخشبية.

ورآه: «يسير خلف جنازة والده، كان صيفًا - غير صيفه هذا - واجتمع الأهالي من أماكن بعيدة، والجنازة تسـير بالقرب من الدكاكين الخشبية باتجاه أعمدة الضغط العالي، وهو يسـير خلفها متهالكًا وأحدهم يضع يـده على كتفه ويكلمه.. آه.. لم يكن هو إذن الذي يتمدد في المسـتطيل الخشـبي، كان والده،علـى الرغـم من أنه - صباح ذلـك اليوم توقع أن توقظـه والدته لتقول: إنك مـت يا بني!! لكنها قالت: مـات أبوك.. ثم تكمل: لا تبك يا بني.. إن صحتك لا تحتمل البكاء.

وحين غادرت ضحك.. وخرج خلفها.. ربما كانت تلك المرة الأولى التي يخـرج فيها فـي ذلك الصيف على الرغم من أنـه غير المرض ما يمنعه من الخروج.

حـين دخل غرفة أبويـه، رأى والده ممددًا على السـرير، محدقًا في السـقف، يابسًـا كورقة خريف وباردًا كطين مبلل. وقالت والدته: اربط رأسـه،هكذا تحت الذقن، أسبل جفنيه، وادع له.. وأحضر من يساعدك

في غسله.

ركع إلى جواره وقبّله على جبهته فسرت برودة الموت في شفتيه تحركها قوافل النمل.

ترك والده ممددًا على السرير وخرج يجري في الظهيرة حافيًا.

أشعث الشعر، جاحظ العينين وعلى شفتيه برودة الموت ثم سقط فجأة وامتلأ أنفه وثقبا أذنيه بالرمال الملتهبة.

حين أفاق كان وجهه غارقًا في ماء أو عرق بارد ويسير خلف الجنازة باتجاه أعمدة الضغط العالي التي يسمع أنينها واضحًا وأحدهم يضع يده على كتفه ويكلمه.

قالت والدته: إن والدك محظوظ يا بني.. كان قويًا كالصيف وكريمًا كالمطر، لم يعذبه الله. سألني ماء وحين أحضرته كان قد مات.

وأحس أنها تقصده وأن الله يعذبه بمرضه وموت والده ولم يعذب والده بمرض أو موت ابنه».

وضع يده على خاصرته حين بدأ الوحش الهلامي ينهش جوفه وازرقت شفتاه ضاق الهواء في رئتيه وارتجفت أطرافه، وترك حافة الشباك وسال الزبد الأبيض المصفر من شدقيه واهتز واقفًا نافر الشرايين، أحسّ بدبيب آخر الحياة في شعر رأسه، حاول أن يصرخ، لم يكن هواء ويحمل صوته للخارج، وامتدت شفته السفلى حتى رأى زرقتها وشعر أنه يرى عينيه بيضاوين كنهار الصيف، هوى على الأرض وهو يرتجف ويسيل الزبد الأبيض المصفر على البلاط.

حين استكان قليلاً سمع أنين أسلاك الضغط العالي!!

طرقت والدته الباب، حاول أن يمد يده لقبضته لكنه لم يستطع، قالت:

- ألن تخرج؟ إنه عز الظهر.

ولم يسمعها أو وقع أقدامها عائدة، واستمر الطنين في أذنيه وكأن جيوشًا من الذباب استقرت في تجويفهما.

حين خرج عصرًا من البيت رأى والدته تجلس في ظل عريش الخشب وتستند إلى أحد أعمدته الخشبية المربعة، تخيط قماشًا لا شكل له.

- ما هذا؟

قال وجلس إلى جوارها.

- لا أعلم.. إنني أقتل الوقت بإبرتي.

- لن تقتلي شيئًا.. هل معك نقود؟

- كم تريد؟

- أي شيء.

وتركت العجوز قماشــها وإبرتها وبدأت تحل عقدة في مؤخرة شــالها الأســود مستعينة بأسنانها، وبانت قطع المعدن من خلف القماش الأسود الخفيف.

ناولته إحدى القطع المعدنية ثم أعادت العقدة حول الدراهم المتبقية.

دسّــها في جيبه وخرج من البيت المقعي لوحده في طرف القرية، فيما بقيت العجوز محدقة طويلاً في زرقة السماء.

ســار متجهًا نحو الدكاكين الخشــبية محاذيًا عن بعد أعمدة الضغط العالي ولكنه مازال يســمع أنين أسلاكها ونشيج الرجل المسن في قفصه الصدري الشاب.

في أحد المحلات سأله البائع بغلظة لا مبرر لها:

- ماذا تريد؟

- لبن.

وتقاطرت أحرف الكلمة من شفتيه.

- هل معك نقود؟

واهتــزت يده وهـي تمتــد نحو جيب صدره وتخــرج القطعة المعدنية، ناولها الرجل وحين ارتجفت شفتاه تغيّرت ملامح البائع الذي رفع غطاء الثلاجة الخشبية وناوله علبة لبن.

مســح عنها قطرات الماء بكمه وفتحها ســائرًا في طريقه متتبعًا ذلك الطريق الذي سارته الجنازة ذات صيف، وسمع صوت أقدامهم وصمتهم، لمح المســتطيل الخشــبي الذي يرفعونه فوق أكتافهم وأحدهم يضــع يده على كتفه ولم يتذكر كلماته.

عند باب المقبرة ألقى علبة اللبن الفارغة وانتبه أنها فرغت منذ فترة، وخيــوط بيضاء جافة على بيــاض ثيابه، تردد قليلاً عند الباب ثم دخل، رأى شواهد القبور المنتظمة فوق رءوس رجال ونساء وأطفال لا يستطيع

الآن تحديدهم من دون هذه الشواهد، ورأى شاهد قبر أبيه وقد تلته قبور كثيرة منذ ذلك الصيف الذي دفن فيه، قرأ اسم والده على شاهد قبره وجلس إلى جواره.

و...

«كان الموت يريدني.. لكنه لم يتعرف عليّ وكنت أريده.. أبي..ماذا تركت لي؟ اعذرني يا أبي.. إنني لا أحبك».

نهض إلى حجر ملقى على بعد وحمله بصعوبة، لاحظ أنه بحجم شاهد القبر إذا ما دفنه قليلاً. أوقفه ملاصقًا لشاهد قبل أبيه ودفنه حتى تطابقا معًا. واختفى اسم والده وموته.. انتبه أن الرمل يغلي.. وأن يديه يابستان كورقة خريف وجسمه بارد كطين مبلل. تناول حجرًا وكتب اسمه واسم أبيه على شاهد القبر الجديد وأحسّ بقافلة النمل تسير من شفتيه لتغطي جسده.. احتضن القبر وألقى بجسمه فوقه.

و....

«اعذرني يا أبي.. ليس لأنني أحبك ولكنني أريد أن أرتاح معك.. ولا أعذب أحدًا بعدي».

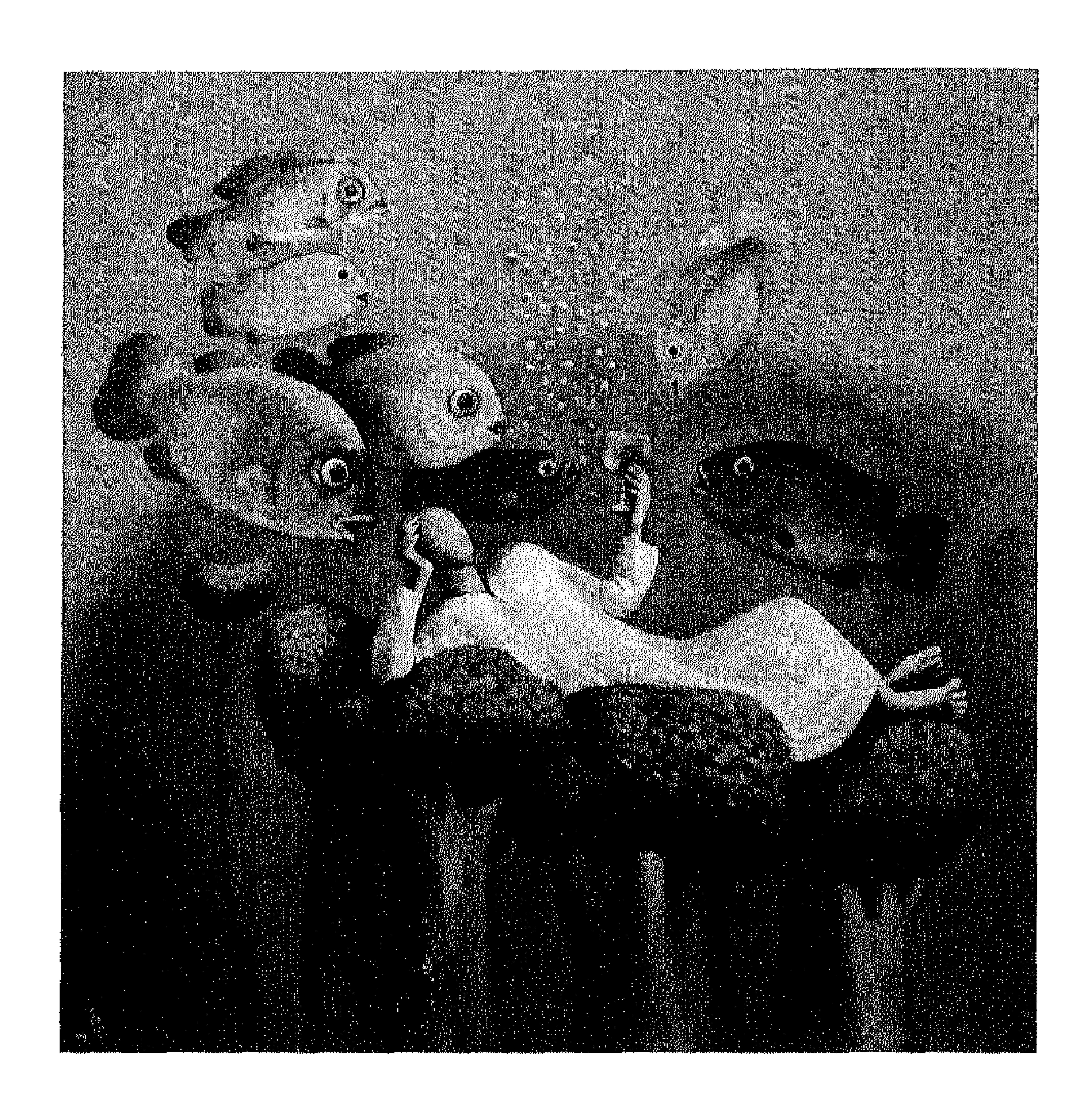
وأغمض عينيه.. ثم نهض ثانية وخلع عنه ثيابه.. نظر إلى شاهد القبرين وقرأ اسمه واسم أبيه وكأنه ليس كاتبهما، تناول ثوبه ومسح الاسمين عن شاهد القبرين الذي بدا عاريًا مثله تمامًا.

ضحك ثم استلقى

و...

هكذا أفضل يا أبي.. من سيذكرنا؟

وصمت كل شيء.. لكن أنين أسلاك الضغط العالي لم يتوقف!!

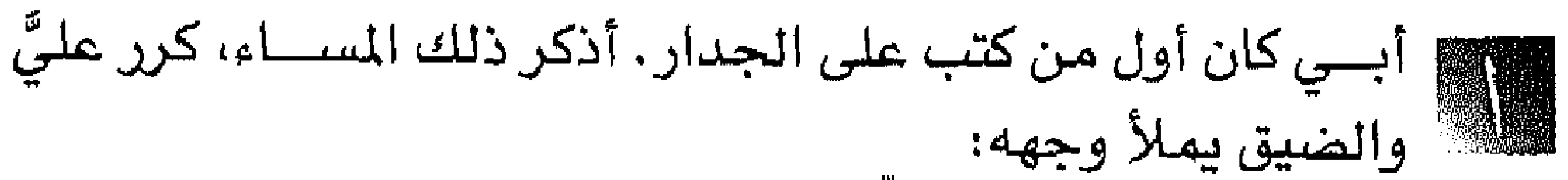






جدار قديم *

طالب الرفاعي



أبـــي كان أول من كتب على الجدار. أذكر ذلك المســـاء، كرر عليَّ والضيق يملأ وجهه:

«غير معقول يا ابني، أرجوك ركِّز معي».

كنت وحيد أبي، ما رزقه الله بأبناء غيري، وكان يعلمني جدول الضرب للرقــم ثمانية، وكنت أتعثر في حفظ الأرقام، وفجأة قال لي: «قلم كبير، أعطني قلمًا كبيرًا».

جعــل يخــط ناتج جــدول الضرب للرقــم ثمانية على الجــدار قرب رأسي.

«أنظــر، لا كتاب ولا قلــم، الأرقام كلها قرب رأســك، أرجوك احفظ الجدول».

حين خــرج أبي، جعلت أتأمل الجــدار، ولا أدري كيف حفظت جدول الضرب!

تلــك كانت الحادثة الأولى، بعدها صار أبـــي يخطّ أي معلومة يودّ لي

---

* من مجموعة المؤلف: شمس.

حفظها، وصرت لا أحفظ شيئًا إلا حين أخطه على الجدار.

سنوات كثيرة مرت، مات أبي، والحروف ظلت مكانها.

تلوّن الجدار بحوادث حياتي: زيارات أصدقائي، نتائج امتحاناتنا، مباريات الدوري، مواعيد صديقاتي، أرقام تلفوناتهن وأسمائهن المخبأة، رسومات بقلوب الحب والأسهم النازفة، أبيات شعر، أسماء الأفلام، والبطلات الجميلات، وتواريخ كثيرة، كانت وقتها هي الأهم في يومي.

اتفقت أمي مع خالي، باعت بيتنا القديم بعد وفاة والدي، ودون أن تخبرني، قالت لي:

«سننتقل لبيتنا الجديد».

ليلتها ما غمضت عيناي. كيف لي أن أترك خط أبي؟

ومواعيد صديقاتي الأولى، وبيت شعر طالما رددته، وأسماء منْ مرَّ بغرفتي، ومن لعب، ومن نام، ومنْ

«لن أغادر غرفتي».

اعترضت بوجه أمي.

«لكننا بعنا البيت».

«أنت من باع وليس أنا».

«يا ابني، يا حبيبي».

«لن أغادر بدون الجدار».

«اذا؟!».

بعد فترة، أحضر خالي مهندسًا مدنيًا متخصصًا، وجاء معه مقاول. عاينا غرفتي، دارا حولها من كل جانب:

«يمكن نقل الجدار».

قال المهندس، وأكمل:

«لن يكون سهلاً. لكن، نسند الجدار، نعلقه بحبال حديدية عن طريق الرافعة. نحفر لما تحت الأساسات، نقطع الخرسانات المتداخلة، نفصل الجدار عن باقي الجدران والسقف، نحمله بالرافعة، وننقله مع القواعد على وسادة هوائية خاصة».

واثقًا كان صوت المهندس، طلب مبلغًا عاليًا، فردّ عليه المقاول بأن المبلغ قليل. تجادلا طويلاً، أصرّ المقاول أن العملية محفوفة بالمخاطر،

وأن العمــل يحتاج لعمال مهرة، وأن الجدار قديم ويحتاج لرعاية خاصة، وأن، وأن، إلا أن المهنــدس كان طيبًـا، وقف إلى جانبي، طلب من المقاول أن يقنع بالربح القليل، وأن العمل حالة خاصة، تستحق المغامرة، والتفت يخاطب خالي:

«لا يهم أنا أدفع الفرق من جيبي، ما رأيك؟».

وافقت أنا دون تردد، قلت:

«أريد الجدار أن يقف في غرفتي الجديدة سالمًا كما هو».

«طبعًا، طبعًا».

ابتسم المهندس، وكذا شاركه المقاول، خرجا يتهامسان.

درس المهندس خرائط بيتنـا الجديد، حدد مكان الجدار في غرفتي، وبدأت عملية النقل.

أخبرت أصدقائي، بأنني لن أتخلى عن جدار غرفتي وذكرياتي، وأنني اتفقـت مع مهندس مختص لنقله، وصباح بدء العمل، جاء الجميع لرؤية نقل الجدار.

مع كل خطوة زاد إعجابي بدقة عمل المهندس، وهمة المقاول. استخدم معدات متطورة، لقص الخرسانات، وفصل السقف. جعل يبعد كل قطعة بالرافعة، دون أن تتصاعد ذرة غبار.

كنت أتابع ما يجري، والخوف يخفق بقلبي.

لفَّ المقاول الجدار بطبقة من الاسفنج السميك، وقماش أبيض ثقيل، أعاد اللف أكثر من مرة، والتفت نحوي:

«اطمئن، ستبقى كلماتك مكانها».

بعوارض خشـبية متقاطعة تمّ تحـزيم الجدار، وتعليقـه بالرافعات، وبدأت عملية الحفر تحت الأساسات.

كنت أتصبب عرقًا وأنا أسـمع صوت الحفـارات تعمل تحت الجدار، وكان الأصدقـاء يحيطون بي، يهونون الأمر عليّ، وما إن أصدر المهندس أوامره:

«خلص، انفك الجدار».

حتى قفزت من مكاني فرحًا، أصرخ:

«ها، ها».

سارت عملية نقل الجدار بأيسر مما أظن، وصل الجدار ملفوفًا بخرقته البيضاء، محمولاً على وسادته الهوائية، وبدأت عملية حفر القواعد الجديدة، وصب خرسانات التقوية، وأعمدة الإسناد.

ظل الجدار ملفوفًا بأبيضه، صامتًا قرابة الأسبوعين، بعدها تمّ إنزاله في مكانه المحدد، وكما هو ظني بالمهندس جاء كل شيء بالقياسات المضبوطة، وبعد أن أنهى صب الخرسانات المثبتة حول الجدار، قال لي:

«سيبقى جدارك ملفوفًا هكذا لحين ننتهي من جميع الأعمال، لا أريد أن يتلفه شيء».

ولم أمانع رأيه، قلت:

«كما تريد أيها المهندس العظيم».

تنفست الفرح: «ها هو جدار غرفتي القديم يأتي لبيتي الجديد، لن أتخلى عن ذكرياتي، وخط أبي، وأسماء صديقاتي».

جعلت أعد الأيام، انتظرت على الجمر لإنهاء أعمال الغرفة وما حولها.

يوم رفع الغطاء عن الجدار، رتّبت لحفل كبير، دعوت كل أصدقائي وصديقاتي، تمنيت لو كان والدي حيًا، أضاء كشاف كبير جنبات الغرفة، ولحظة بدأ المقاول رفع غطاء القماش الثقيل، خفق قلبي، ما عدت أستطيع الوقوف، فلقد انكشف الجدار، وقد انقشع صبغه القديم، ظهر وجهه الخرساني مسودًا، خاليًا إلا من بعض الحفر الشوهاء الصغيرة!



أشياء غريبة.. تحدث *

منى الشافعي

بعنفوان مرتاحة بين أشيائي الصغيرة المبعثرة في ذلك الركن المهمل من خزانتي المحشوة بقصاصات الصحف، وبطاقات الدعوات وأنواع البطاريات وأغلفة الموبايل الملونة... لقد نسيتها هنا بعد أن تعودت على هديتك الأحدث تقنية، ولكن كيف لم أتذكرها؟! بخفة قبضت عليها خشية أن تتلاشى، احتضنتها بين راحتي، ثم بحذر شديد أخرجت الفيلم الغالي، بقلب ينبض وجعًا ويد ترتعش ألمًا، وضعته باحتراس في حقيبة يدي الصغيرة، هرولت خارجة.

كنت أقود سيارتي بيد والأخرى تتحسس موضع الفيلم في حقيبتي التي تربعت بأمان في حضني.

تذكرت تلك الأمسية الرقيقة، فرطوبة البحر الخفيفة، ونسمات هواء البحر المنعشة، زادت المكان جمالاً وروعة، وقبل أن يبتلع البحر حمرة شمس ذلك النهار الرائع، طلبت منك أن تقف وظهرك للبحر وللغروب، لأصورك بكاميرتي المتواضعة، لم ترفض، ابتسمت ابتسامتك اللذيذة التي زادت

* من مجموعة المؤلفة: أشياء غريبة.. تحدث.

وجهك الملائكي وسـامة ونورًا، وأنت تستعد، وعندما بدأت بالتقاط الصورة الخامسـة، بدأت تعرف أن التصوير هوايتي المحببة، فأخذت تشجعني على ممارسـة هـذا الفن، وفي أقل من سـاعتين تعلمت منـك الكثير من فنون التصويـر... زوايا، أبعاد، ظل، نور، كانـت متعتك الوحيدة أن تعلمني فقط وتهيئنـي للنجاح،أذهلتنـي تلك التصرفـات وملأتني بأحاسـيس جديدة، أرهقتني بطموحات كبيرة، وعندما تناولنا الآيس كريم، طلبت أنا من البائع أن يلتقـط لنا بعض الصـور، أغلقت عيني وتذكرت، ملامحك الوسـيمة، حركاتك، لفتاتك، نبرات صوتك العاشـقة وأنت توجه البائع البسيط كيف يلتقـط صورة أجمل من الزاوية الصحيحة والجانب الأفضل، هذه هي حقًا تصرفات المحبين!

***

الفتاة قالت، سـاعة وأتسلم الصور، عدت إلى سـيارتي، جلست متأملة منتظرة، كانت ألف فكرة تتنافس على احتلال قناعتي.

***

عندمـا انهمـرت دموعـي ترطب خدي، كانـت يدك ممـدودة بالمنديل المعطر،قبـل أن أجفف دموعي وأحبس شـهقاتي، بادرتنـي بصوت حنون رقيق:

- ما الداعي للبكاء، إنه مجرد عطل في سيارتك؟!

رددت عليك بشيء من الخجل، وكثير من التوتر:

-... إنه في المستشـفى.. يحتاج إلى نقـل دم... فصيلته نادرة... أحاول أن أبحث عن متبرع.

ولاتزال يدك تعالج عطل سيارتي، سألتني بهدوء:

- ما فصليته، علّني أستطيع المساعدة، سيدتي؟!

بوجع أجبتك:

إنها -O!

بعجالـة، تركت ما بيدك من أدوات، أمسـكت بيدي، جذبتني برفق وأنت تردد:

- ماذا ننتظر...؟! لنذهب حالاً إلى المستشفى.. إنها فصيلتي -O!

مذهولة، لم أنبس بحرف، ونحن لانزال نهرول معًا من موقف المستشـفى

الكبير، إلى المدخل، عبر الأجنحة، إلى حيث يرقد والدي العجوز.

وأنت ترقد هادئًا، ويد الدكتور تعالج الإبرة المغروزة في وريدك بدقة، كنت أتأملك، لم أتصور أنني ألتقي رجلاً عاديًا كالبشر، كان فيك شيء خفي أجهله، أحسست أنني أعرفك من ألف عام أويزيد وليست هي فقط تلك الصدفة الغريبة التي جمعتنا في موقف المستشفى المترامي.

وأنا أقدم لك كأس العصير ممتنة شاكرة كانت نظراتي مرتبكة، كلماتي الهامسة متحشرجة، نبراتي.. كانت تصرفاتك توحي بأنني قريبة منك وأنك تعرفني منذ ألف عام أو يزيد!

أصرت نخوتك أن تبقى قريبًا حتى يفيق أبي من غفوته.. ثلاث ساعات، كنا نتحدث عن تحديات الألفية الثالثة، الوضع الاقتصادي العالمي، الاقتصاد المحلي، المشكلة الإسكانية، التركيبة السكانية، البرلمان، الأحزاب، الحقوق السياسية للمرأة، القرار السياسي لهذا الحق، مفهوم الحرية عند المرأة، حقوق الإنسان، العمالة الوافدة، التوجهات السياسية والاجتماعية، أتدري لم أسألك حتى عن اسمك، أعتقد أن تلك اللحظة كانت لحظة السحر في حياتي.

قبلته بحرارة عندما أفاق فجأة! احتضنت يده وأنا أنتفض كطائر صغير بلله المطر، إنه كل أهلي وناسي، أحسست أنني كسمكة خارج الماء من غيره، إنني وحيدته، تنقلت نظراته بيننا، يدي تضغط على يده، ويدك تضغط على مؤخرة سريره، أفلت لسانك:

- الحمدلله على سلامتك سيدي!

***

الفتاة قالت، بعد ساعة تسلمي الصور، نظرت إلى ساعتي، باق من الزمن نصف ساعة أخرى، بدأت أتململ من الجلوس داخل السيارة، التقطت حقيبة يدي، أقفلت باب السيارة، سحبت نفسًا عميقًا وأنا أتجول بين البوتيكات الصغيرة والحوانيت الجميلة، أبحث عن شيء يخفف اللوعة والألم.

فاجأتني أم شابة تصرخ في صغيرها، ثم تضربه بكفها بقسوة لم أحتملها، لم ترحمه من ضرباتها الموجعة إلا بعد أن ازدادت نظرات المارة تقززًا من هذا التصرف اللاإنساني، فجأة! تذكرتك وأنت تقلب ملفات القضايا الاجتماعية، وقضايا الأحوال الشخصية التي كنت أترافع عنها..

يومها سألتني:
- هذه قضايا صغيرة وبسيطة على فطنتك وذكائك، من المفروض محامية مثلك تكون تجاوزت هذه المرحلة.
حشوتني زهوًا وفخرًا، ابتسمت لك وأنت تضيف:
- لماذا لا تتسلمين قضايا كبيرة معقدة يكون صداها أكبر لدى الرأي العام؟!
بشيء من الخجل أجبتك:
- صاحب المكتب المحامي المشهور يقول إنني مازلت صغيرة وقليلة الخبرة على مثل هذه القضايا.
بهدوء رددت:
- لكنك أثبت جدارة ونجاحًا في كل مرافعاتك السابقة... من حقك أن تطالبيه بقضايا أكبر مادمت واثقة من قدراتك!
لن أنسى لحظتها، كيف أنك جلست معي وبكل جد واهتمام بدأت تلقنني ماذا أقول وكيف أتصرف وماذا أفعل حتى أنال ثقة رئيسي وإعجابه، وكأنني طفلة صغيرة جالسة بين يدي أستاذها الذي ملأها بالطموح بعد أن كانت فارغة، ما أروعك، وما أجمل هذه اللحظة التي لن أنساها طوال عمري، وإحساسي يقول إنك أنت أيضًا لن تنساها، فقد شعرت أن أنا وأنت هو أنا..!

***

أتدري على كثرة ترددك علينا وعلى امتداد علاقتنا، لم أعرف عنك إلا القليل.. كنت تشغلني دائمًا بأموري الخاصة وأشيائي المهمة، وما إن مرّت الشهور السبعة، وأنا مسكونة بقوة تأثيرك، حتى لمع اسمي في عالم المحاكم والقضاء، لن أنكر توجيهاتك الثرية في تلك القضية المعقدة الشائكة التي شغلت الرأي العام كما شغلتني وحيرتني، واحتلت المانشيتات العريضة في الصحف المحلية، كما احتل اسمي معها أكبر المساحات، أحسست لحظتها أنني عاجزة عن شكرك وشعرت أنني جزء منك يحتل عقلك وقلبك، روحك وجسدك، تمنيت أن تبادر بشيء ما يفرحني.. لكنك لم تفعل!
أتذكر ذلك الصباح الرائق، وأنا أفتح هديتك الغالية بمناسبة نجاحاتي المستمرة، لا أدري كيف تشجعت، فتجرأت وسألتك:

- هل تعمل في إحدى شركات البترول؟

وأنا التي إلى الآن لا أعرف غير اسمك الأول والثاني، وأنك تحمل درجة الدكتوراه في هندسة البترول.

أجبتني بشيء من التحفظ:

- لا أعمل في شركة محددة ولكنني أعمل في مشروع هندسي خاص... سأقدمه لشركة بترول قريبًا.

أنستني هديتك الرائعة، أسئلتي المشوشة عن عملك وتخصصك وشركات البترول، وهكذا أمضينا معًا ساعات طويلة وأنت تشرح لي مزايا هذه الكاميرا المتطورة، لحظتها قلت لي، بعد أن أعياك الشرح والتلقين والتمرين، وعلى وجهك تلك الابتسامة الرائقة الغريبة:

- سيدتي.. ستلتقط هذه الكاميرا أدق اللقطات وأوضحها حتى اللامرئي..!

دائما ملتصقة بك.

وجاء الغد، وبعد غد، واكتمل الأسبوع، وتوالد الشهر من رحم آخر، ولاأزال أبحث عنك، تذكرت حديثنا في إحدى جلساتنا الطويلة، الملتهبة حميمية، عندما قلت لي وعواطفك الدافئة تسبقك نحوي:

- تذكري دائمًا أن هناك أشياء غريبة.. تحدث!

وكأنك تهيئني لشيء ما.

***

بحثت عنك في شركات البترول الكثيرة المنتشرة في المنطقة، الغريب أن أحدًا لم يعرف اسمك، ولم يلتق بك أي شخص.

كنت أحفظ أرقام سيارتك المرسيدس البيضاء اللون، عندما أخبرتني صديقتي التي تعمل بإدارة المرور أن هذه الأرقام غريبة التشكيل، لا وجود لها في الدفاتر والقوائم، وأنها من ترتيب خيالي، كدت أتبعثر جسدًا وروحًا!

تذكرت أمسياتنا الجميلة التي جمعتنا فوق الرمال الرطبة، على شاطئ البحر الغارق بروعته، نتأمل الشمس تلك المعجزة الإلهية وهي تودعنا لحظة انفجار الغروب.

ملتاعة، سألت بائع الآيس كريم عنك، أتدري، ماذا أجابني؟!

قال بثقة تملأ ملامحه الشابة:

- سيدتي.. إنني لم أر أحدًا يرافقك هنا.. كنت وحدك تفترشين الرمال.. تحتضنين كاميرتك.. وتارة تصورين البحر والغروب.. وتارة تأكلين الآيس كريم من عربتي، تبتسمين لي ثم تذهبين!

أحسست بشيء من المرارة والوجع يعتصران قلبي، وأن الجميع يتآمرون علي وعليك، شركات البترول، إدارة المرور، وحتى بائع الآيس كريم.

***

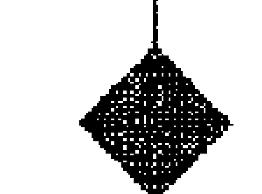
أوشكت ساعة الزمن على نهايتها، سوف أتسلم الصور، وأتباهى بوسامتك وأنا أعرضها على الشركات وعلى إدارة المرور وعلى بائع الآيس كريم، فلن يستطيع أحد بعد أن يراها إنكار وجودك! أتدري ما هي أجمل الصور؟! هل تتذكر تلك الصورة الأخيرة التي التقطها لنا بائع الآيس كريم، كان ينبهني أن ألتصق بك أكثر، أتدري كنت خجلة ولكن راغبة، كانت يدك بحنان تطوق خصري.

أشعرتني أن تلك اللحظة التي تقاسمناها معًا هي أصدق لحظات الحب الذي كان بيننا، لاحظت ذلك الإحساس في عينيك الغامضتين، كيف نظرت إليّ بشوق، وكيف لمست يدك خصري.

***

وأنا أرتجف وقلبي تزداد خفقاته، تسلمت مغلف الصور من يد الفتاة.. مذهولة، دفعت المبلغ وأسرعت إلى سيارتي، جلست خلف المقود، تمالكت نفسي قليلاً قبل أن أفتح المغلف الثمين، أخذت أقلب الصور، جميلة صورتي هذه وأنا أعبث بالرمال، استشعرت برودتها ورطوبتها، ها هي الصور الأخرى، ما أجملني وأنا أنظر بثقة إلى قرص الشمس، يا للونه الدامي، وهذه صورتي الثالثة وكأنني أحتضن البحر بكل غموضه وسحره، يا لها من لقطة فنية.

أتدري يا حبيبي سوف تعجبك هذه الصورة إنها إحدى لقطاتك الرائعة والغريبة، أما تلك الأخرى فقد كانت النسمة لئيمة وهي تداعب طرف ثوبي الحريري، حتمًا سأحمر خجلاً عندما تقلبها بين يديك، وهذه صورتي وحدي، وتلك صورة أخرى وحدي، وهذه أنا، وتلك أنا، أنا، أنا وحدي.. و... و... و... و...!



قمر عينيك *

عائشة راشد عبدالهادي

سمعت منه الكثير من عبارات الغزل، وأشواق القلب الهامسة، قال وقال وهي تسمع. وعدها بأمور كثيرة، بالشمس بالقمر بالنجوم بعقود الثريا، بالبذخ في كل شيء، ولكن كلها وعود ووعود، تقول لنفسها: لا يهم مادامت لديه آمال كبيرة له ولها.

بنت على ذلك أحلامًا كثيرة، قصورًا وملابس فاخرة وجواهر وحليًا.

عاشت بهذه الأحلام فترة من الزمن طالت لتصل إلى ثلاث سنوات.

فاجأها يومًا طالبًا منها أن يراها لأمر مهم، هكذا قال لها:

- أريد أن أراك اليوم!

قالت له: ولكني اليوم مشغولة، صديقتي منى خطوبتها اليوم، فليكن اللقاء غدًا.

رد عليها بعصبية:

- ماذا تقولين؟ وهل صديقتك أهم مني؟!

---

* من مجموعة المؤلفة: حمّالي سكة بهيّة.

- لا، لـم أقـل ذلك، ولكنك تعلـم أنها صديقتي الوحيـدة، وهذا يوم فرحتها، ويجب أن أشاركها على الأقل!

- صديقتك أولا لايهمني! إنني أنتظرك في مكاننا المعهود اليوم!

أغلق الهاتف بكل عصبية.

انتابها القلق، والحيرة هذه ليسـت عادته، لـم تتوقع منه هذه الحدة في الكلام.

تسـاءلت بينها وبين نفسـها: ماذا حدث له اليوم؟ ولمـاذا هذا التغير المفاجئ في كلامه معها؟

ظلت في هذه الحيرة طوال نهارها، لاحظت زميلاتها في العمل قلقها وشرود تفكيرها، ولاحظن اختفاء البسمة من على شفتيها.

زاد قلقها عند اقتراب الموعدين، يجب أن تضحي بأحد الموعدين!

رفعت سماعة التلفون وأدارت الرقم:

- ألو.. من، منى؟

- نعم يا نوال، مابك إن صوتك متغير، هل أنت مريضة؟

اضطـرت أن تكذب عليها وقالت: نعـم، إنني مريضة واعذريني إنني لا أستطيع أن أحضر حفل خطوبتك يا عزيزتي! فأنا لست على ما يرام اليوم.

- ولكن يا نوال، إنك تعلمين أنني سوف أحزن كثيرًا إذا لم تأتي! حاولي يا عزيزتي الحضور، أرجوك، إنني أريد أن تكوني بقربي.

- ولكن يا عزيزتي لا أستطيع ولكنني سأحاول.

قالتها وهي تعلم أنها لن تحضر، فهي بين نارين، بين صديقتها الغالية وزوج المستقبل!

أدارت التلفون مرة ثانية وطلبت صلاح.

- ألو صلاح.

- نعم.

قالت له دون مقدمات: إنني سوف أحضر حسب رغبتك!

رد بعصبيـة: حسـب رغبتـي؟ مـاذا تعنين؟ أليسـت لـك رغبة في مقابلتي؟

- لا لـم أقصـد ذلك، إنني أقصد أنني لن أذهـب إلى الحفل هذا ما

قصدته، ثم ما هذه العصبية التي تكلمني بها؟ أنا لم أقل لك شيئًا لترد هكذا، ما بك ولماذا هذه الطريقة في الحديث معي، إنك لم تكلمني بهذا الأسلوب من قبل؟!

سكت ولم يرد، كل الذي قاله:

- إذا رأيتك اليوم أخبرك بما عندي!

أغلقت التلفون وهي مقبوضة الأنفاس.

دقت الساعة الخامسة مساء، حان موعد خروجها.

خرجت وهي في كامل زينتها، ركبت سيارتها وانطلقت باتجاه البحر، وماهي إلا دقائق حتى وصلت وشاهدت صلاح وهو ينتظرها.

نزل من سيارته ونزلت هي أيضًا، جلسا عند الشاطئ.

كان البحر هادئًا والنسيم رقيقًا لا يبدل هذا السكون سوى أصوات طيور النورس، التي تتصارع على صيد الأسماك الصغيرة التي تطفو على سطح الماء، ومن بعيد أصوات الأطفال وهم يتقاذفون الماء.

جلس الاثنان متقابلين، بدأ هو الحديث وقال:

- إنني أعتذر عن الطريقة التي حدثتك بها، ولكن اعذريني، إنني متعب من التفكير في مشكلة حدثت معي هذا اليوم، وسكت، وأطال السكوت.

بادرت قائلة:

- عن أي مشكلة تتحدث؟ أخبرني بها فأنا أقرب الناس إليك! أليس كذلك؟

- أجل سوف أخبرك بها.

هل تعرفين صديقي ناصر.

- أجل إنه صديق عمرك كما كنت تقول لي، ماذا حدث له؟

- إنه متزوج كما أخبرتك، ولكنه ارتكب خطأ كبيرًا.

- وكيف ذلك وما هو الخطأ؟

- إنه تزوج على زوجته وهي لا تعلم بهذا الزواج، هذه ليست المشكلة، بل المشكلة الكبرى أنها أنجبت منه طفلا، وعمره الآن سنتان، وهي تهدده بأنها سوف تلقي عليه الطفل وتسافر إلى بلدها لأنها تحب رجلاً آخر من بلدها، تصوّري يا نوال؟ ما ذنب الطفل؟ وأنت تعلمين أن ناصر وحيد

ليس له أهل، ماذا يفعل بالطفل؟

طال حديث صلاح عن صديقه، وهي تسمع له، والدموع حبيسة في مقلتيها، أطالت النظر، وعلامات التعجب تراها تتراقص على وجه صلاح، هي فقط تراها؟

أما هو فلا حديث له سوى صديقه العزيز، ومشكلة الطفل!

- ماذاقلت يا نوال؟

لا إجابة منها، تفكير فقط.

- نوال... أجيبيني؟

أفاقت من تفكيرها، وبدأت الدموع الحبيسة في مقلتيها تتساقط.

نظر إليها صلاح قائلاً:

حبيبتي نوال، لا داعي للبكاء، أعرف كم أنت رقيقة وحسّاسة، وأنا آسف إذا أقلقتك بهذه المشكلة.

ردت هي بدورها والدموع مازالت تنهمر على وجنتيها:

- هل هذا هو السبب الذي جعلك عصبيًا طوال الأيام الماضية؟

مشكلة صديق؟ صديق فقط؟ عاملتني بقسوة، منعتني من حضور حفل أعز صديقة لي، لتحدثني عن مشكلة لا تخصك شخصيًا.

تخص صديقًا، مجرد صديق، وأنا ... أنا.. يا صلاح أين أنا في تفكيرك؟

نحن نعرف بعضنا منذ ثلاث سنوات، لم تفكر إلى هذه اللحظة أن تفتح لي موضوع زواجنا. وكلما حاولت، مجرد محاولة، تتهرب بظروف مختلفة.

كان يستمع إليها بصمت، ولم يرد.

طال سكوته، نهضت هي بعصبية، وذهبت باتجاه السيارة، ركبت وأدارت المحرك وانطلقت مسرعة.

ظل هو وحده مقابل البحر، وطيور النورس مازالت تتصارع على التقاط الأسماك الصغيرة.

أخذ يحدّث نفسه: ترى هل صدقت روايتي، أم اكتشفت كذبي؟

وصلت إلى منزلها، نزلت مسرعة لا تريد أحدًا أن يرى دموعها، وحزنها على حالها، ألقت بمفاتيح السيارة على السرير، وألقت بجسدها

عليه واستغرقت في البكاء.

ظلــت تلك الليلة تصارع أفكارها، لم يغمض لها جفن. وكيف تنام بعد هذا الإحســاس وهذا التجاهل من إنسان هو كل حياتها وكل حاضرها، واعتقــدت أنه كل مســتقبلها، يهمه بعيرها حتى لــو كان صديقه، فهي اعتقدت أنها بالنســبة إليه كل مســتقبله، عاملها بحدّة وجفاء بلا سبب واضح، هل هو صادق فيما قال، تتساءل بينها وبين نفسها.

نظرت إلى الساعة فوجدتها قد قاربت السابعة صباحًا، موعد ذهابها إلى العمل، قررت طرد الأفكار وعدم الاستسلام لها وأن تبدأ يومها.

وهاهي تجلس على مكتبها وأمامها جهاز الكمبيوتر وعلى يمينها أوراق كثيــرة لإدخالها في الجهاز، وتبدأ عملها اليومي، فهي مبرمجة كمبيوتر. تناولت الأوراق الواحدة تلو الأخرى، دخلت عليها زميلتها ســعاد وبيدها مجموعــة أخرى مــن الأوراق، لم تتذمر بل تســلمتها منها، وكأنها تقول لنفسها: لأقتل وقتي بالعمل.

انهكمت في البرمجة، جداول، أسماء، تواريخ، أرقام... إلخ.

مر على عملها ساعات وساعات، تناولت إحدى الأوراق، قرأت الاسم، كان اسمًا مألوفًا لديها والورقة تقول:

الاسم: صلاح محمد عبدالرحمن (الأب).

اسم المولود: فهد.

تاريخ الميلاد: ١٩٩٦/٦/٢٥.

اسم الأم: حنان علي.

لم تصدق مــا رأت. ظلت تحدق بالورقة وتقرؤها، مــرة ثانية وثالثة، إنه اسمه!

- متى؟ وكيف؟ وهل ما أقرأ صحيح! إن عمر الطفل الآن سنتان بعمر ابن صديقه الذي حدّثني عنه!

يــا إلهي... غير معقول إن صلاح متزوج. ولكن متى؟! إنني أعرفه منذ ثلاث سنوات!

لقد تزوج أثناء معرفتي به، ولاشك بذلك كما تقول هذه الأوراق!

ومن هي حنان؟! وما صلته بها؟ ولماذا تعرف عليّ إذن؟

لقــد كنت مخدوعة طــوال تلك الفتــرة، ماذا أفعل الآن ولمن أشــكو

تعاستي؟!

ثلاث سنوات وهو يخدعني وأنا أصدقه، يالغبائي وسذاجتي!

وبينما هي غارقة في تعاستها، رن الهاتف، رفعت السماعة وإذا صوت صلاح على الطرف الآخر.

- ألو نوال.

سكتت قليلاً واستجمعت أنفاسها وردت: نعم!

- كيف حالك؟

لم ترد على سؤاله بل بادرته بسؤال: من هي حنان؟

سكت هو بدوره، لم يتوقع أنها كشفته بهذه السرعة، ومن قال لها؟

- اسمعي نوال سوف أقول لك الحقيقة، ولكن ليس الآن، أريد أن أراك اليوم بالمكان نفسه الساعة الخامسة، وأرجو أن تحضري.

لم ترد وأغلقت التلفون، وهي تحدّث نفسها: يريد أن يكذب عليّ كذبًا آخر، ثلاث سنوات وهو يكذب.

الساعة قاربت الخامسة مساء، موعد اللقاء.

ارتدت أجمل ملابسها، وذهبت إلى غرفة والدتها التي بدورها قد ارتدت هي كذلك أجمل ما لديها.

وبادرت أمها قائلة:

- هيا يا أمي لقد تأخرنا على حفل الخطوبة، هل تريدين أن تتأخري عن حفل ابن أخيك؟

رن الهاتف....

لم يعره أي منهما أي اهتمام، أخذ يرن، ويرن دون فائدة، أغلقت نوال باب المنزل.

ركبت الاثنتان السيارة وقالت الأم:

- ليتك دائمًا هكذا نوال تلبين الحفلات بدلاً من الاعتذار الدائم.



هو والعكاز*

فاطمة يوسف العلي

لا أدري لماذا تضايقت حين امتدت يد زوجي إلى العكاز، فأمسكه، وأخذ يقلب فيه، نظرت إليه محذرة، لكن أحمد شديد المهارة في التهرب من نظراتي التحذيرية، قلت وكأني أوجه الحديث إلى أبي، وإنما قصدي قطع الطريق على المحاولة:

- لابد أنك أحضرته ليكون تذكارًاللرحلة، بكم اشتريته؟ قال أبي ببساطة: بالعملة الماليزية يساوي عشرين دينارًا، علق أحمد بسرعة: بسيطة، لكن شكله جميل، لا نجد له شبيهًا على كثرة الأنواع التي نراها في السوق المحلية. راقبت محاولة التهرب فرجعت بالكلام إلى نقطة البداية:

- تذكار جميل يا أبي، نصنع له إطارًا ونضعه في الديوانية قريبًا من مجلسك.

لايزال أحمد يقلب في العكاز وكأنه أمام تحفة نادرة، وهو بالفعل

---

* من مجموعة المؤلفة: وجهها وطن.

تحفة نادرة. عصا مخروطية من شـجر الأبنوس الأسـود الصافي، يرق سـواده حتى يبدو كالعسل، أو الياقوت، أما رأس العكاز، الجزء المعقوف، فقد كان «معجزة» فنية، إنه امتداد طبيعي للعصا، ولكن على هيئة جسد امرأة، تبدو شبه مستديرة وكأنها تؤدي رقصة طقوسية مقدسة في أحد معابد بوذا.

لايزال أحمد يقلب في العكاز، وينظر في زواياه.

قال أبي:

- يظهر إنك معجب به.

- بصراحة يا عمي... أنا لا أريد غيره.

صرخت: أحمد!!

قـال أبي: مبارك عليـك، أنا كنت أحضرت لك مسـباحًا من الزمرد الأخضر، ولك أن تختار.

قال أحمد وهو يرمقني متشفيًا:

- لا أريد إلا هذا العكاز.

ولكي يغيظني أكثر، نظر إلي ومد العكاز نحوي، وهو يقول:

فاطمـة، وحياتك لفّي هذا في صندوقـه الخاص كما كان، حتى نعود لبيتنا.

لم أملـك إلا تنفيذ طلبه على مضض، هل هذا لأنه أخذ عصاة تحفة نـادرة من أبي؟ لا أدري، الـذي أعرفه أن المرأة تعتز بانتسـابها لأبيها، ولكنها تحب أن تفتخر بزوجها، وأول فخرها أن تشعر بأن «عينه ملآنة» وأنه لا يتطلع إلى شيء من أهلها!!

أدخلت العصا في الجراب الحريري المصنّع على شـكلها، ثم استقرت مثل العروس «باربي» في مثوى من البلاسـتيك صنع على مقاسـها، ثم أدخل هذا في صندوق من الورق المقوى.

حـين ركبنا سـيارتنا عائدين، لـزم أحمد الصمت، كنـت أريد إثارته لأتخلص من شـحنة الانفعال التي تعتصر روحي، وتشعل النار في قلبي، لم يعطني الفرصة،

انفجرت:

- كان ضروريًا أن نخرج بيدنا شيء وكأننا ذهبنا لنتسوّل، وليس لنسلّم

على الوالد؟

قال بغير اكتراث: نتسوّل؟! هذا أغرب شيء، منذ متى الفتاة تتسول من أبيها، أو زوج البنت يتسول من عمه؟ عيب، عيب يا فاطمة هذا الكلام.

– وما هو عيب تأخذ من والدي هدية لم يعرضها عليك؟

– لا ما هو عيب، ولو كان والدك عندي وتطلع إلى أي شيء، وأخذه، عليه بالبركة، هذا طبيعي بين الأهل لا تكبّريها وهي صغيرة!!

كانت العصا، العكاز في صندوقها مستلقية على الكرسي الخلفي، وكان أحمد يرمقها بشغف من خلال المرآة العاكسة في سقف السيارة، ربما بدرجة أشعرتني بشيء من الغيرة.

حين وصلنا بيتنا نزل، وفتح باب السيارة الخلفي، وحمل الصندوق، وكأنه يحمل عروسًا ليلة زفافها، بريق الفرح والشغف، يتفجّر في عينيه، الحنان كله في ذراعيه وهما تحيطان بها، حتى قلت في نفسي: ماذا يظنها؟!

وهل ستظل تشغل في اهتمامه هذه المساحة الكبيرة؟!

في الداخل، بدّلت ثيابي، رششت العطر على صدري وذراعي، سبقت إلى السرير، في صمت، وكأني أريد أن أهيئ، وأن أعاقب، في لحظة واحدة، كانت المفاجأة أنه لم يلتفت لا إلى ما هيأت، ولا إلى الصمت، لقد دخل إلى الغرفة يحمل الصندوق، فتحه. أخرج من باطنه المثوى البلاستيكي، ثم سحب العصا من التجويف، فإذا هي في غلالتها الحريرية، باهرة، مضيئة كالحسناء ليلة زفافها. أخرجها من قميصها الحريري حتى استوت متجردة.

لم أملك إلا الإعجاب بها، لكني كنت مغتاظة، أبحث عن نهاية لهذا الشغف العجيب، فلا أجد.

أما أحمد، فإنه بعد التقليب، والنظر، فاجأني بأن قبلها ووضعها إلى جانبه، واستسلم للنوم!!

لا أعرف متى نمت، ولا كيف سقطت في بئر النوم، فقد كنت في حال استفزازية، لدرجة أنني فكرت في تحطيم العصا وإلقائها من النافذة، أو إشعال النار فيها، لولا ما يمكن أن يجره هذا التصرف الانفعالي

من مشاكل، حياتنا في غنى عنها، وقلت في نفسي: إنها مجرد عصا، ماذاباستطاعته أن يعمل بها؟ إنه زوجي وأنا أعرفه، مثل الطفل، يبكي حتى يحصل على اللعبة التي يريدها، ثم يكون أول من يكسرها ويلقي بها بعيدًا، لعل هذا التصوّر هو الذي هدأ من قلقي، وجعلني قادرة على الاستسلام للنوم.

في الصباح، لم أجد أحمد، لا في سريره ولا في الحديقة يسقي زهوره الأثيرة، ولا في جراج السيارة، كان قد خرج، وكانت العصا غير موجودة. لقد أخذها معه إلى العمل لم يرجع أحمد في وقته المعتاد للغداء، بعد ساعتين من موعده دخل متهلّلاً:

- أشياء كثيرة ما ندري عنها، حتى نحتاج إليها، بألم وثورة مكبوتة قلت:

- خير إن شاء الله.

- تصوّري... تصوّري يا فاطمة، هل خطر لك إن في ديرتنا هذه طبيبًا مختصًا بشئون العصي والعكاكيز؟!

قلت ساخرة:

- يا سلام؟ وما المناسبة.

- المناسبة! وهل هناك مناسبة أهم من هذه الأبنوسية الماليزية المليحة؟!

- ولحقت تبحث لها عن طبيب؟!

- طبعًا «قالها في ثقة» سندي في الحياة كيف لا أطمئن عليها؟

قلت، بغضب، وكأني أفرح، حتى لا ينفجر الموقف:

- اشبع منها.

ضحك ضحكًا هستيريًا.

قال:

- أول مرة أشوف حرمة تغار من عصا، هذه المملوحة أحد يغار منها؟!

كان يحتضنها بين يديه، العروس المعقوفة تلامس شفتيه، تستقر قاعدتها بين قدميه، ولونها العسلي ينعكس مع طبقات الضوء على دشداشته البيضاء، فيجعلها مهرجانًا من الألوان.

رمقهـــا بإعجــاب، بحزن، بخـــوف، بانبهار، ولم أعـــرف إلى أي مدى سيتطور تعلقه بالعصا.

في اليوم التالي، دخل كئيبًا، قلت في نفســـي: إذا كانت كآبته بســـبب العصا، فيا فرحة قلبي!

وفعلاً..

قال بحزن: وجدت فيها شـــرخًا!! لابد أن أحدًا في العمل حقد عليها، فضربهـــا أو جرحهـــا بيديه، أو بأي شـــيء، ما كان فيهـــا أي عيب حين أخذتها.

– قلت ساخرة: وماذا قال طبيب القلوب الجريحة؟

– أقصد طبيب العكاكيز؟

– قال: هذا جرح ســـطحي، نرجو ألا يؤدي إلى جرح آخر، وقال أيضًا شيئًا غريبًا.

لم أستطع مداراة سخريتي:

– أشوف الغرايب كثرت، هات ما عندك، يا أبو العجايب.

– تتطنزين؟!

– ليش... تشوف الوضع كوميدي.

– لأ أشوفه مأساوي.

– ضحكت لأول مرة من قلبي.

استأنف كلامه:

– الدكتور قال إن هذا النوع من الأبنوس شديد الحساسية كأنه إنسان، له شعور نفسي، ويحس بالقريبين منه.

قلت متهكّمة:

– بشـــرى خير، أشـــوف العصا أعلنت عليك العصيان المدني من أول يوم!!

ظهر الوجوم على وجهه، يبدو أن كلمتي أصابت منطقة حساســـة في مشـــاعره، لأنه في اليوم التالي اعتذر بالتليفون عن الذهاب إلى العمل، وحمـــل العصى وأخذ يـــدور بها على كل الأماكن المحتمـــل أن يجد فيها علاجًا للحال التي وجد عصاته العزيزة فيها، ذاك الطبيب الذي حدّثني عنه، إدارة الطب البيطري، إدارة الزراعة حتى العيادات النفسية.

ما وجد علاجًا ... على العكس، كانت الشروخ تتمدد، تتعدد وتحولت إلى ما يشبه بثور الجدري، تشوّهت العصا .. وذهبت ملاستها، وغاص بريقها، وغاب صفاؤها، قلت له:

- أنت ما قصرت في حقها، لكني أتذكر الآن أنك قلت إن هذا النوع من الشجر له مشاعر نفسية مثل الإنسان، أعتقد أن هذه العصا غير راضية عن الوجود في بيتنا.

قال بدهشة: وهل أنا أخطأت في حقها؟

قلت: عادة المخطئ. لا يعرف تمامًا أنه مخطئ يجوز لها وجهة نظر في شخصيتك، وربّما في شخصي أنا، حتى لا تزعل.

قال: تعتقدين هذا بحق؟

قلت: نجرّب.

- نجرّب ماذا؟

- نعيدها إلى بيت صاحبها.

قاطعني ساخرًا: هذا هدفك؟ لا...

قلت إذا صلح حالها،

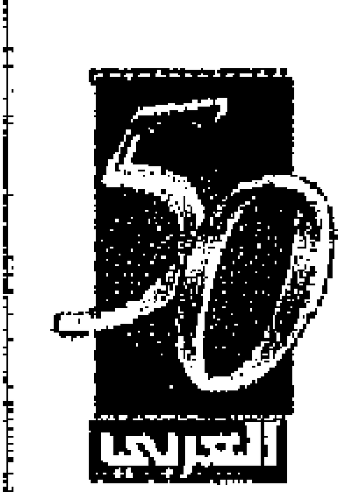
نستعيدها مرة أخرى، ونصالحها بلغة الأشجار.

ضحك، واعتبر الأمر مسليًا، ووافق على أن أحمل العصا بنفسي وأعيدها.

كنت سعيدة بعودتها إلى صاحبها الأول، اندهش أبي حين رأى الصندوق، اندهش أكثر حين رأى العصا وما لحق بها من تشويه، ظهر الحزن على وجهه، لمسها بحنان ووضعها على فخذيه وهو جالس يحتسي قهوة المساء في الديوانية.

تركها في مكانها وقام.

تذكرها في صباح اليوم التالي، حين ذهب لإحضارها وجد الصفاء القديم قد عاد إليها، وبرعمًا أخضر نبت في طرفها السفلي!!





بدويًا جاء.. بدويًا رحل *

جاسم محمد الشمري

- ١ -

للصحراء لغة لا يفهمها إلا البدوي الذي يعانق وجهه الريح والتراب وتلتف حول جبهته خيوط الشمس وسيول العرق وتلتصق بشفتيه بضع همهمات حفظها كابرا عن كابر، وهكذا كان تمامًا عندما امتطى ظهر جمله وطوّق وسطه بخنجر أرهقته ضربات الحجارة ورقاب الظباء.

- ٢ -

لكز بطن الدابة فرفعت نصفها الخلفي أولاً ثم رفعت النصف الأمامي وكان هو بينهما كارتخاءة غصن يمازحه الخريف.

- ٣ -

يفهمه الجمل وبينهما سنوات من العشق والتأمل والحياة، ولهذا أسلم الجمل وجهه للشمس التي كانت تتأهب لاستقباله وتعلو جبينها حمرة الخجل.

* من مجموعة المؤلف: بدوياً جاء .. بدوياً رحل

- ٤ -

أفاض للريح وعيه وأسـلم للأفق ناظريه وتمتمت شـفتاه ببضع دعاء قبل أن يسلمهما لانتفاضة الذاكرة واسترسال القصيد.

- ٥ -

يغوص خف الجمل في الرمل، ليحفر في قلبه ندبة من أسى.

- ٦ -

سـتكون هذه آخر رحلة له مع هذه الدابة، من يدري لعله عندما يصل إلى حيث ما وصفوا له يذبحها أو يبيعها.

- ٧ -

في أحايين كثيرة خيل إليه أن الجمل يئن لأنه يعرف مصيره.

- ٨ -

وفي تلك الأحايين الكثيرة كان يتأكد من أن نبضه هو الذي يئن.

- ٩ -

اسـترجع الكثير من الصور القديمة، وأمـه التي توفيت وهو بعيد في المراعي.

- ١٠ -

بهره ذلـك الوصف الذي كان يعود به الرجال عـن المدينة التي يتقيأ أهلها «الروبية».

- ١١ -

نظر حولـه، ولما لم يجد للأنثى رائحة في «بيت الشـعر» الذي يؤويه ووالده وأخوته تقيأ دما وقرر الرحيل.

- ١٢ -

كان قد سبقه إلى المدينة أخ أكبر وبعض أصدقاء.

- ١٣ -

عند الظهر أراد العودة ولكن الجمل أبى.

- ١٤ -

لم تستغرق الرحلة أكثر من نهار واحد.

- ١٥ -

عندما أناخ الظلام راحلته تيقن بأنه للتو بدأ السفر.

- ١٦ -

لما لم يجد ما يأكله وجمله باع الخنجر، وعندها أحس بأنه فقد تعويذة الحظ.

- ١٧ -

كان لا بد له أيضًا من بيع الجمل.

- ١٨ -

امتدت السنوات بعد ذلك وحاصرته المدينة بالشعر الأبيض.

- ١٩ -

الكثيرون ممن جاءوا بعده إلى المدينة بسنوات استقبلتهم بنفحات من عطر وقبل.

- ٢٠ -

كان بطيء الحركة على الرغم من خفة وزنه، ولهذا فاته قطار الفرص.

- ٢١ -

وضع نصب عينيه «القناعة كنز لا يفنى»، وبعد سنوات ممتدة أيضًا اكتشف أنها تعرضت لعوامل التعرية والتحريف عن أصلها «لا يغني».

- ٢٢ -

كان خدومًا، ولهذا لم يجد إلا وظيفة خادم.

- ٢٣ -

اتخذ لنفسه مسكنًا من الخشب «فتخشب» كل سنواته عند ساعة الفقر.

- ٢٤ -

لعل هذه هواجس الرحلة، انتفض آملاً أن يكون على ظهر بعيره مازال، ولكن لا مناص.

- ٢٥ -

عندما تزوج اقتنص «فرحته» من الدنيا، وزادت «فرجته» عليها.

- ٢٦ -

اقتـــرب من البحر، ابتعد عن الصحـــراء، قربت منه الصحراء، وابتعد عنه البحر.

- ٢٧ -

نهرته الطرق، لفظته العافية.

- ٢٨ -

امتصه الفقر، تشربه الألم.

- ٢٩ -

لا أدري لماذا خيل لي أني رأيته يعض على شفتيه حسرة عندما داهمه الموت، أظنه كان يتذكر خنجره والجمل.

- ٣٠ -

خلته قال: «أكلت يوم بيع الجمل «الأوضح»».

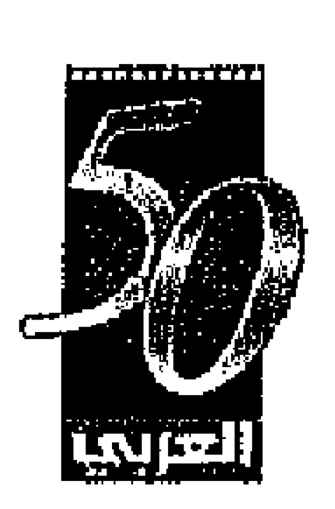
- ٣١ -

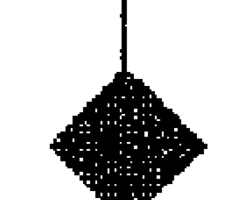
البحـــر أمامكم والصحـــراء خلفكم، وأيما اخترتم كان هناك ســـراب وخيركم من نحر نفسه لدنياه، وأفاض دماءه على أثوابها.

- ٣٢ -

بدويًا كان يقضي ســـويعاته خلف أغنامـــه، وبهره القادمون من المدينة فشد رحاله، وفي غمرة ذلك كله، نســـي أن الدنـــيا تأتي لمـــن تـــريد، ولا يذهب إليها أبدًا.

بدويًا جاء.. بدويًا رحل.





قسمة العدل *

خالد أحمد الصالح

- غبي!

شـدتني الكلمة التي أسمعها الآن من مسـافة بعيدة وعلى لسان إنسان مجهول مرّ أمامي مسرعًا بسيارته، تلك الكلمات التي انطلقت بالنبرات الصوتية نفسـها التي كان يصدرها والدي - رحمه الله - شـدتني معها إلى الغوص في أعـماق أيام قـديمة.. ربما كان معظـم أطـرافها قد انـتقلوا إلى خـالقهم مـنـذ سـنوات طويلـة.. لكنني وبكـلمـة واحدة رجعت معهم إلـى المـاضي البعيد.

- غبي!

كلمة حادة كنصل السـكين مزقـت طفولتي.. لم تكن كلمـة غريبة عليّ فقد قلتها مرارًا وسـمعتها مرارًا ولكنها أول مرة أسـمعها من أبي مثلي الأعلى الذي أحتذي به وأحبه.. تعودت منه كلمات المديح والإعجاب.. لكنني الآن أراه مختلفًا كادت دموعي تنفرط من عينيّ لكنني تماسـكت.. لم أشأ أن أكون غبيًا وضعيفًا فقد سـمعت والدي يقول: البكاء للضعفاء.. فتماسـكت.. نعـم البكاء للضعفاء

* من مجموعة المؤلف: انتحار عبدالجبار البابلي.

ووالدتي واحدة منهن.. فقبل خروجها إلى السوق رأيتها تبكي.. نعم تبكي.. والدتي الحبيبة لم أدر سر دموعها ولكني شعرت بسخونة القطرات داخل قلبي.. فاتسعت مني الحدقتان، كانت عيناي اللتان حملتا براءة الطفولة تشعر بالخطر يتهدد سيرة الأسرة الكبيرة.

كان ذلك الحدث قبل أيام قليلة من عيد الفطر حيث تنشغل الأسر في شراء الملابس للعيد القادم.. أخوتي الستة وجميعهم أكبر مني سنًا جالسون في الطابق الأرضي وقد استعدوا للخروج إلى السوق.. أصواتهم المبتهجة تصل إلى مسامعي وأنا جالس وحيدًا أمام غرفة والديّ.. وهناك سمعت الصراخ بينهما.. أصوات عالية تسجل منها أذناي ما لا أفهم شيئًا سوى رياح تعصف بأمان نفسي.

- المبلغ لا يكفي.

قالتها والدتي بصوت الرجاء.

- رد والدي بحزم:

- عليك التصرف بحدود هذه المبالغ.

- لكن العيال ستة.. ارتفع بها صوت والدتي وقبل أن تتم حديثها صاح أبي:

- لا أملك ألا تفهمين.

الصوت القوي أنهى النقاش الذي لم يكن غريبًا على أذني.

اندفع أبي خارجًا من غرفته وعلامات الغضب والحزن تعلو وجهه.. مر عليَّ مسرعًا دون أن يشعر بوجودي مخلفًا وراءه هواء ساخنًا.. تقدمت بخطوات سابحة وألقيت نظرة داخل غرفة والدتي.. رأيتها تبكي تقدمت إليها مسرعًا وألقيت بنفسي عليها وبالأمومة التي لا تعرف التوقيت استجابت والدتي.. احتضنتني ثم ابتسمت لنظراتي الحزينة.

قبلتها انطبعت فوق جبيني وهي تحاول مسح كحلتها التي سالت بخط أسود فوق خديها، بعد قليل وضعت والدتي المبلغ الذي كان بين أصابعها في الشنطة ونهضت حيث تجمع أخوتي. الجميع انطلقوا إلى السوق الكبير.

الهدوء أحاط بمنزلنا الذي كانت الأصوات لا تهدأ فيه.

كانت لحظات الفزع التي مرت بي مازالت تحرك عواطفي القلقة، ومع مرور اللحظات بدأت في التحرك البطيء لاكتشاف منزلنا الخالي الذي أراه للمرة الأولى على حاله تلك.

بعد فترة قصيرة ذكرت إن عليّ أن أراجع دروس الحساب التي انخفضت فيها

درجاتي في الشهر الماضي، اتجهت إلى الغرفة التي أحتل جزءًا فيها حيث وجدت شنطتي في مكانها المعهود، أخرجت الكتاب الذي كان سبب حرماني من الخروج مــع إخوتي، وحالما بدأت بتقليب أوراقــي وجدت والدي يقف أمامي وقد امتدت يداه للكتاب الذي بين أصابعه، وحالما رفعت رأسي صاح قائلاً:

- سعد.. سوف أقوم بإعطائك دروس الحساب. فهل أنت مستعد؟

هزات رأسي لم تعنِ سوى الاستسلام.. وبدأ الدرس الأول لي مع والدي الذي مازالت تعابير وجهه حزينة.

- سبعة زائد تسعة.. كم حاصلهما؟

- سبعة زائد تسعة!!

رددت الســؤال وأنا أنظر إلى وجه أبي بدأت ملامحه الحزينة يلمؤها التحفز لشيء ما.. صاح أبي بصوت أقوى:

- لا داعي لترديد السؤال عليك بالإجابة

سكت برهة.. وأعاد السؤال مرة أخرى:

- سبعة زائد تسعة.. كم مجموعهما؟

قالها هذه المرة بلهجة منفعلة

لم أجرؤ على إعادة الســؤال لكن صدى الأرقام كان يتردد في دماغي «ســبعة زائد تســعة»؟ أعدت النظر إلى وجه أبي الذي اتضحت عليه علامات الغضب.. لم أدر سر ذاك الغضب الشديد.. صاح والدي مرة أخرى:

- نعم لديك ســبع برتقالات وأعطيناك تسعة.. كم يكون لديك؟.. فكرت قليلاً لم أكن بعد قد أتممت ســت سنوات من عمري عندما وجدت نفسي وجهًا لوجه مع والدي في تلك الحلقة.. دماغي غدا شــعلة باهتة من الأرقام.. سبعة وتسعة يريد جمعها.. لماذا؟.. وأيهما أكبر؟.. الســبعة أم التســعة.. يبدو أن التسعة أكبر فجارتنا أم محمد لديها تسعة أولاد وصياحهم يعلو على صياحنا نحن السبعة.

وعمي الوحيد (ناصر) الذي هو أكبر من أبي لكنه لم يتزوج البخيل كما يسميه أبي دائمًا.. لديه تسع عمارات.. (أبي يشتكي الفقر وعمي لديه تسع عمارات).

مرات كثيرة سمعت ذلك القول من فم والدي.. فهو إذن رقم كبير.. فإذا وضعنا رقم سبعة بجانب رقم.. وقبل أن أكمل خلط الأرقام سمعت صياح والدي:

- يا غبي.. هذه مسألة سهلة.

مرة أخرى كلمة غبــي.. لكنها هذه المرة أطفأت مصابيح الأرقام الباهتة التي

كانـــت في دماغي فتعطلت الأنـــوار وأصبح عقلي مظلمًا خاليًا، وعدت أنظر إلى أبي بهاتين العينين اللتين تعكسان دماغًا فارغًا من كل شيء.

شعور من الحزن اندفع إلى نفسي مع خوف حذر.. شعرت أن أبي غاضب جدًا وحـــركات يديه غيرآمنة.. ندى الدموع لامس ســطح عيني اللتين تتحركان تباعًا بين الوجه الغاضب واليد التي تمسك بالقلم.

مازالــت الحيــرة تتخلل مشــاعري المختلفــة.. ومازلت لا أدري ســر غضب والدي..

ومازالت أنوار دماغي عقيما، وفجأة علا صوت الهاتف، فتوقف كل شيء حتى هزات يد والدي وحركات عينيه المرتجفة.

نهض والدي وهو مازال ينظر إليّ بغضب وصاح:

- لا تتحرك!

انكمشت في مكاني كقطة فقدت حيلة الخروج.

بينمــا مضى أبي بخطواته العملاقة الثقيلة إلى حيث الهاتف الذي مازال يعلو رنينه:

- ألو..

- نعم أنا يوسف.

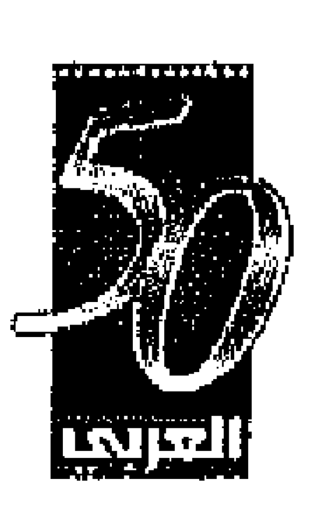
- ...

- «إنا لله وإنا إليه راجعون».

انتهت المكالمة.

كلمــات قصيرة لكنها تحمل معاني جعلتني أتمـــدد في مكاني، كان أبي مازال واقفًــا في مكانه مطرق الرأس.. جلس حيثما هو ثــم علا نحيبه، لم أصدق ما سمعت والدي هذه المرة يعلو بنحيبه، اختلطت داخل نفسي جميع مشاعر الخوف التي مازالت تتصاعد داخل نفســي فوجدتني أبكي مع بكاء والدي الذي تصلني أصواته على بعد.. لحظات مرّت قبل أن يتماسك والدي.. ثم نهض واقترب مني وهو يقاوم شبح ابتسامة:

- سعد.. لقد مات عمك... لا داعي لجمع الأرقام.. فقد جمعها الله لنا.





أريد أمًا *

سعاد الولايتي



عبث الصغير بملعقته في الطبق، تناثرت حبات المكرونة على منامته، صرخت فيه الخادمة وهي تغسل الأطباق:

- كُل دون أن تلوث ثيابك، هيا ... أسرع.

رفع الملعقة إلى فمه ببطء، لاك الطعام في فمه، وضع الملعقة من جديد في طبقه، تأملها وهي تغسل الأطباق، قال بعد تردد:

- أريد ماء.

صاحت به:

- لقد شربت منذ قليل.

ألح في طلبه:

- أنا عطشان.

- اسكت يا (...) هيا ... قم إلى فراشك.

توسل بها:

- ماري.. الله يخليك.. عطشان.

---

* من مجموعة المؤلفة: أريد أمًا.

زمجرت وهي ترفع الطبق عن المائدة:

- قلت لا.. ألا تفهم يا (...).

دفعته بيدها السمراء إلى خارج المطبخ، وقف ينتظرها قرب الباب، من داخل المطبخ صرخت به:

- اذهب إلى فراشك.

- أخاف.

- قلت اذهب.

لمح إحدى لعبه الصغيرة تحت الأريكة، انبطح على الأرض في محاولة لسحبها، إنها بعيدة عن ذراعه الصغيرة، عليه أن يحاول أكثر، ضغط ببطنه على الأرض وحشر رأسه الصغيرة بين الأريكة والسجادة الناعمة، آه... إنه يكاد يصل إليها، ليزحف أكثر.. هه.. أخيرًا أمسكها.

راح يسحبها ببطء عاد يزحف بجسده الصغير إلى الخلف، لوى رأسه للجهة الأخرى.. خرج أخيرًا.

قبض على اللعبة وراح يلهو بها، خرجت ماري من المطبخ، زمجرت حين رأته:

- ألم أقل لك اذهب لفراشك؟

سحبت اللعبة من يده، قذفتها بعيدًا، تأوه الصغير:

- دعيني ألعب بها.

جرَّته من يده دون أن تستمع لتوسلاته، أضاءت نور الغرفة، أثاث الغرفة ينم عن ذوق رفيع، السرير الأبيض يتوسط الغرفة وفي الزاوية دولاب خشبي ذو رفوف متعددة ملئت بأنواع شتى من اللعب، اقترب منها الصغير صامتًا، عادت الخادمة تصرخ:

- لا تلمس شيئًا، اصعد لفراشك.

- دعيني ألعب بها، أنت لا تدعينني ألعب بها.

- اخرس.

ضربته على قفاه فأسرع لفراشه، جلس فيه يتأمل اللعب.

- نم، ضع رأسك على الوسادة.

- لا أشعر بالنوم.

- قلت لك نم.

امتثل لأمرها، وضع رأسه الصغير على وسادته. أطفأت ماري النور. صاح منزعجًا:

- لا تطفئي النور، أخاف.

- إذا سمعت صوتك من جديد سأضربك.

خرجت من الغرفة وتركته، أغمض الصغير عينيه مرعوبًا. لن يفتح عينيه في الظلام، لا بد أن الجن الأحمر يراقبه الآن، تكور في فراشه مرعوبًا.

دخلت ماري إلى غرفة سيدتها، وفتحت الدولاب، أخرجت من الدولاب منامة حريرية، وقفت أمام المرآة ترتديها، ثم طلت وجهها ببعض المساحيق وتعطرت.

خرجت من الغرفة إلى الصالة، فتحت جهاز التلفاز، جلست قبالته على الأريكة وهي تقزقز بعض اللب، جهاز الريموت بيدها تبحث بين المحطات عن برنامج يعجبها.

سمع الصغير صوت التلفاز فقام من فراشه، فتح الباب ببطء اقترب منها وهي عنه غافلة، تأملها بعينين بريئتين خالطتهما الدهشة، أشار إلى الثياب وقال:

- هذه ثياب ماما.

انتبهت ماري لوجوده، قطبت جبينها الأسود ساخطة:

- ما الذي جاء بك؟

- هذه ثياب ماما.

- يا وقح.

هوت بكفها تصفعه على خده بقوة، بكى الصغير وأسرع إلى فراشه، شد اللحاف على جسده الصغير، وراح يمضغ أطرافه بعصبية.

أمسكت ماري بجهاز الهاتف وأدارت رقمًا ما:

- آلو... ليتا.

- .....

- كيف حالك يا ليتا؟ هل الوقت مناسب للاتصال.

سيدتك خرجت، جميل سيدتي خرجت كذلك. كلا.. الطفل عندي بالطبع، خمني ماذا أرتدي؟

- ....

- يا لخبثك.. أجل.. منامة سيدتي الحريرية، رائحة العطر قوية.. هل بإمكانك شمها.. ها ها.

استغرقت ماري في حديثها، تململ الصغير في فراشه، مازال يمضغ طرف لحافه، فجأة شعر برغبة في الذهاب للحمام، قفز من سريره وأسرع للصالة.

اقترب من ماري بوجل، شد طرف ثوبها:

- ماري.. أريد الذهاب للحمام.

دفعت ماري يده وواصلت حديثها، عاد الصغير يهزها:

- ماري.. حمام..حمام.

هذه المرة دفعته بعنف، وقف في منتصف الصالة حائرًا وهو يعبث بخصلة شعر تدلت على جبينه، ناداها خائفًا:

- ماري.

رمقته شزرًا، تململ في وقفته ثم راح يحرك ساقيه بحركة معينة. لم تستمر حركته تلك طويلاً إذ سرعان ما انساب السائل الأصفر بين فخذيه مبللا ثيابه ثم السجادة بعد ذلك، صرخت ماري هلعة:

- إيه.. ويل لك.

رطنت بكلمات سريعة في الهاتف ثم أغلقت الخط وأسرعت إليه غاضبة.

رمقها الصغير مذعورًا:

- ماري.. أنا قلت...

هوت بكفها على قفاه وجسده، راحت تضربه بعنف والصغير يصرخ متوسلاً:

- ماري.. لن أفعلها ثانية.. ما..

استمرت في ضربها، شدته من ذراعه إلى الحمام،نزعت عنه ثيابه بعنف وهي تقرصه في أنحاء متفرقة من جسده والصغير يبكي وهو يدفع يدها عنه.

- ماري... الله يخليك.

أبدلت ثيابه ثم رمته في فراشه بعنف، بكى الصغير وهو يتكور بجسده

فوق الفراش،أخذ نحيبه يخف تدريجيًا ثم نام وبقايا دمعة فوق خده.

حين عـادت الأم في الحادية عشـرة، كانت ماري في المطبخ تغسـل الأرضية، هتفت سيدتها:

- ماري ألم تنامي بعد؟

قالت لها باسمة:

- آثرت أن أنظف المطبخ.

أثنت عليها الأم:

- ما شاء الله عليك.. هشام.. هل تناول عشاءه؟

- أجل، ثم نام من فوره.

في الصباح، لاحظ الأب أن زوجته تتناول فطورها ساهمة، سألها في اهتمام:

- ما لك؟

- بلل هشام فراشه مرة أخرى، لست أدري ماذا أفعل مع هذا الولد!

سألها الأب في قلق:

- ماذا قال لك الطبيب حين أخذته إليه؟

هرشت أذنها وقالت:

- قال إن السبب نفسـي غالبًا، فكرت في حاله طويلاً ولم أجد سببًا البتة لتبوله اللاإرادي.

دخلت ماري لترفع الطعام عن المائدة، بعد خروجها قال الأب:

- ألا تعتقدين أن ماري قد تك....

قاطعته الأم:

- مـاري أحن عليه مني، حين تراني أضربه تتدخل وتسـحبه من بين يدي وتمطره بقبلاتها، لو كان هناك شيء لأخبرني.

صمت الأب برهة ثم سأل:

- هل ستخرجين هذا المساء؟

- أمي لديها ضيوف وطلبت مني أن أذهب لها.

تساءل الأب:

- وهشام؟ هل ستأخذينه معك؟

هزت رأسها نافية:

- طبعًا لا، سأتركه هنا مع ماري.
- ولم لا تأخذينه معك؟
- كيف آخذه معي؟ هذا لا يليق.
- ولم تتركينه وحده مع ماري؟
كأن الأم سئمت النقاش المعتاد:
- إنه ليس وحده، أمك هنا أيضًا.
- أمي امرأة عجوز في الطابق السفلي، لا تعلم شيئًا مما يدور في البيت، إنك تتركينه أغلب الوقت مع ماري، إنه يقضي بصحبتها وقتًا أطول مما يقضيه معك.
نفرت الأم من عبارته الأخيرة:
- كيف تقول هذا؟ إني شديدة الحرص على ابني، حريصة على رعايته والاهتمام به، غيري من الأمهات لا تدري عن أطفالها شيئًا، طفلي هو حياتي، كيف تتهمني بالإهمال؟
نهض الأب صامتًا وكأنه اعتاد ذلك المديح المزعوم.
في المساء وقفت الأم أمام المرآة تسرّح شعرها وتحاول أن تنتهي من اللمسات الأخيرة لزينتها، فتح الصغير الباب ضم ساقيها بذراعيه وقال:
- أمي.. خذيني معك.
قالت بلطف دون أن ترفع بصرها عن المرآة:
- سأغيب قليلاً، ثم أعود لك يا حبيبي.
- ستتأخرين.
- لن أتأخر.
- كل مرة تقولين هذا.
رمقته بحنان ثم ربتت على خده بلطف، حملت حقيبة يدها وتأهبت للانصراف. عاد الصغير يضمها وهو يصيح:
- أمي.
تذمرت الأم:
- أوه.. مالك الليلة يا هشام؟ سأتأخر عن موعدي.
- أمي.. أنا.. أنا.. ماري..

- ماذا؟ ما لك؟

راح يعض على شفته السفلى بعنف ثم توسل من جديد:

- خذيني معك.

- لا أستطيع.

- دعيني إذن أنام عند جدتي تحت.

نظرت إليه بدهشة:

- لماذا؟ ستنام في فراشك، ماري ستكون معك.

أمسك الصغير بكفها:

- أمي...

هم بأن يقول شيئًا ثم سكت.

سارت الأم نحو الباب، تبعها الصغير صامتًا، استدارت إليه قبل أن تخرج ومسحت على رأسه:

- اذهب للمطبخ لتتناول طعامك.

احتضنها بقوة:

- ابقي معي.

- أوه... ما هذا الدلع؟ قلت لك لن أتأخر.

توسل الصغير:

- دعيني أقبلك قبل ذهابك.

زفرت الأم بضيق، ثم أحنت رأسها إليه:

- هيا.. أسرع.. لقد تأخرت.

لف ذراعيه الصغيرتين حول عنقها، وراح يلثم خدها بقوة:

- كفى... كفى... لقد أفسدت زينتي.

استمر الصغير في تقبيلها دون أن يعبأ باحتجاجها، أبعدت ذراعيه عن رقبتها وقالت:

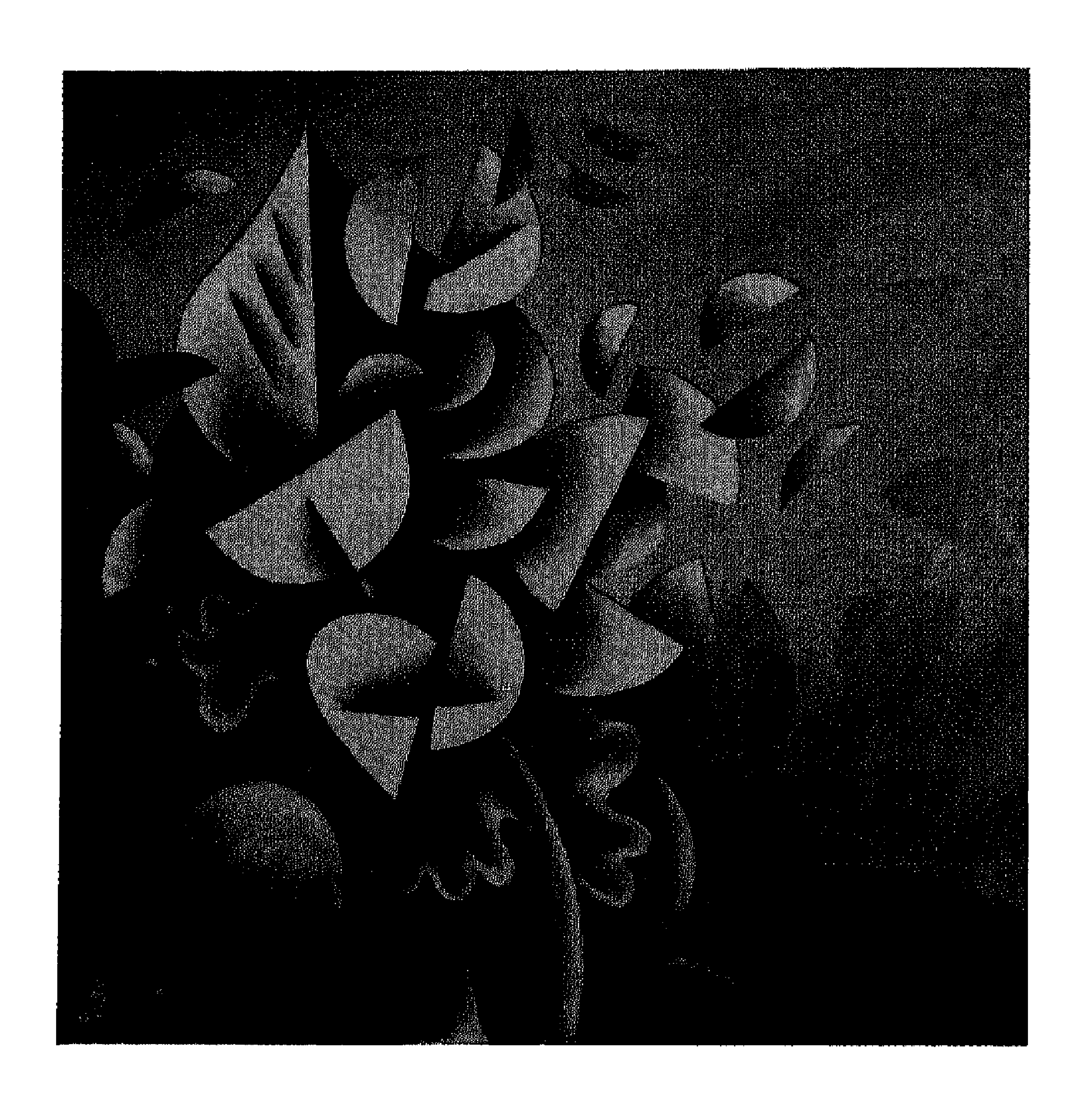
- يكفي هذا، لقد أتعبتني الليلة.. مع السلامة.

أغلقت الباب خلفها، أسرع الصغير إلى النافذة، أحنى جسده يراقبها وهي تركب سيارتها ثم تنطلق بها. شخص بصره خلفها حتى انعطفت السيارة في آخر الشارع، ظل في مكانه صامتًا يراقب الشارع الذي خلا من أمه!

دخلت ماري إلى الصالة، جرته من يده بعنف:

- هيا، تعال كل ثم نم لأرتاح منك.

في الصباح كانت ماري تغير أغطية فراش الصغير المبللة وهي تتذمر حانقة.





نبضات زوجة معذبة *

خولة القزويني

كانت تجلس أمام التلفزيون وعيناها مثبتتان على الصورة، لكن عقلها شارد تحتسي الشاي بشفتين فاترتين تجمد الإحساس فيهما، ألقت بجسمها الصغير على الكنبة، ثمة نور خافت يتراقص على صفحة خدها الأسيل، تنهدت بعمق وكأن بركانًا في صدرها يكاد ينفجر ويخترق هذا الصمت، سنوات من عمرها تنقضي وزوجها مازال تائهًا في أحلامه السراب، صفقات تجارية كثيرة، أمنيات بعيدة المنال، أشياء كثيرة غير قابلة للواقع والمنطق السليم، وخارطة الحياة تبعثرت فوق أمانيها المتعطشة، ابتلعت مرارتها، قبل دقائق معدودة حاورها وهو يتمدد فوق الكنبة وينزع من جوفه فتات أشياء قد علقت بالذاكرة، وحينما استعرت نيران غضبها فجرت قهقهات غريبة، ابتسم ابتسامته البلهاء، ثم نهض كمن ينفض عن جسده غباره المقرف، ودس جسده الضخم في الفراش، تذكرت أن طفلها غالبًا ما يصحو مفزوعًا نتيجة كوابيس غريبة تراوده أثناء نومه، قامت متعثرة

---

* من مجموعة المؤلفة: حديث الوسادة.

الخطى تجر بقدميها الصغيرتين مللها وتبرمها، وقفت أمام طفلها أحمد ذي السنوات السبع تتأمله كما لو كانت تقرأ على صفحة وجهه أحلامه البريئة، قبلته وسحبت على جسده الضئيل الغطاء، لا تدري ما تفعل، إنها تبحث عن كيانها الضائع وسط زحام مبهم تائه، سنوات طويلة وهي في انتظار أن يصحو يومًا إلى صوتها الدافئ، يستجديه أن يشعر بها، ويفهم لغة عينيها وحرمانها الطويل.

كم تتمنى لو ينتبه إلى حزنها ويمنحها حبًا ليشع ذلك النور الوسنان في جنبات قلبها الحالكة. أطفأت زر التلفاز وأقفلت راجعة إلى غرفة نومها، كان يغط في نوم عميق وشخيره يطرق مسامعها بقسوة، انتبهت إلى مجموعة القصص والروايات التي فرغت من قراءتها قلبتها كأنها تطالعها للوهلة الأولى، كلها تدور في وجدان تعصره الحيرة والضياع، اضطجعت، حاولت أن تنام لكن شرايينها مستنفرة. وأحاسيسها تائهة، بيد أن شخيره قد أقلقها، ربتت على كتفه: «صالح».

انتفض في ذعر، جفناه منتفخان قد ذبلا باسترخاء فوق عينيه.

«ها... مابكِ؟!

أرجوك كف عن الشخير، نم على جنبك الآخر.

أدار ظهره إليها مدبرًا.

هزته بعنف، انهض لتكلمني».

لم يعرها أية التفاتة.

قلبت شفتيها بامتعاض، وكان لابد أن تختار طريقًا للهروب، والنوم في جوف الليل هو خيارها الذي لا مفر منه، تمددت بعصبية أوشكت أن تصنع في مخيلتها جدارًا سميكًا يفصل هذين الجسدين، وتنافرت الوسادتان على طرفي السرير.

تدفقت حزم النور عبر نوافذ بيتها، وثمة أصداء تتناهى إلى مسامعها، الخادمة تعد الفطور، أصوات الملاعق والصحون، ماكنة العصير، همهمات أحمد يقفز كعصفور صغير في ربوع بيتها، يتهامس مع الخادمة كعادته كل صباح، شردت ببصرها عبر النافذة تتحسس بعينٍ ساهمة، أغصان الشجرة المجنونة تتراقص فوق جدار الحديقة قد تناثرت وريقاتها النديّة، فقد سقتها يد الغيب قوة غريبة تدفعها إلى ضرب الأعماق اليابسة

لامتصاص نفحات السـعادة عبر الجذور، فتراها تتحدى وتتمايل كقدود حسناوات يافعات، لاشيء يستحق الحزن، هكذا يتراءى لي كلما تطالعني هذه الشجرة الجبارة، بالرغم من مرارة الصيف وجفاف الصحراء، تضج بالفرح، ويدب فيها الحياة بملء وجدانها.

وقف صالح أمامها بقامته الفارعة قائلاً:

- هيا.. يا هدى... تعالي لنتناول الفطور!

رسـمت على شفتيها ابتسـامة باردة، لفت جسـدها بثوبها الحريري وقطعت أشـواطًا حائرة، الشـاي هذا الصباح مليء بالأمنيات الرائعة، دفعت إلى زوجها كوبه الذي اعتاد عليه قائلة:

- نحن مدعوان هذا اليوم على الغداء.

- أين؟

- في بيت عمي فقد عاد ابن عمي من فرنسا وستقيم له والدته مأدبة غداء بهذه المناسبة، فقد اتصلت بي يوم أمس وأخبرتني بذلك.

تململ في جلسته ثم قال:

- اذهبي لوحدك.

قاطعته:

وأنت؟

حاول أن يطرد شبح الإحراج.

- أنا لا أستطيع، فعندي ارتباطات كثيرة، أرجو أن تعذريني.

غاص قلبها في صدرها، وتشتت أفكارها مع نبض لوعتها.

- إنها سـاعات قليلة ثم تعود إلى شـغلك، صمت ولم يعد قادرًا على حوارها، ثم سحب كرسيّه قائلاً:

- بلغي تحياتي إلى عمك.

ارتدى أحمد بذلة المدرسة ووقف أمامها يشدها من ذراعها.

- هيا... فلنذهب إلى المدرسة.

تنهّدت، فالواقع يشـدها إلى دوامة غريبـة قد ألفتها رغمًا عنها، ولم تعد تسـتطيع الخلاص منها، وفي طريقها إلى المدرسة، تنهب المسافات نهبًا ثم يسـتدير بها الشـارع الطويل نحو منعطف هـادئ تترامى على أطرافه شجيرات باسـقة الغصون، ربما هي الحياة تأخذنا في متاهات

كثيرة وتنعطف بنا نحو مفاجآت مدهشة.

فتحت باب السيارة، قفز أحمد كقطة أليفة متجهًا نحو الباب الرئيسي للمدرسة، وقبل أن يغيب عن ناظريها أومأ إليها بذراعه الأيمن وابتسامة بريئة ترتسم على شفتيه، وبادلته الابتسام، لقد اطمأنت أن هناك شريانًا متصلاً بطفلها ينبض له وحده بصدق ذلك البرعم الصغير الذي تستمد منه روح البقاء والتفاني، لم تشأ العودة إلى البيت، ثمة قوة عارمة تدفعها إلى التجوال في هذه الشوارع لتبحث عن ضالتها المنشودة وسط هذا الزحام «فلأقتحم بقوة وأسبر أغوار المجهول، فلم أعد قادرة على احتمال هذه المطارق السخيفة التي تهوي على رأسي، قهقهت ملء شدقيها وملء إرادتها، ربما تسأم من هذه المعركة الصامتة مع نفسها وتعود إلى صوابها، فهذا جنون وحيرة ينبغي أن يكفا عن الصراخ».

إنها الآن في قمة النشوة، لا تحد رغبتها حدود، ومزاجها يثور بوجه أحاسيسها التائهة الباحثة عن مرفأ أمان تستظل عنده، لا تدري إلا أنها باتت في حضن العائلة، يلتصق طفلها بجسدها، تتفرّسها العيون، هذه «هدى»!

مازالت جميلة ورشيقة، ويأتيها صوت دافئ يقتحم مسامعها هاتفًا «لكنّ في عينيها حزن دفين»، انتهبت مشدوهة «هذا مصطفى ابن عمها»، احمرّ وجهها، تلعثمت لا تدري ما تقول، حاولت أن تبدد هذا الارتباك، ويخطو ناحيتها خطواته الجريئة، التي طالما استشعرت هيبتها فيما مضى، جلس إلى جانبها يتحدث.

– هدى أراكِ قد تغيرت كثيرًا!

تنفست الصعداء.

– كل شيء في الدنيا تغيّر يا مصطفى.

– إني أرى فيك ما لا يرون!

وتشيح وجهها عنه خشية أن يفضح سرها.

ويمضي في حديثه:

– مهما حاولت أن تخفي عن أحد.

قاطعته بتوسل ذائب:

– مصطفى أرجوك كفّ عن هذا الحديث.

ازدرد رمقه، وعيناه مازالتا تسبران صدرها في غرابة.

- إنك ما زلت تحتفظين بشيء من الود ناحيتي.

اضطربت.. كل شـــيء في جســـدها يرتعش، تود لـــو تغوص في باطن الأرض.

- مصطفى ارحمني بصمتك.

قام مشـــدوهًا، ترتبك الأســـئلة في مخيلته، هذه المرأة التي طالما كتب فيها شعرًا، وألهمته كل تلك الأحاسيس الدافئة التي ملكت عقله وقلبه.

وغاب مع ضيوفه، وهدى أصبحت حادة المزاج، تأكل بعصبية، تتحدث بانفعـــال، وولدها لصيق بها يكاد يشـــد ثوبها بعنـــف، تعنفه «ابتعد عني قليـــلاً يا أحمد، مـــا بك تضايقني»، فغر فاه مشـــدوهًا «ماما... ما بِك» تأخذ نفسًـــا عميقًا، الكون كله يضيق في صدرها، أشعر بالحر يا ولدي، اذهب والعب مـــع الأطفال، تحاورها جليســـاتها، وتجيبهن بعقلٍ غائب، وفكر مشتت.

تقول عمتها «خذي قطعة من هذه الحلوى» وبحركة آلية تجد نفســـها تلتهمها، ليس فيها حلاوة السكر، كل شيء ذاب في معنى واحد، الطعم، الإحســـاس، العقل، ذلك الرجل الذي خطف بصـــري، هناك نحو غيمة ضبابية تاهت بعيدًا عن الدنيا، امتقع لونها، تخشـــى أن يعود إليها ثانية ويفرض عليها إحساسًا تخشاه.

- أرجوك ابتعد عني!

هتفت متمنعة وعيناها تقتحمان كل شيء فيه.

يربت على ظهر ولدها أحمد.

- إنه يشبهك!

صمتت وهي مطرقة:

- هل تحبين أن أوصلك إلى البيت؟

نظرت إليه بعينين متوسلتين.

- مصطفى.. الماضي انتهى وأنا الآن سيدة متزوجة.

ولكنك بالنسبة لي هالة من نور تسطع في ظلمة حياتي، أنا لا أريد أن أجسدك كامرأة آدمية، إنهم يرونك طينًا وأنا أراك محض روح.

خرجت مفزوعة، تهـــرب من عينيه العالقتين بـــكل جوانحها، ولهاثها

يتصاعد كأن قلبها يضج في صدرها مدويًا بالخوف والرهبة.

وقادت سيارتها بسرعة جنونية، حتى اصطدمت بجسد زوجها واقفًا كالطود الشامخ يهدهد أحلامها الضبابية بسخرية.

– لقد عدت بسرعة؟

جذبت نفسًا عميقًا:

– كنتُ أفكر فيك.

أجاب مقتضبًا:

– لقد تغديت.

افتعلت ابتسامة.

– ما رأيك لو تتناول معي فنجانًا من القهوة.

– لابأس.

وجلسا على مائدة صغيرة من الخيزران وعلى غير عادته بادرها قائلاً:

– هل كانت زيارتك ممتعة؟

– بعض الشيء.

وفي دهشة يسأل:

– لماذا؟

وبلسان رطب جميل يشوبه شيء من التودد:

– لأنك لست معي، المكان الذي يجمعنا معًا هو عندي أجمل شيء.

ارتسمت علامات السرور على وجهه فاستطرد:

– أصبحت شاعرة!!

كان لابد أن تقحم نفسها في عالمه الغامض وتبدد صمته المزعج.

– لماذا لا نحب بعضنا كما كنا سابقًا؟ لماذا جفّت عواطفنا فغدت حياتنا صحراء قاحلة خالية من الرواء؟ هل تحبني يا صالح؟ هل تفهمني؟ هل تعرفني حق المعرفة؟ إنني أراك شبحًا يجول صامتًا في كل ركن من أركان هذا البيت، إن في قلبي حاجة كبيرة إلى حبك واهتمامك، وعلى لساني تتردد الكلمات حائرة، ولهى تضطرب ليس لها قرار، إنني أبحث عنك فلا أجدك!

وفي غمرة انسياب هواجسها يرن الهاتف... ينتبه، يقف من شروده

يتكلم إلى صاحبه عبدالعزيز الدلاّل، هناك لقاء ضروري، أرجو احتمالي يا عزيزتي، أنا رهن مشـاغلي الكثيرة. ويغيب عن عينيها .. لتسقط فوق قهوتها حبـات دموعها في خيبة، تحدث نفسـها بصمت «لا تقلقي» إن الزمن كفيل باحتواء جموحه، سـيأتي ذلك اليوم الذي يجالسك متبرمًا، إنه نزق الطموح، .. لكن تلك النسـمة الباردة تسـري في عروقها المتوترة فتضفي عليها شيئًا من الارتياح».

«مصطفى، مازالت كلماته تتردد في رأسها كالطيف الجميل، كان حلمًا وانقضى، لقد نشـأنا في بيت واحـد وكبرنا مع الأيام، والحب والعذاب، كان يكتب فيّ شعرًا وينشـده لي تحت هذه الشجرة الكبيرة التي حفرنا على جذعها حروف اسـمينا، كان يدافع عني حينما يضربني أحد أفراد الأسرة، يشدني من ضفيرتي الطويلة عندما أغضبه، وكلما بكيت يحمل دراهمـه التي جمعها في حصالته ويشـتري لي هديـة. وكبرت العائلة وانفصلت بيوتاتنا واحتجبـت عنه عندما كبرت، كان يفهمني ويحس بي أكثر من أي مخلوق آخر»، كانت مشـاعري ناحيته أخوية، بريئة، فرؤيته مبعث ارتياحي، فلهذا عندما سـافر إلى فرنسـا لدراسة الحقوق، خلّف في قلبي حطامًا من الآمال، وفتاتًا من الأماني المختلجة في حزن.

وبقيت بصماته تحفر في الذاكرة، لم تسـتطع السنون بالرغم من كل أحداثها أن تمحو تلك المشـاعر من الوجدان، فهي تنبض في شـراييني وتتدفق في عروقي، لا تفتر ولا يعتريها ملل.

ويعود مصطفى بعد هذه السـنين حاملاً سـوط الذكريات ليلسـعني به، وأنا في قمة الحرمان، وينشـب مخالبه الحاذقة في مساحات قلبي الفارغـة ليزرع فيها مداد شـعره من جديد، إنـه يجهل حقيقتي عندما تترسـب في أعماقي اللوعات والحسـرات يظنها كالغبـار تنفضه متى شـئت!؟ يا إلهي ما سـر تلـك الأرواح عندما تمتزج ببعضهـا وتأبى أن تنفصل، ظننت أنه قد نسـي طيف الذكريـات في غربته، وأن الذي كان أحلام مراهق سـرعان ماتتبدد بفعل البعد والنسيان، لكن الذي أراه هو أن السنين صقلت تلك الأطياف المتناثرة في لحن شجي يبعث في الروح حياة مشـرقة مليئة بالأمل، عاد ثائراً على الواقع، متمرّدًا على التقاليد، يمتطي حصانه الأبيض بشهامة، حاملاً سيفه ببسالة ليقاتلهم ويأخذني

إلى رحيق الورد، وبيادر الأحلام.
رن جرس الهاتف، انتفضت من ذلك الحلم، وكان المتحدث مصطفى:
- كيف حالك يا هدى؟
تلعثمت، صعدت ضربات قلبها إلى الحلقوم.
- بخير.
صمت كأنه يجتر الكلمات من الأعماق غصبًا.
- كنت أود أن أهديك ديوان قصائدي الذي طبعته وترجمته إلى الفرنسية.
انعقد لسانها من الدهشة.
- أبهذه السرعة؟! إنه إنجاز عظيم يا مصطفى، إنه مبعث افتخاري واعتزازي!
- كنت أريد أن أقرأ على مسامعك الإهداء.
اشتد ذعرها، إنه يقترب من تلك المساحة الفارغة.
- اقرأها فيما بعد!
- أرجوك.
استسلمت بتردد.
- تفضل.
تنهد ثم أردف قائلاً:
- إلى ملهمتي الحلم، زهرة عمري التي لن تذبل مهما فرقنا الزمن، وباعدت بيننا الأيام.
ارتعدت فرائصها، وتدفق الدم إلى شرايينها لا تدري أهي ينابيع سعادة أم لحظات خوف ساهمة تتخبط في المجهول.
تحشرجت الكلمات في لسانها وهي ترد عليه:
- كلمات رائعة وإهداء جميل.
وبدا كأنه يستزيد:
- جواب مقتضب، ليست كلمات «هدى»، التي تشحذ عزيمتي وتستفز طموحاتي، إنه انطباع سطحي لامرأة عادية.
- أرجوك يا مصطفى لا تحاصرني.
- هذا يعني أن هناك شيئًا من الضعف يدفعك إلى المقاومة.

أجابت بشيء من الغضب:

- أنا لست ضعيفة.

ويستثيرها أكثر:

- لو لم يكن في قلبك شيء من المقاومة ناحيتي لما استنفرت قواك بكل هذا العنف.

- وهل تظن من المناسب أن أبادلك الحاضر كما فعلت في الماضي؟ أنا الآن متزوجة وشرع الله بيني وبينك، والضمير يلسعني بهذه الوقفات الخاطئة.

وبثقة في نفسه يرد:

- أنا لاأريد منك شيئًا، أنت فقط مبعث ارتياحي ولا أحمل لك من جانبي أي نوايا يكتنفها الشك.

تعود تستجديه ثانية:

- أرجوك يا مصطفى لم يعد في رأسي أي حجة «مع السلامة»!

وتستغيث بزوجها، بحاضرها، بواقعها، بطفلها.

لتنقذها من لسعات النحل التي تبث العسل المسموم بوخزات من الألم، إنها تشعر بدوار في رأسها، مزيد من القهوة، «يا هايما» تأتي الخادمة بنفجان القهوة، آه لو كنت أعرف أن وراء هذه الدعوة كل تلك الحكايات لما كنت قد لبيتها.

هل هذا هو المنعطف الذي كنتُ أبحث عنه، لابد أن أفرمل كل هذا الجموح وأحسب حسابًا للغد الآتي.

***

جاء زوجها مترنحًا بنشوة النصر، فقد نجح في صفقته الأخيرة، وكل علامات الابتهاج تتراقص على شفتيه اليابستين، ارتمى بثقله فوق الكنبة، يتنهد بارتياح أشار إلى هدى:

- اجلسي إلى جانبي.

وربت على كتفها قائلاً:

- الليلة سأدعوك لتناول العشاء في أحد المطاعم الفخمة.

ازدردت ريقها وعقلها غائب، يتشتت بين الخيال والتمني، تبتسم في وهن، ومضات من الحب تتسرب في ظلمة حياتها، فتغدو ساهمة:

يعود فيربت على كتفها ثانية.

- ها... ما بك صمت؟

تنفضُ سكوتها بضحكة مفتعلة.

- أتمنى ذلك!

وفي هدأة الليل حيث السكون يخيّم على طرقات المدينة والأضواء تتراقص في فرح فوق المباني، ثمة ترنمات حزينة تختلج في صدرها، مازالت عيونه تترصدها وتبحث عنها في جوف الليل «مصطفى»، يعزف في شرايينها أنشودة هادئة تشدها إلى ذكريات النخيل، وانسياب النهر بين أصابعها لتدغدغ أحلامها البريئة.

وعلى المائدة جلسا، كل شيء يلفه الصمت، لم ينتبه صالح إلى نحولها وذبول وجهها دفع إليها صحن السلطة قائلاً:

- أنت تحبين السلطة.

شدت نفسًا عميقًا وأجابت:

- وماذا أحب أيضًا؟

اندهش... لم يفهم مقصدها.

- أراكِ تحبين الخضار والفواكه!

فجأة وجدت نفسها تنفجر.

- هل حقًا أنا أعني لكَ شيئًا؟

تذمّر، بدأت فرحته تتقلص على وجهه وينكمش في مكانه.

- لماذا تصرّين على النكد دائمًا؟

تسمّرت في مكانها، مشدوهة تأخذها الظنون والوساوس، تكبت صرخاتها.

- أنا أبحث معك مشكلة ولستُ...

قاطعها غاضبًا:

- لقد تحولت فرحتي إلى تعاسة.

أشار بعصبية إلى الصحون قائلاً:

- هيّا تناولي طعامك بسرعة لنعود إلى البيت.

شردت ببصرها بعيدًا، تتأوّه: «مصطفى» هل تسللت إلى كل ذرة في عروقي، وتسربت إلى دمي، فلم أعد قادرة على الخلاص منك.

رنّ جرس الهاتف في البيت، أجابت الخادمة «آلو... آلو...» ألقت السماعة «لا أحد يجيب».

وتكرر الأمر لمرات عدة طوال النهار، وفي إحدى المرات صودف أن ردت هدى على رنين الهاتف، صعقت، كان الطرف الآخر «مصطفى».

وبلفهة محمومة سألها:

- لمَ لا تأتين لزيارتنا، فقد مضت فترة طويلة دون أن نراكِ؟ غضبت.

- لا أظن أن هناك مناسبة تستدعي لذلك.

وفي رقة حالمة تفصح عن أشواق ذائبة قال:

- ألسنا بيت عمك، ألا نستحق منكِ الزيارة؟

تضطرب أحاسيسها بين الإقبال والإدبار، تحاول أن تصد هذا الزخم العاطفي المتدفق، دعها للظروف، مع السلامة.

استوقفها قائلاً:

- أرجوك اسمعيني، لقد كتبت قصيدة جديدة تمنيت أن أقرأها على مسامعك.

تأففت غاضبة:

- مصطفى أنت تصرّ على تعذيبي.

وبلسان رطب جميل يستميلها:

- هدى أنتِ شقيقتي المخلصة ولا أحمل لكِ إلا المشاعر النبيلة.

عنّفته صارخة:

- لكنك تحاصرني بمضايقاتك، أنا زوجة ولا يليق بي أن أشاطرك هذه الأحاسيس.

راح يستميلها بتؤدة:

- هدى... يا أغلى مخلوقة عندي في هذا الوجود.

استبدّ بها القلق وتصاعد لهاثها المحموم، صاحت غاضبة:

- مصطفى ابتعد عني أرجوك.

أقفلت السماعة وهي ترتعد، أوشكت أن تسقط على الأرض، لم تعد تستطع أن تحمل ثقلها، جسدها يرتجف، جلست على أقرب كرسي، انتبهت إليها الخادمة.

- ماذا أصابك يا سيدتي؟
بحشرجات متقطعة هتفت:
- كوب من الماء... بسرعة.
وارتشفته حتى آخر قطرة لكي تهدئ من روعها.
إنهـــا جرعات من الألم والأمل تختلط في كيانها، فتغدو ضربات قلبها مضطربة، تحاول جاهدة أن تفلت من قبضة هذا الشعور الذي يستعرض صدرها، وتدفن نفسها في جدران هذا البيت، بيد أن كل جزء في روحها ينطق ويتنهّد ويفضح خلجاتها، تتأوّه بعذاب، تلاشت الدقائق والساعات مـــن ذاكرة الزمـــن، وتاهت أفكارها في أحلام ضبابيـــة، فهي تذوب في هذا الشعور الذي أيقظ حواسها الهامدة، وتقفز على حبال وهمية حتى تصل إلى غاية مبهمة، فتجد نفســـها تضيع وتتلاشـــى بين كفين قويتين تعصرانها بقسوة، أحاسيس متناغمة تعبث بحياتها وتصرعها بعنف.
يتأملها صالح بإشفاق:
- هدى أراك متعبة يا عزيزتي، أنت بحاجة إلى قسط من الراحة.
تنفض من جبينها قطرات الندى المتناثرة في فزع.
مطرقة الواقع، توقظني من هذا الحلم.
يجلس صالح القرفصاء على فراشه وهو يقول:
- سنسافر إلى القاهرة هذا الصيف، أنتِ مرهقة على غير عادتك!
تفرّست وجهه بوجوم، إنها لا تصدق ما ترى.
- هل تحس بي يا صالح؟
اقترب منها، ليلقي بظلال حنانه فوق رأسها ويهدهد أحزانها بعاطفة جيّاشة.
- كم أتمنى أن تكوني سعيدة.
وقعت عيناها، وانطلق حزنها الدفين، يترنّم بنشيج عذب.
- لا تتركنـــي ياصالـــح، الوحدة قاتلة، قربك الدائـــم مني يحميني من نفسي، يشعرني بالأمان، أنا أحس بالبرد، كل أطرافي ترتعش، أنا أحبك بالرغم من غيابك الطويل.
كان يســـمعها وهو مطرق يتحســـس معاناتها عن قرب، ويخفت ضوء الأباجورة وتغدو أجواء الغرفة أجمل بكثير مما كانت.

هل يقول لها «أنا أحبك»؟ إنها أحرف محدودة تتساب على الألسن كلقمة تلوكها الألسن كل يوم.

استطرد بعد تفكير.

- لا ترهقي نفسك يا عزيزتي، لا أحب أن أرى عينيك باكيتين لأنهما أغلى شيء عندي.

عقدت الدهشة لسانها، باتت في حيرة من أمرها، ماذا حدث؟ إنه رجل آخر، لقد انكسر الروتين، ضاعت الكلمات على شفتيها.

- صالح ماذا حدث لك؟

انطلق لسانه كالسيل الهادر:

- لقد أحسستُ بكِ هذه الأيام أكثر من أي وقت آخر، أصبحتِ أمامي جسدًا فارغ الشعور، أبحث عنك فلا أجدكِ، كل شيء فيك غائب، بتُّ أشعر بوحدة، بضياع، لا أدري ماذا أصابكِ؟ فيما مضى كنتِ معي، حزنكِ لي، فرحكِ لي، حضوركِ لي، الآن أجدكِ تتلاشين، تشعرينني أنني انتهيت من حياتك.

غاص قلبها في صدرها، ما هذا الذي تسمعه؟ هل هو ضرب من ضروب الخيال، صالح الرجل الذي كانت تظنه كتلة متكوّمة من البلادة، يطلق الآن سهامه كالجمر في كلِ شبر من روحي، إنني لا أكاد أصدق، أهذا هو صالح؟! حدّقت به طويلاً، كأنها تتفحصه ثم تضمه في عينيها، وبعد صمت طويل قال:

- بالمناسبة اليوم اتصل عملك ودعانا على العشاء.

صرخت بعنف وهي تكاد تكمم فاه.

- أرجوك لا ...

دهش متسائلاً:

- ولماذا؟!

- لأنني أحبك وأحب أن أكون لك وحدك، لا أحب أن يشاركني أحد فيك.

انبسطت أساريره...

- وما الضير في هذه الدعوة.

- اعتذر من أجلي.

ثم أطرقت هنيهة تفكر... تختبر أعماقها في صمت «وما سرّ هروبي؟ هل أخشى مصطفى، فلأستجمع شجاعتي وأواجه الواقع بكل ثقة. إنني الآن توّاقة إلى رؤية مصطفى، فهذه اللمسة السحرية قد تسللت إلى ذلك الجسد الخامد، فأيقظت في وجدانه نورًا كان قد خفت منذ سنين طويلة، ودبّت في خلاياه الباردة ذلك الدفء الموهوم، لكن صالح يشعرني بالأمان بالرغم من بعده، هذا اللقاء القصير قد بدد وحشة الطريق وأنار جنبات روحي بضياء حبه الأصيل، الشاعر نثر فوق وريقاتي الذابلة قطرات الندى لأتنهد مع الفجر بإطلالة زاهية رائعة، لكن الزوج هو الأرض الراسخة بالعطاء المتينة حتى الأعماق تمدّ جذوري رواءً رطبًا يتسلل إلى جذوعي وأغصاني ووريقاتي، فتتجدد ابتسامتي، بالرغم من الغيوم العابرة في سماء حياتي المتقلبة. فلماذا أخشى قطرات الندى؟ إنها لمسات عابرة لا تستطيع أن تقلعني من جذوري وأرضي وأصالتي.

شدت هدى عنقها بثقة:

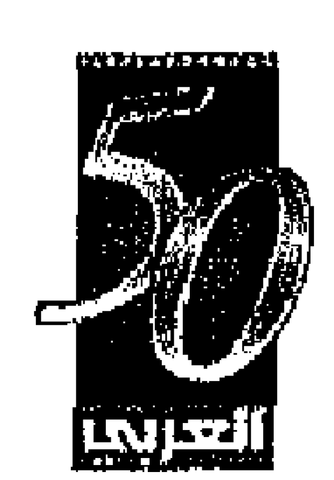
- سنلبي هذه الدعوة يا صالح.

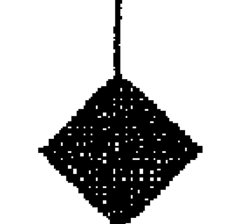
قهقه ملء قلبه:

- سبحان مغيّر الأحوال!

أطلقت تنهيدة عميقة مفعمة بالثقة.

- هذه الليلة... لن يغيب القمر!



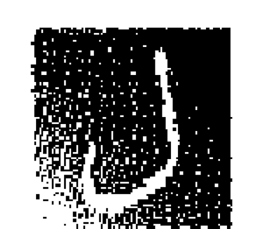


حياة صغيرة خالية من الأحداث *

باسمة العنزي

«يصعب على المرء أحيانًا
- وبالأخص:
المرء تعس الحظ صديق الخيبات أن يجد أمانيه تتحقق هكذا بمجرد التمني». **

***



لو هيئ لك أن تعيشي حياتك مرة أخرى، هل تعيشينها بالطريقة نفسها؟ سألتها العجوز بنبرة درامية.

بالتأكيد لا، سأحياها بشكل مختلف تمامًا! ردت بابتهاج وشيء من الأمل.

تصرخ العجوز بحنجرة مخيفة: ستخدعك الحياة ولن تعاشري سوى الغياب.

-١-

تستيقظ من حلمها المزعج على هاجس تأخرها عن العمل.

---

* من مجموعة المؤلفة: حياة صغيرة خالية من الأحداث.

** أسامة الدناصوري من ديوانه (عين سارحة وعين مندهشة).

ثمة امرأة ملتزمة حد الرعب تصحو معها وتغفو دون أن تتركها للحظة تمرد واحدة تطوف بها في فلك جديد.

تسترجع قائمة المهام المنوطة بها للساعات العشرين القادمة.

تلتصق بطرف سريرها متمنية أن تستبدل قناعها اليومي المستهلك بآخر جديد. ليتها تتخلص من تفاصيل يبست في العظام وتتقمص ملامح مضيئة مدحرجة رأسها الذي تختبئ فيه عشرات المسئوليات المعلبة على بلاط من الكلمات اللامعة.

لم تكره يومًا ذاتها الجميلة، لكنها سئمت والزمن يتقدم جزيرتها الصغيرة، ترغب في الإمساك بقطعة لوح قديمة تعبر بها إلى ضفة مجهولة ممطرة. ما أجمل الحياة من دون أن تستنزف طاقتنا وأوقاتنا من أجل الآخرين. يحدث أحيانًا أن يتراكم عليها غبار الروتين دون أن تملك لحظة تزيل بها ما علق على أغشية رئتيها.

تنهض من سريرها تكاد تتعثر بلعبة طفلها البلاستيكية الملقاة منذ ليلة البارحة قرب المنضدة. تتذكر أنها تعرضت كثيرًا لصدمات الوقوع ثم تعاود النهوض من جديد. تفتح الباب الموصد يتسلل الضوء تدريجيًا لتبدأ رحلة اللهاث اليومية بفتور من انطفأ فانوسه السحري وتدثر بالصمت.

-٢-

تفتح عينيها. تحدق في النسوة اللاتي يملأن غرفة المعيشة والممر القصير. وضعت نظارتها الطبية. تظاهرت بالجرأة وتقدمت وسط الغريبات، بدت ككائن غير مرئي.

تضغط الذاكرة، تبتسم بحزن لضيفات الساعة السادسة صباحًا، صوت خطوتها يرن في أذنها وهي تذرع المسافة القصيرة بحثًا عن وجه تتوسد فيه حلم التخلص من قناعها الذي سئمت.

نساء مألوفات الوجوه مختلفات التضاريس والأشكال بعباءات جديدة ودرجات متفاوتة من الأنوثة يغمرن المكان بروائح شرقية جميلة. تحدق فيهن، تشعر بالغربة وتجتاح قلبها وحشة عاصفة لصغيرها الذي بدا وجوده وهما عندما اندلقت وجوه النساء غازية مكانها ويومها.

وتبدو قافلة الغريبات المجتمعات من حولها كأنهن خرجن للتو من

سراديب المدينة السرية، وتقاطرن من شاشات السينما وردهات المجمعات التجارية الحديثة ليزاحمنها في صبيحتها الشتوية الجدباء.

الستائر مسدلة، والأبواب موصدة وهي ترصد أجسادًا ملونة، ووجوهًا بلا ندوب تتحرك في أفقها الضيق.

لسعة البرد الخفيفة تنسل من فتحة القميص إلى قلبها مباشرة، شعرت بشيء من التشويق أن تجد نفسها بعيدة عن مكانها المعتاد بالرغم من أنها داخل حجرة معيشتها.

-٣-

كحة صغيرها النائم توقظها فزعة من نومها الذي بلا أحلام ولا حنين، تصحو لتشد الغطاء الشتوي عن جسد الطفل، وتحاصر برودة الهواء في الغرفة الضيقة.

يذهلها أحيانًا كم هي محاصرة بالعزلة، بالرغم من الوجوه التي تتكاثر من حولها في زحام نهاراتها المتسارعة.

كانت لها أحلام عظيمة كبالونات ملونة منطلقة نحو نقطة مجهولة في سماء جميلة لا تعرف كيف فرغت من محتواها تدريجيًا، وتطايرت خلف الغيوم السوداء لتتساقط أمطارًا متفرقة على أرض قاحلة!

النظرة المندهشة أصبحت مستسلمة، والأشياء النابضة بالحياة أمست لا تتحرك سوى بإيقاع بطيء. وعلبة الألوان لم يبق بها سوى اللون الأسود والأبيض!

تشعر بروحها مطوقة بضجيج خارجي وملل داخلي. تدور في فلك أيامها ومهامها باستسلام مبهم. كأنها ترس صغير في مصنع عملاق لا مجال فيه للتوقف، وإلا شلّت حركة جميع الأجزاء.

لكن ثمة أخرى بداخلها تقبع في ركن قصي، لا تكف عن العويل بين حين وآخر رافضة التقوقع والانشغال بأشياء صغيرة باتت تنسج من اهتمامها بها بيت عنكبوت مثبّت على بابها.

-٤-

من بين الوجوه الغريبة التي ملأت الفراغ من حولها تطل ملامح صديقة قديمة بدت أجمل مما مضى. من النوع الذي يغذي ذاته بالسعادة دون

التوقف لتقديم أي تضحيات صغيرة للآخرين. لكن الصديقة القديمة لن تترك مكانها المهم لتبدد ساعات نهارها في زيارة امرأة تقليدية عرفتها فيما مضى ولا مصالح حالية تجمع بينهما. امرأة قرضت فئران الرتابة صرة حكاياتها!

تتبين وجه مدرسة اللغة الإنجليزية في مدرستها الثانوية. كانت تتوقع منها الكثير، وتنبأت لها بدرب بدأ الآن سرابًا. خجلت أن تقترب منها وتسرد لها باختصار واقعها الذي لا يتجاوز بضع عبارات لا تحوي أي إنجاز. عملها الذي تزاوله برتابة. ومسئولية أسرة تستهلك طاقتها وأيامها كساعة رملية، ما أن تنتهي مهمتها حتى يتم قلبها لتبدأ من جديد! لم يكن هناك تبرير مقنع وحقيقي للحياة الصغيرة الخالية من الأحداث التي تعيشها!

تسير وسط حلقة الغريبات المحكمة من حولها. يااللاختلاف!

تقرر اختيار وجه يخرجها من عزلتها وذاكرتها وجسدها. يلزمها قناع وثوب جديد لتمثيل فصل مختلف من مسرحية طويلة.

تلتفت باحثة في العيون الجامدة كلعب الأطفال عما تتمنى.

تحلق أمنية قديمة.

تحدق فيهن.................!

في رحلتها القصيرة المزيفة. يتملكها الشك، تطرق برأسها.... تحجم عن الاختيار:

أليس لكل منهن ضجرها الخاص بها يتمدد مع أيامها كخيوط مطاطية كافية لنسج حياة صغيرة خالية من الأحداث؟!!

تمتمت بذلك وهرعت للاستعداد ليوم آخر من السباحة في بحر ضحل برفقة كل ما هو اعتيادي. وبثوب بدا مليئًا بالرقع الملونة.





قرنفل *

بزة الباطني



دفعت الباب بقوة ودخلت دون استئذان، رمت مجموعة من الأوراق على مكتب المدير فسألها: ما هذا؟

قالت: إنه صاحبك.

كذلك تدعو كل زبون. قالت: صاحبك أرسل هذه الإضافات يريدها ضمن الكتاب بعد أن تمت طباعته.

قال: هل هي فصل أو باب كامل؟

قالت: لا. إضافات يريد توزيعها هنا وهناك على كل الفصول. ليرسل كتابه إلى مطبعة أخرى. لن نعيد صف وإخراج الكتاب.

سألها: هل قلت له هذا الكلام؟

قالت: بالتأكيد. نحن لا نلعب هنا.

تمتم المدير: يبدو أننا سنفعل عن قريب.

كم يتمنى أن تكون مهارتها في التعامل بمثل مهارتها في العمل.

وضع المدير رأسه بين كفيه ومسح شعره إلى الوراء بقوة. تتهد

---

* من مجموعة المؤلفة: السيدة كانت...!

بعمق وطلب منها الجلوس. قدم لها فنجان قهوته قائلاً: سـأهتم أنا بهذا الموضوع، اسمحي لي الآن أن أعرفك بالأستاذ.

الأستاذ كان ينظر إلى تلك المخلوقة منذ اندفعت إلى المكتب. كانت تغطي رأسها بقبعة صغيرة من الجينز. ما احتملت القبعة احتواء كل شعرها، فتدلت منه خصلات على جبينها وصدغها الأيسر وحول رقبتها، أما جسدها، ففقد كدّسته داخل بنطال من الجينز الأزرق بصدرية وحمالات. تحته قميص أبيض من القطن وفوقه قميص طويل من الجينز الأزرق. كانت تبدو طويلة بالرغم من حذائها المسطح من القماش الملون والمنقوش بتشكيلات غريبة من أحبار وزيوت المطبعة. كأنها صبي ميكانيكي.

حين سمعت اسمه صاحت: الفيلسوف! ثم نظرت إليه لتعرف إن كان مظهره يليق باللقب الذي أطلقته عليه، وأنها لم تتسرع. نهضت وصافحته بقوة أكّدت ظنه بأنها حقا صبي ميكانيكي.

قال المدير: الأستاذ يرغب في طباعة كتابه الجديد عندنا.

قالت وهي تبتسم: رائع!

تعجب الأستاذ كيف هدأت بسرعة وغفلت عن الموضوع الأول.

سألت: وما موضوع الكتاب؟

كان الأستاذ على وشك الإجابة حين قاطعه المدير قائلاً: لن نناقش موضوع الكتاب الآن، فهناك ما هو أهم. الأستاذ يحب أن يعرف التكلفة والمدة و....

قالت: هذه مهمتك. أين المادة؟

قال: أرسلتها للتصوير.

استأذنت ونهض الأستاذ ومعه المدير.

قالت: فرصة سعيدة. قال: سعيدة حقًا.

غادرت المكتب. استمر الأستاذ في النظر إلى الباب كأنها مازالت واقفة هناك. تمنى أن يحتويها بصره فترة أطول، فوجهها من النوع الذي كلما تكرر النظر إليه ازدادت الرغبة في تأمله دون اكتشاف مايميزه.

سارت في الممر مبتعدة عن مكتب المدير وهي تلتفت وراءها كأن

هنـــاك مَن يتبعها. ذلك الفيلســوف كان ينظر إليهــا، لكنه بدا وكأنه ينظر إلى لاشــيء. هي تفقــدت كل ملامحه، ونادرًا ما اســتوقفتها ملامح إنسان. الجاذبية المغناطيسية للمخلوقات الأخرى أقدم عندها وأقوى. ذلك هو سر ارتيادها لحدائق الحيوان وسر متعتها في النظر إلى صورها. لتكتشف شخصية إنسان، أو لتتذكره تشبهه بمخلوق ما: دب، فيــل، ثور، عنزة، ثعلب، أرنب، قطة، حــوت وباقي أنواع الطيور والأسماك والحشرات بأي منهم يذكرها ذلك الفيلسوف؟

أحبت أن تتشــغل أكثــر بتلك الفكرة، فهي مســلية جدًا، وقاطعها هديــر الآلات الدائرة. أخذت تصفر لحنًا لأغنية جديدة وهي تتجول كأنها تتنزه في بســتان. مــا عاد عمال المطبعة يســتغربون وجودها بينهم، بل كانوا يفخرون بذلك، ويســتمتعون بترديد حكاية تقول إنها كانت تشغل منصبًا كبيرًا في إحدى الوزارات، ثم تخلت عنه وفضلت أن تكون معهم.

استنشقت بعمق نسمات السرداب التي تعبق بعبير الورق والزيوت والأحبــار، وفتحت باب مكتبها. همت بالدخول ثم تراجعت. ســتزور زميلاتها في الأقســام الأخــرى. بدأت بموظفة الشــئون المالية. ما زارتهــا منذ مدة. عرضت الموظفة عليها الجلوس وراحت تعتب عليها وتعبر عن اشــتياقها لأحاديثها. ما جلست. اتجهت للنافذة وهي ترد عليها بعبارات مجاملة مقتضبة.

لذلك المكتب نافذة واســعة تطل على مواقف الســيارات، سألتها الموظفــة: تُرى مــا الذي ذكّرك بنا اليوم؟ لمحت الأســتاذ وهو يغادر. سيارته صغيرة بالنسبة لقامته.

دخل الســاعي برزمة من الأوراق، كان في طريقه إلى مكتبها، سعد لوجودهــا هناك، فقد وفرت عليه بعض العنــاء، قدم لها صورة عن كتاب الأســتاذ، خطفتها منه، اســتندت إلى زجاج النافذة، تصفحت الأوراق ثم اعتدلت وهي تتمتم: ما هذا؟ ما هذا؟

سألتها زميلتها: خير؟

التفتت إلى مواقف السيارات، وتمنت لو أنه لم يغادر، قالت للموظفة الأخرى: انظري، يبدو أنه كان يكتب أثناء نومه أو أنه يستخدم أصابع

قدميه. انفجرت زميلتها ضاحكة دون أن تعلم مَن تقصد.

اقتحمت مكتب المدير مرة ثانية. مسكين ستكون السبب الرئيسي في إصابته بسكتة قلبية. حين يثيرها أمر، لا تحتمل تأجيل مناقشته، ولا يهم متى وأين وكيف. ليخلص المدير نفسه من هذا المأزق، أعطاها رقم هاتف الأستاذ، عليها أن تسأله بنفسها عن نسخة أفضل.

عادت إلى مكتبها. حاولت قراءة الصفحات الأولى بعناية. كانت عملية شاقة، جذبت الهاتف، كانت متحمسة جدًا وهي تطلبه. أجاب الأستاذ، صمتت. حاولت أن ترد بسرعة قبل أن يضيق بتلك المكالمة المجهولة. حركت شفتيها وما أسعفتها حبالها الصوتية كأنها تقطعت تمامًا وهي صاحبة الصوت الصاخب الذي كثيرًا ما يجده الآخرون مزعجًا وخاصة حين تثور، وما أكثر ثوراتها. ظل ينادي بكل هدوء وصبر، قطعت المكالمة، ما استطاعت انتقاده بحدة كما تفعل مع الآخرين. فكرت في تأجيل محادثته، عادت إلى قراءة الكتاب، كان عليها أن تخمن وهي تحاول فك كل تلك الرموز. ما احتملت. الأمور معلقة دون حل ودون محاولة لحلها تسبب قلقًا لا حاجة له، ربما لديه نسخة أفضل.

أعادت الاتصال، أجاب بالهدوء ذاته. عرفت بنفسها ورحب بها. اعتذرت عن قطع مكالمتها الأولى وأخبرته أنها لم تحب أن تتحدث إليه وهي منفعلة، فقد فاجأها خطه ولم تتمكن من قراءة الكتاب لتحضيره للطباعة. أحب اعترافها وصراحتها. سألته عن نسخة أفضل قال: تلك هي النسخة الأفضل. واعتذر عن خطه الرديء. تلك هي مشكلته الأزلية، فالانشغال بتدوين الفكرة يصرفه دائمًا عن الاهتمام بالخط واستخدام الآلة الكاتبة يفرض عليه وضعًا معينًا في الجلوس وراء المكتب، وذلك يتعبه ويزعجه، فهو يحب أن يكتب أينما تفاجئه الفكرة والرغبة في الكتابة، ولا يملك بعد الشجاعة والوقت للاستعانة بالتكنولوجيا وتعلم استخدام الكمبيوتر.

قالت: مصيبة.

ضحك. أعجبته عفويتها.

قال: هي مصيبة فعلًا! ثم اقترح أن يقرأ معها الكتاب سطرًا،

ســطرًا في أي وقت تشاء، فحددت له ساعتين من كل يوم من الثانية عشرة حتى الثانية بعد الظهر.

في الثانية عشــرة تمامًا كان عند باب مكتبها وفي يده نســخة من أصول الكتاب. كانت ترتدي زي الأمس. القميص الأبيض فقط تغير وحل محله قميــص بمربعات ملونة. توقف لحظــات قبل أن يتقدم. مكتبها يعج بالأشياء.

كان أقــرب إلى غابة منه إلى مكتب. مــكان يصلح لتصوير برامج الأطفــال. نباتــات وحيوانات من الفراء مختلفة الأنــواع، وكلها ذات ألوان وأحجام ونظرات طبيعية وحيوية جدًا. ظن أنها حقيقية.

لفت انتباهه حمار. حمار بالحجم واللون الطبيعيين يقف في جانب من المكتب. أسعدها انبهاره، لا يزورها أغراب في مكتبها، والموظفون اعتــادوا على حيواناتها. اتجه نحــو الحمار، دار حوله وهو يتفحصه بدهشة مَن يرى حمارًا لأول مرة.

قالت: إنه المفضل عندي ولا أعرف كيف أجده أجمل المخلوقات.

قال: هو كذلك فعلا!

أخبرته أنها عثرت عليه في إحدى رحلاتها إلى الخارج منذ أعوام، وكانــت قيمته أضعاف، أضعاف قيمة الحمار الحقيقي، لكنها تعلقت به وأحبته.

سأل وهو مازال يتأمله ويداعبه: هل له اسم؟

فرحت لسؤاله قالت: أسميته قرنفل، وهو الوحيد الذي له اسم من بين كل هذه المجموعة.

كان الأستاذ مأخوذًا ومستغرقًا في تأمل الحمار وترديد اسمه حين نبهته قائلة: هل نبدأ؟

أزاحت مجموعــة من الحيوانــات الصغيرة المتناثــرة على المقعد الوثير وأفســحت له مكانًا. على ظهر المقعد تمتد قطعة من الشامواه الفاخر. وعلى الأرض جلود غزلان وقطع من صوف الخراف وشــعر الماعــز وفراء دببة رتبت وصفت بعناية تامة لتكون بســاطًا لم يعرف أغرب منه. وجد صعوبة في التكيّف مع المكان. أحسّ بغربة شــديدة، لم تســتهوِه أبدًا الدمى ولا الحيوانات حتى في طفولته. لكن أعجبه

قرنفل. كيف عبرت فكرة إنتاجه في بال الصانع؟

وكيف تمكن من صنعه بتلك الروعة والدقة؟

قدمت له الشاي في قدح كبير حوله رسوم لحيوانات صغيرة ثم جلست على الأرض وأسندت ظهرها إلى مجسم من الفراء لأسد رابض. لاحظ لأول مرة منذ دخوله أنها دون حذاء. نظر إلى قدميه. هل كان عليه أن يخلع الحذاء؟ جواربها عليها رسوم أيضًا. رسوم لحيوانات. هل كبح أحد نموها فظلت حبيسة مرحلة الطفولة أم كانت مرحلة ممتعة جدًا في حياتها فسعت لامتدادها؟

تمنى لو أنه التقى بها قبل أن ينهي كتابه. ستكون نموذجًا طيبًا لموضوع دراسته. منذ سنوات وهو يبحث عن نماذج محلية متميزة تعينه على التوصل إلى كنه العلاقة بين الشخصية والبيئة، وأيهما أقوى تأثيرًا وتأثرًا بالأخرى.

زار كثيرًا من البيوت ليعرف. ووجد أن محتوياتها تدل أكثر على المستوى المالي للساكن، ولا تكاد في نوعها أو حجمها أو شكلها أو موقعها تدل على أي جانب من جوانب الشخصية. كلها كانت دون خصوصية وكلها متشابهة دون تميز. قطع نقلت من المعارض إلى البيوت دون أن تتحول إلى شيء ذي قيمة أو معنى أو فائدة من الناحية النفسية أو الفكرية. ما كانت هناك أي صلة أو علاقةروحية بينها وبين المقتني الذي عادة ما يكون قد اقتناها للتباهي أو لتقليد مقتن آخر من الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء. ذلك ينطبق أيضًا على أماكن العمل والترفيه وهو سر التشابه الكبير بين أفراد المجتمع حتى يكاد كل فرد أن يكون نسخة مصوّرة عن الآخر. ذلك المكان مختلف.

أخذ الأستاذ رشفة من الشاي، ثم بدأ بالقراءة وهي تخط في نسختها في هدوء تام، بعد صفحات عدة، توقف وقال: «قرنفل!».

ظلت تنظر إلى الصفحة تبحث عن الكلمة، التي نطق بها واحتاجت لبضع لحظات لتستوعب، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه باستغراب.

اعتذر لتلك المقاطعة وقال: عبر اسم الحمار في ذهني أثناء القراءة. اعتذر.

علامة استفهام كبيرة ظلت مرسومة على وجهها، وبدت منزعجة للمقاطعة التي لم تفهم أسبابها. تذكر ثورتها حين قالت للمدير: «نحن لا نلعب هنا»، وتذكر مقاعد الدراسة وحصص القراءة وكثرة شروده. توقع حسب الانطباع الأول عن شخصيتها أن تطلب منه طباعة كتابه في مطبعة أخرى. سألها بسرعة: لم أعطيته اسمًا دون الآخرين؟

لم تكن متهيئة للإجابة. مرت لحظات صمت عانى فيها كثيرًا، ثم نظرت إلى قرنفل وقالت: لأنني أحبه أكثر. كما أن الناس أساءوا استخدام اسمه. وأيضًا لأنه يمكنني اشتقاق أسماء تدليل للحيوانات الأخرى من أسمائها الأصلية أو أصواتها. الزرافة - مثلاً - زوزو والقطة نَونَو والدب دبدوب والكلب كلبوب وهكذا. وراحت تقدمها وتعرفه بها بكل جدية.

كان كسائح في بلد عريق، أدهشته آثاره وحضارته وأثارت فضوله. تبع مرشدة سياحية. فطافت به كل المدينة وشرحت له ماضيها وحاضرها ومستقبلها. يستمع بابتسامة عريضة، يهز رأسه إيجابًا. يرفع حاجبيه تعجّبًا ويرخيهما اطمئنانًا. وعند نهاية المطاف تكتشف المرشدة أنه أتى من كوكب بعيد وأنه لا يعرف أي لغة من لغات أهل الأرض.

ما سمع أبدًا مثل ذلك الكلام الذي ينتمي إلى أبعد العوالم على مدار حياته. عالم الصغار، صار يقاوم رغبة في الضحك لم يشعر بها منذ مدة طويلة ويعرف أنه ليس في المكان والوقت المناسبين لإطلاقهما. فقد لمح علامات الاستياء على وجهها.

عاد للقراءة، قرأ صفحة ثم سمع أصواتًا غريبة. نظر إليها كانت تحاول كبت ضحكة. أشارت إليه ليستمر، لكنها فشلت في مقاومتها. انفجرت ضاحكة وهي تعتذر. وجد فرصة وسمح لبقايا تلك الرغبة، التي كبحها بالانطلاق على حذر، ولو على سبيل التظاهر بالمشاركة، فجاءت على هيئة قهقهات متقطعة كصوت سيارة معطلة.

انتظر حتى هدأت ومسحت دموعها ثم سألت: هل أنت خائف مني؟

قـــال: رأيت ثورتـــك على ذلك الكاتب، وخشـــيت أن أتعرض لمثلها، أرتبك في هذه المواقف.

قالت: فاجأتني. لكن لا تهتم. كن على سجيتك.

ما كان أبدًا على سجيته، فقد تعوّد على الحرص في انتقاء كلماته وكل حركاته وسكناته. وكان يخشى كل جديد.

كل جديد مجهول، والمجهول بالنســـبة له قضية، هو لا يأخذ الأمور على علاتها، وكيفما تأتي وتمضي. الكيف، لماذا عنده في حال نشاط مستمر.

كم كان والده يتململ من كثرة أســـئلته وفضوله حتى صار يسب من علَّمه أدوات الاستفهام.

كثر تقصّيه وزادت اكتشـــافاته لكثير من الأسرار، وظن أنه لم يعد هناك ما يمكن أن يشد انتباهه ويثير تساؤلاته.

سألت: هل نستمر؟ وعاد إلى القراءة. كان يمكن أن يستأجر طبّاعًا ليعمـــل عنده في البيت كالعادة، ويقـــدم الكتاب مطبوعًا ومرتبًا. لكن قوة دفع أو قوة جذب شـــديدة قادته إلى ذلك المقعد ليقرأ لها. تلفت حولـــه بينما كانت تعيد كتابة بعض الكلمات. ووجد نفســـه مثل رجل خلق للأجواء الباردة ودفعته ريح قوية نحو خط الاستواء.

كان يقرأ منحنيًا وممسكًا بالأوراق بكلتا يديه، ومسندًا ذراعيه إلى ركبتيه. ســـرت وخـــزات مؤلمة متتالية في الجزء الأســـفل من ظهره. دلّـــك بكفه موضع الألم. ثم عاد بظهره إلى الوراء ببطء وترك نصفه الأســـفل ينزلق إلى الأمام. شعر بتحسن طفيف. أمسك بالأوراق بيد وترك الأخرى تستريح على امتداد ظهر المقعد. لامست أصابعه قطعة الشاموا. أحس بزغزغة. رفع كفه بسرعة وألقى نظرة خاطفة.

أكمـــل القراءة. شـــعر بخدر في كفه التي تركهـــا مرفوعة. هبطت الكف عفويًا، بعد لحظات ســـكن الألم، وراحت كفّه تســـتمتع بشعور لطيف مريح، وهـــي تتمرّغ على قطعة الشـــاموا الناعمة وتداعبها. غمرته سكينة. استسلم لمتعة التجربة الجديدة، كم تخلف في التعرف على الأشـــياء بحاســـة اللمس، وأدرك أنه لم يستخدم أي حاسة من حواسه في الوقت المناسب، فعند النظر يستعمل الشم، وعند التذوّق

يريد السمع، وعند اللمس يريد النظر.

تعبت ذراعه المرفوعة، أنزلها ليريحها، ورفع الأخرى. وضع ساقًا على ساق، ومال إلى جانبه.

رفعت رأسها عن الأوراق وتوقفت عن المتابعة. هي أيضًا تعبت. وراحت تدير رقبتها وتحرّك كتفيها في حركات دائرية.

قالت: هل نواصل غدًا؟

قال: كما ترغبين.

صمت برهة ثم تابع بسرعة: لكنني مضطر للسفر في الأسبوع القادم ولا أحب أن تتأخر طباعة الكتاب.

قالت: لن تتأخر. أستطيع الآن أن أتعامل مع خطك بكل سهولة. وبالتأكيد ستقوم بمراجعته حرفًا، حرفًا، لا تشغل بالك، نحن لا نلعب هنا.

هو يريد أن يبقى، تعب، لكن يريد أن يبقى، يريد أن يبقى ليفهم سر تلك الدهشة، التي ظنها توقفت إلى الأبد. نهضت، نفضت ركبتيها لتزيل عن ساقيها الخدر ثم تمطت، نظرت إلى الساعة، صاحت: إنها الثالثة!

نظر إلى ساعته - بكل أسف - ليتأكد، ثم نهض قائلاً: اعتذر. أخّرتك عن موعد الغداء والعودة إلى البيت.

قالت: لم أتناول الغداء في البيت منذ سنوات. أنا أعيش هنا تقريبًا، وكثيرًا ما أنسى موضوع الطعام. وحين أتذكر، ألجأ لكل ما يسمن ويغني من جوع. ثم رفعت نحوه علبة مكسرات وقالب حلوى.

تقدمت نحو الهاتف. طلبت رقمًا، ظن أنها ستطمئن أحدًا على غيابها، ورأى أن من الأفضل ألا يكون قريبًا، استدار نحو الحيوانات وراح يتذكر أسماءها.

كانت يده تمتد نحو حيوان «الكوالا» حين نادته لتسأله: ماذا تحب أن تأكل؟

فاجأته. ذلك السؤال كان أشبه بالأمر. هو يحب اللحوم المشوية، لكن نظرًا لظروف المكان قال: لا داعي لذلك رجاء.

كررت السؤال بإصرار أكثر كأنها لم تسمع رده: ماذا تحب أن

تأكل؟

صار عليه أن يجيب على السؤال مباشرة. قال: مثل طلبك. اكتفت بهذا الرد. طلبت لزانيا بالأعشـــاب وأرزًا وصلصة خضراوات وطبق ســـلطة وطبقين من الحلوى. لزانيا بالأعشـــاب! تساءل: ما مذاقها؟ صدق ظنه لابد أنها نباتية متطرفة.

فتحت خزانة. أخرجت منها مفرشًا ومجموعة من الأطباق والأكواب الخزفية. نشـــرت المفرش على بســـاطها الغريب. ساعدها في صف الأطباق. قالت: بما أننا سنأكل وجبة طيبة، فعلينا أن نتناولها جيدًا، وإن كانت لحظة سنعيشـــها فيجـــب أن نحياها كما يجب. ووضعت في وسط المفرش أصيص زرع ما كان مناسبًا لكنه بدا جميلاً.

قال: كنت سأعتذر عن الحضور.

قالت: كانت ستفوتك الوجبة الطيبة. لكن لماذا؟

قـــال: تلقيت خبرًا مزعجًـــا، وكنت في حال مـــن الحزن والخوف والقلق.

قالت: وكيف الحال الآن؟

قال: لا أعلـــم. لكن يبدو أن الخبرات اليوميـــة العادية واللحظات العادية أيضًا يمكن أن تتحول إلى أحداث عظيمة.

قالت: هل تحب أن تحكي لي؟

قال: الأحزان مُعدية. سأنقلها لك؟

قالت: أخذت نصيبي منها كاملاً حتى صرت محصنة ضدها. هات ما عندك ولا تخش شيئًا.

ضحك. قال: هذه ثاني مرة أضحك فيها اليوم.

قالت: هل تَعُدُّ ضحكاتك؟ حالتك مستعصية.

قـــال: هـي كذلك فعلاً. صمت. نظـــرت إليه تحثه على الكلام فقد بدا متردّدًا حتـــى قال: عندي ورم خبيث. ولا يدري لماذا أخبرها هي بالذات ما حرص على إخفائه عن الآخرين.

قالـــت: الحمد لله. خشـــيت أن تقول أنك مفلـــس فأحوال المطبعة سيئة.

ضحك وهز رأسه متعجبًا كيف حوّلت الأمر إلى نكتة. ربما ذلك هو

رد الفعل الذي كان يتمنى أو الذي يستحق. لو قال ذلك الخبر لغيرها لسمع من عبارات الأسف والتأسـي والنصائح والإرشادات وقصص الحالات المماثلة ما كان يمكن أن يعجل في منيته. البوح للغرباء مريح. لا يجزعون، لا يصدرون أحكامًا ولا يتدخلون.

ما أحبّت أن تسـمع نبأ مزعجًا في تلك اللحظة. إنها تتهرّب حتى من قراءة الصحـف أحيانًا لتتجنب الأخبار المحبطة. بعض الصحف تهوى تخويف الناس وإرهابهم من نقل القيل والقال حتى أدق تفاصيل الجرائم والكوارث. والحياة مازالت تزخر بالجمال والآمال والإحساس بها هو أساس الإتقان والتطور. ليتهم يعرفون!

كم يحب بعض الناس إفساد اللحظات الممتعة كأنهم يخافون الفرح. ثـم هل ظن أنها تخطط للتقرب منه أو الارتباط به ليصارحها بالأمر قبل أن ترسم الأحلام العريضة؟ كم يتشابه الرجال في غرورهم!

لم تسأله عن التفاصيل. وحوّلت الحديث إلى مجالات أخرى عرف منها شدة اهتمامها بالبيئة ومستقبل الأرض. وأنها تكفل أشبالاً أيتامًا للبـوة في أحد مراكز رعاية الحيوان التـي تعاني ضائقة مالية تعيق أحيانًا قيامها بوظائفها على أتم وجه. وأنها تطبع مجانًا كتبًا مدرسية لأطفال المرحلة الابتدائية في إحدى قرى الدول الفقيرة.

تلك إسـهامات رائعة، لكن روعتها لا تنفي كونها تشكّل عبئًا ماديًا والتزامًا ثقيلاً بالنسبة لموظفة. حاول أن يصرف ذهنه عن طرح ذلك السـؤال الذي صار يلح حتى ما عاد بالإمكان دفعه. قالت: أنا أمتلك هذه المطبعة. وعندي بيت. والباقي أحب أن أقتسمه. بعد الغداء عادا إلى قراءة الكتاب.

تطلب الانتهـاء من قراءة الكتـاب أيامًاأخرى، ألِـف فيها المكان، وصاحبتـه وحيواناتهـا. وكوّن صداقـة حميمة مع قرنفـل وحيوان «الكوالا» الذي صار يحضنه وهو يقرأ. فله ذراعان وسـاقان طويلتان تلتفان بسـهولة حول عنقه ووسـطه. وبإمكانه أن يتحرك به دون أن يسقط خبرات صغيرة مختلفة يمكن تجدد الحياة في اللحظة نفسها التي نظن فيها أنها تنتهي. ودّعها على أمل اللقاء بعد شهور، واستأذن فـي أن يتصل بهـا هاتفيًا. لم تقبـل بحجة أنهـا لا تجيد التحدث

بالهاتف كما أن الاتصالات الهاتفية الخارجية مكلفة فتمنى أن تسمح له بالكتابة لها ولم تمانع.

***

رحل وظل يكتب لها دون انقطاع طوال ستة أشهر. ردت على خطابين فقط حين طال به الانتظار، طلبها في الهاتف، فرد عليه المدير، وأخذ الأستاذ يجيب بجهد بالغ على أسئلته المتكررة عن صحته وحال البلد الذي هو فيه، وتحمل بملل وصفه للعناء الذي تجشموه في طباعة كتابه واطمئنانه على تسلم النسخة التي أرسلوها له ومدى رضاه عن عملهم، ثم ما عاد يحتمل، فقاطعه وسأله عنها: قال المدير: إنها في المستشفى.

***

عاد الأستاذ واتصل بمدير المطبعة من أول هاتف صادفه في المطار، فنقل إليه ما سمع عن تدهور صحتها المخيف، فصمت لحظة، ثم سأل عن رقم الجناح والغرفة، فأخبره المدير أنها في الجناح السابع، الدور التاسع، غرفة رقم خمسة.

دخل بيته وهو يخطط لزيارتها في اليوم التالي. لم يحتمل أن يبقى دقيقة واحدة، فقرر أن يزورها فورًا. لم تكن سيارته جاهزة وما كان هو يقوى على قيادتها بنفسه إلى المستشفى وهو في تلك الحالة من الخوف والقلق. طلب سيارة أجرة، فانطلقت به إلى المستشفى، وقبل أن يصل بلحظات، تذكر أنها تحب الحلوى.

***

كانت مصاعد المستشفى كلها مكتظة بالزوار والأولوية طبعًا لمن سبق بالوصول. ما أحب أن ينتظر حتى تفرغ، فاندس بين أحد الأفواج التي اندفعت إلى داخل المصعد حتى قبل أن يفتح الباب بالكامل، وظل محصورًا بين باقي الزوار وبين الباب وهو يحتضن علبة الحلوى متجاهلاً بعض التعليقات اللاذعة. توقف المصعد مرات عدة، وهو يراقب أرقام الأدوار. في الدور التاسع غادر المصعد مسرعًا، ثم توقف فجأة ليتأكد من رقم الجناح. تساءل: هل هي ترقد في الجناح السابع من الدور التاسع، غرفة رقم خمسة أم في الجناح التاسع من

الدور الخامس غرفة رقم سبعة أو الجناح الخامس من الدور السابع غرفة رقم تسعة. يعتمد دائمًا على ذاكرته في حفظ الأرقام ونادرًا ما تسعفه. هو في الدور التاسع وسيبدأ من هناك. تمنى لو أنه دون المعلومات، تقطعت المفكرة وهي تتنقل في جيوبه ولم يستخدمها بعد، كانت ستوفر الوقت والجهد.

توقف في أول ممر الجناح السابع عند لوحة أسماء المرضى وأرقام الغرف، كان اسمها هناك، الغرفة رقم خمسة.

ما احتاج أن يقطع كل الممر الطويل، الغرفة رقم خمسة في الوسط. دفع الباب بهدوء ودخل.

ما كان معها أحد. كانت ترقد على جنبها وظهرها إلى الباب. جسد هزيل لا يكاد يبين تحت أغطية المستشفى الرقيقة. دار حول السرير بخطوات أربكتها دقات قلبه في سباقها العنيف. انتبهت، فتحت عينيها، رفعت رأسها بصعوبة من على وسادتها المحفورة من كثرة الرقاد. كانت هي أو ما تبقى منها.

نظرت إليه بعينين كانتا الأجمل منذ شهور. بقع زرقاء تنتشر على ذراعيها وكفيها. كانوا بالتأكيد يبحثون عن موقع مناسب للإبر والأنابيب. عبرت أمامه صورة صبي الميكانيكي وتذكر قبضتها القوية وحركات كفها التعبيرية وهو يتابعه أكثر من أي شيء حين كانت تتحدث. كانت مرونته غير عادية. كأنه موصول بخيط إلى رسغها.

سألت: من أنت؟ وهي تبحث عن شيء ما تحت الوسادة. سحبت نظارات لم تقو على رفعها. وضع علبة الحلوى على السرير وساعدها.

لم تفدها النظارات في التعرف عليه إنما كانت تستخدمها حسب العادة في الفترات القصيرة التي تتعافى فيها ذاكرتها بعد أن أتلفها الخبيث الذي طالت مقاومتها له.

قالت: هل يمكنك أن ترفع ظهر السرير قليلا؟

أدار مقبضها أسفل السرير ثم ساعدها لتعتدل وأسند رأسها إلى الوسادة.

كان يرتجف رهبة وهو يحمل علبة الحلوى ويضعها بين يديها.

سألته: من أرسلها؟

قال: أنا أحضرتها.

قالت: افتحها.

رفع غطاء العلبة. نظرت إلى قطع الشوكولاته المصفوفة بكل أناقة فلمعت عيناها وغمرتها فرحة طفل محروم. قبضت على طرفي العلبة وتفحصت محتوياتها باهتمام شديد ثم قالت: اختر لي واحدة.

اختار واحدة وقسمها إلى نصفين. قدم لها قطعة وأعاد النصف الآخر إلى العلبة. تناولتها منه بيد تهتز كغصن ضعيف. وضعتها في فمها. وأطبقت عليها شفتيها. أغمضت عينيها. واستسلمت للذة الشوكولا حين تذوب في الفم. سمعها تهمهم من شدة الاستمتاع. أسعده ذلك لكن لم يبدد خوفه من النتائج فقد تضرها الحلوى لكنها كانت ويبدو أنها مازالت تحبها أكثر من أي شيء.

بعد أن أفاقت من غيبوبتها اللذيذة سألته مرة ثانية: من أنت؟ ولاتزال مطبقة على علبة الحلوى.

قال: أنا.. أنا.

احتار كيف يعرف بنفسه. حانت منه التفاتة، رأى كتابًا على المنضدة الجانبية. خطفه ورفعه نحوها قائلا: أنا هنا لأقرأ لك.

***

كان مستغرقًا في القراءة حين دخلت امرأة تحمل حقيبة صغيرة. تسللت المرأة بهدوء إلى داخل الغرفة. زيها الرسمي أوحى له أنها مرافقتها الخاصة.

توقف عن القراءة ونظر إليها فطلبت منه أن يتابع بحركة من يدها. استمر في القراءة. انتهت المرأة من ترتيب بعض الأشياء ثم سألته هامسة: هل نامت؟ قال: يبدو ذلك.

وضع في الكتاب قطعة من الشرائط التي كانت تزين علبة الحلوى ليميز الصفحة. ثم تركه على المنضدة الجانبية. كانت يده على مقبض الباب حين سمع صوتًا ضعيفًا خلفه يقول: «قراءتك ممتعة مثل الفيلسوف».

فرح أن انطباعها عنه لم يتأثر بالوقت أو المرض. لا يهم أن تتعرف

على شـكله. ما نحبه في أي مخلوق وما نحن لفقده حين يغيب ليس شـكل أنفه أو بريـق عينيه أو نبرة صوته إنما مـا يتركه من أثر في نفوسنا: المرح، القوة، الحنان. تلك هي الحقائق التي لا تفنى ولا يمكن النيل منها أو سلبها... ومازال هناك وقت ليعطيها أكثر.

***

حين اسـتيقظت في اليوم التالي. كانـت كل حيواناتها هناك وكل شـيء حولها أخضر. قرنفل كان أقربهم إلى سريرها. قالت: قرنفل! كم أنت وفي. وراحت تداعبه.

اقتربت منها المرافقة وقالت: الأسـتاذ يحب أن يسلم عليك رددت: الأستاذ، الأستاذ؟

اقتـرب منها وهـو يحمل «الكوالا» على صـدره. جلس على حافة السرير. رفعت يدها بصعوبة كأنها ترفع أثقالا. التقطها.

قالت: الفيلسوف!

انحنى وقبّل يديها.

سألت: متى عدت؟

قال: من زمان.

سألت: هل استلمت الكتاب؟

قال: تسلمته. وكنت أتمنى أن أجد فيه غلطة واحدة.

قالت وردد معها: نحن لا نلعب هنا.

سألته وهي تحاول تعديل هيئتها: كيف أبدو؟

قال: مثل مخلوقات الكواكب في المجلات المصورة.

قالت: أنت مجرم.

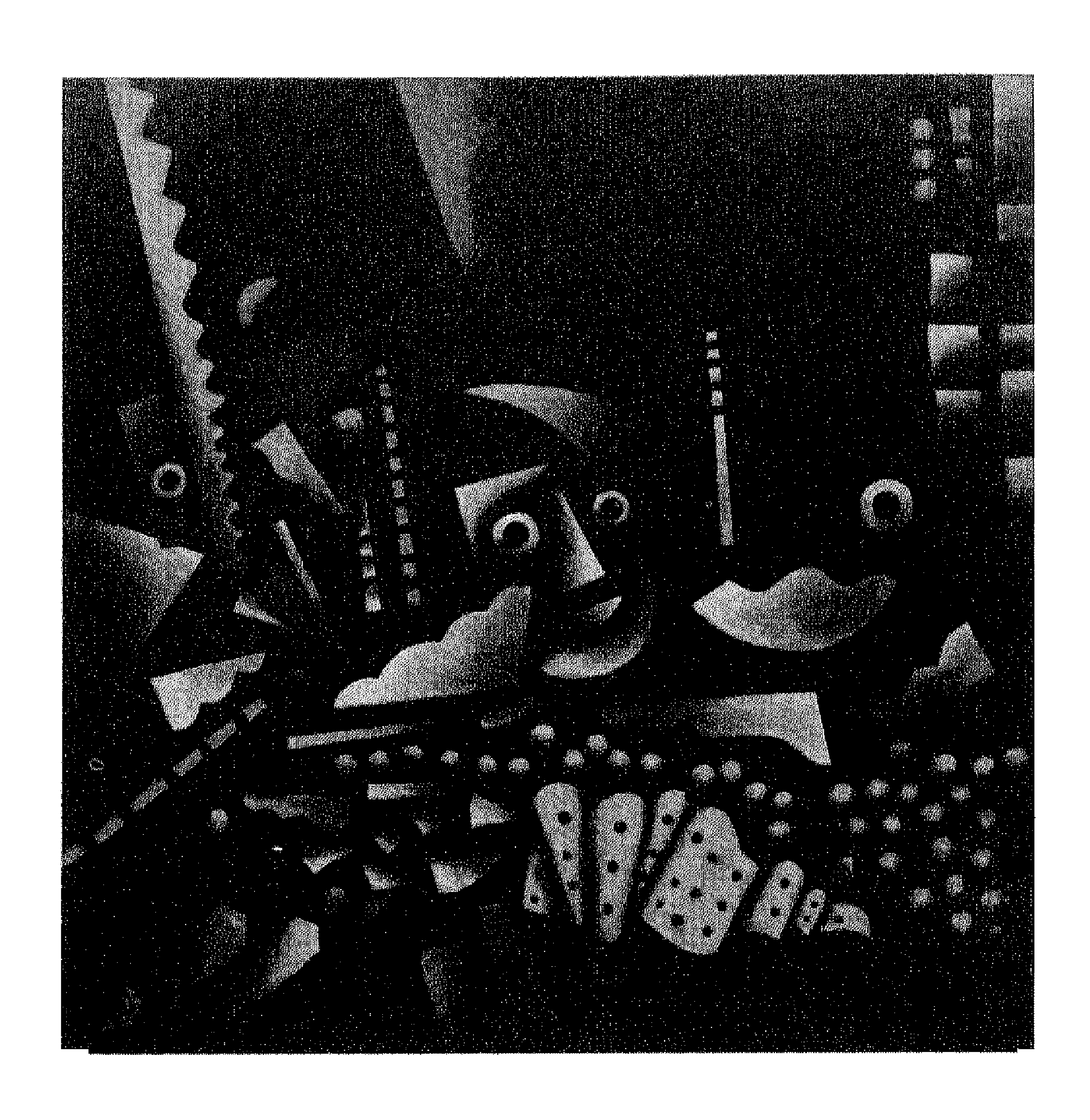
قـال: بـل مغرم. وأخرج من جيبـه صورة قربها منها فابتسـمت. أشبالها الأيتام صارت أسودًا يافعة قوية.

قالت: أنا جائعة.

قال: ما رأيك بلزانيا بالأعشاب؟

ناولتـه المرافقة الطبق وراح يطعمهـا. أكلت جيدا ثم دفعت الطبق بعيدًا وهي تقول: يكفي يا أبي.

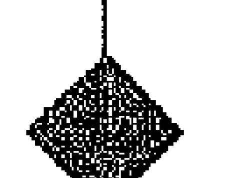
جرفتها ذاكرتها إلى منطقة أخرى. غابت.





امرأة من بقايا رجل *

فوزية السويلم



تمنت أن يكــون مختلفًا عنهم، عن كل هؤلاء الذين يحاولون هدم الــقوة التي تستمدها مــن إيمـــانها القــوي بأن الجسد لا يمكن أن يكون شرطًا أساسيًا للتواصل بين الرجل والمرأة.

يقــف لها في منتصف الطريق، يخطــف الزهور من رياضها الزاهرة، يعدها أن يكون لها فجرًا، ثم يغرقها في الظلام ويفر هاربًا.

تخرج مع شــروق الشــمس مع أغاني العصافير، تسأل الوجود الذي يسكر كلما استمع إلى أناتها:

هل سيعود؟ أم لا.

تسير في الشارع، تردد: «الصياد الأشقر، الصياد الأشقر.
جاء من السهول الخصبة يصطاد في البراري
أخطأت بندقيته التصويب».

ترى الشوارع واسعة جدًا، تزداد اتساعًا كلما توغلت إلى الأمام. تشعر بغربة من نفســها ومــن ماضيها وحاضرها ومن الناس الذين يعيشــون

* من مجموعة المؤلفة: الأسماك تموت غرقًا.

حولهـا. تحدثت مع صديقتها بصـدق وقالت: يضعف الرجل أمام امرأة جميلة. ولا تضعف المرأة إلا أمام حب قوي صادق.

سألتها بخبث: هل أعتبر هذا، اعترافًا منك بأنك....

نعم يا عزيزتي.

تلقت اعترافاته بعفوية وبدهشـة، فهي لـم تتوقع منه هذه المصارحة الجريئة.

تظاهر أمامها بأنه «مدينة شـوق» فقررت أن تقيم في هذه المدينة، أن تسكن بيوتها، أن تسمع أشعارها وحكاياتها.

ولكن المدينة تخلت عنها كما تخلت عن أطفال الجنوب وأطفال القنابل والحروب.

أصبح كهفًا مخيفًا، مرعبًا، أكذوبة كهذه الأمة وخرافة السلام.

صارحها: بأنه يطمح أن يرتوي من شلالات الغصن الأخضر.

سألها: فهل هذا مستحيل؟

فهمت مـاذا يقصد وماذا يريد، ولكنها لن تضعف، لن ينهار السـياج الذي أحاطت نفسها به.

رسـائل ملقاة على المنضدة، لا تريـد أن تقرأها، والآن تقرؤها، مرات ومرات.

تريد أن تعرف عنوانه، ولكن لم تجده بين السطور ولا على الهوامش.

تصرخ في فم العصر: رحل لأنني مملوءة فضيلة، لأنني امرأة من بقايا رجل.

في هؤلاء القوم كل النساء من بقايا رجل.

تسـلقت ذاكرتها، إلـى أن وصلت إلى تلك الأيام التـي جمعتها بذاك الفتى عندما كانت طالبة في المدرسة وكيف أجبروها على نسيانه.

عندما اجتمعوا في ديوان عميد العائلة، وعقدوا قرانها على خالد.

خالـد رجل الأعمال الناجح، أو بالأحرى اللص الناجح، الذي سـرقها وسرق أموال العالم بالقانون.

اشـمأزت عندمـا وصل قطـار الذاكـرة بها إلـى تلك الليلـة، ليلة الاغتصاب.

والنسوة يرقصن ويغنين، يباركن هذه الجريمة.

نعم اغتيال الحب جريمة.

خضعت للأمر الواقـع، واتخذت خالدًا إطارًا جميلا تزيّن به صورتها أمام الناس.

خالد الذي يتطور يومًا بعد يوم وينشغل عنها أكثر وأكثر.

وهـي لا تحاول، حتى مجـرد مجاملة، للفت انتباهـه أو معاتبته على سفره المتكرر.

جاء بعد أن اسـتحم في عرق الكادحين واستمتع بنشوة الانتصار على المسـحوقين، وكأنه بذلك ينتقم لنفسـه من عمه الظالم الذي طرده من منزله في سـاعة متأخرة من الليل لأنه تناول وجبة رابعة وهذا ليس من حقه، فلجأ إلى بيت خاله ليتلقى نوعًا آخر من العذاب.

لم يكن خالد طفلاً مدللاً أو شابًا مرفّهًا، ولكن بذكائه استطاع أن يبني مستقبلا زاهرًا، اقترح عليه أصدقاؤه أن يرشح نفسه للبرلمان.

قال وهو يضحك بسخرية: لست محتاجًا إلى تحسين الوضع.

والحقيقـة أنه لا يريد أن يضع نفسـه تحت المجهـر كغيره، فيصاب بمرض الهلوسة.

قال في ندوة عقدها في أحد المقاهي الشـعبية لمناسـبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان: «لقد كانوا يعاملوننا ونحن طلاب على أننا سذج، فكانوا يقولون لنا دائمًا إن الحق لابد أن ينتصر. إن الحق لا ينتصر إلا إذا كانت هناك نية صادقة وعزيمة قوية لإعادته، والشواهد أمامنا كثيرة».

صفق الحاضرون له، ليس لأن كل ما قاله صحيح وإنما لأنهم عاجزون عن تصحيح أخطائه فيتظاهرون بأنهم معجبون به.

يعـود إليها، أكثر غرورًا وغطرسـة، فهي لا تختلـف عن هؤلاء الذين يهمهم رضاه وعفوه عنهم لأنهم في أمس الحاجة إليه.

هي أيضًا محتاجة أن تتمتع بحمايته وتعيش تحت ظله.

نصحه صديق بـأن يضعها داخل اهتماماته، ولكنه دائمًا يؤجل النظر في الموضوع إلى وقت آخر.

نزعاتها الداخلية تضلله الطريق.

فكرت طويلاً، تريد أن ترجع إلى الظل بعد أن حرقتها الشمس، ولكن ضاعت منها القاعدة الأساسـية، وتحطمـت الحواجز التي تصد الرياح

عنها، خالد على الرغم من كل مساوئه عوّض لها ما سلبه منها بطفلهما الذي أسمياه «عمر».

أيقنت الآن أن السـعادة الحقيقية مع طفلها الذي جاء بعد عناء طويل وصبر دام عشر سنوات.

ضمّت طفلها إلى حضنها وشـعرت بقشعريرة تسري في عروقها، إنها الأمومة، التي تفوق كل عاطفة.





رحيل القلوب *

لطيفة بطي

في منطقة مكتظة، وفي بناية متعددة الطبقات، كانت تقوم عيادة صغيرة تشع نظافة وتمتاز هدوءًا، جدرانها مزدانة باللون الأبيض، فيما تتخللها بعض التشققات هنا وهنالك، مما يؤثر على سلامة العين المنشودة حين يطالعها لون الفرح، ملوثًا بخطوط سوداء متعرجة ومتشعبة تستفز الأعصاب وتحرمها متعة الاسترخاء، لو أمعن الرائي جيدًا، لتكشّفت له أشياء غريبة وعجيبة من تلك التشققات، ولأنشأ علاقات مختلفة فيما بين كل شق وآخر، فتلك التشققات - مثلاً - والتي أعلاها علّقت صورة لمنظر طبيعي جميل يخيل للرائي أنها فتاة تمد يديها وكأنها تستنجد بالطبيعة لإخفائها عن خطر ما يدهمها، ولو تم الوصل ما بينها وبين الشق الآخر غير البعيد، والذي تصطف بجانبه صورة قديمة مكبرة ومبروزة ببرواز ذهبي لشاب بلباس التخرج في الجامعة، تشع من عينيه نظرات متحدية لا تخفي بعضا من حزن نبيل لا يرصده أي راء بسهولة، ولصاحب كل فراسة لو ربط ما بين

---

* من مجموعة المؤلفة: عروس البحر.

صورة ذلك الشــاب والطبيب العجوز الــذي يقبع في غرفة العلاج لعلم أنها لشخص واحد هو مؤسس العيادة ومالكها، ولو ربط بين ذلك الشق الذي بقرب صورته، وما بين صورة الفتاة المتخيلة لما وجد ســوى صورة وحش كاســر أو مخلوق عجيب غريب له تشعبات كثيرة يحاول اجتذاب وابتلاع تلك الفتاة في جوفه.

فــي زاوية من زوايا الانتظار، كان يكمن حامل بلاســتيكي ذو ســلتين خصصــت أعلاهما لرص زهــور صناعية جميلة، فيما الســفلية كانت مخصصة لتلقي بعض النفايات البســيطة كالمناديل الورقية، وما شــابه ذلك، وبالقرب من الباب الخشــبي وضعــت منضدة صغيرة ترقد فوقها منفضــة معدنية مزخرفة لتلقي بقايا أعقاب الســجائر وأعواد الثقاب، والتــي احتــرق بعضها عن آخره، فاســتحالت إلى الســواد. على أن ما يضحك الناظر هو تلك الورقة البيضاء، والتي خط عليها بالقلم الأحمر علامتان متضاربتان وعبارة «ممنوع التدخين»، فيما المنفضة معدة لتلقي الممنــوع في جوفهــا، ولعل لصاحب العيادة حكمة فــي ذلك، فمن يجيد القــراءة، قد يكتفي بالتحذير ويلتــزم بالأمر، ومَن لا يجيدها فيكفيه أن يربط ما بين العلامة الحمراء والمنفضة، ليعلم بمنع التدخين، أو قد تكون هــي حكمة أخرى اقتضاها الأمر حين أعيته الســبل لفرض قانونه أمام بشر لا يطبقون سوى قوانينهم الخاصة، خاصة في الأماكن التي يدفعون فيها الشــيء الكثير من جيوبهم، فلم يجد بدًا مــن أن يكتب لهم قانونه الخاص، ويهيئ لهم ما يكســرون به ذلك القانون، ذلك أن كسر القوانين طبيعة جُبل عليها البشر.

كانت الكراسي الخشبية والتي تهالك بعضها لقدمه، أو سوء الاستعمال، ممتلئة بالمراجعــين والذين يبدو الاختلاف علــى تقاطيع وجوههم وفي لهجاتهــم وفي ســلوكياتهم وفي تفــاوت أعمارهم واختلاف أجناســهم وثيابهــم وأحذيتهم اللامعــة أو المغبرّة، يبدون وكأنهم فــي مهرجان أو كرنفال كبير أقيم للتمايز والاســتعراض. على أن ما يجمع بينهم ويؤلف مــا بين تناقضاتهم هو اشــتراكهم في آلام الأســنان التي لا ترحم أحدًا ولا تفــرق ما بين كبير وصغير، ولا ذي منصب ووضيع، ولا امرأة ورجل، بعضهــم تورّم وانتفــخ وجهه كأنه أصيب بســمنة مفاجئة، وبعضهم كان

يخبئ رأسه ما بين ركبتيه في محاولة للهروب من الألم، وامرأة كانت في كل هنيهة تعيد ربط وعقد منديلها على رأسها وتجذب طرفه المعقود نحو فمها وتصرّ عليه بأسنانها بشدة علّ الألم يسري فيه فيخلصها مما تجد، وفي أحد المقاعد الجانبية، كان رجل عجوز يتأمل وجوه الجالسين في الانتظار، تارة بحنو بالغ، وتارة بحنق شديد، فكأنه لا يملك السيطرة على مشاعره، أو لكأنه مشفق على الجالسين، وفي الوقت نفسه، متبرّم بهم يتمنى أن يحلّ دوره في الدخول على الطبيب بزمن أقل من عدد الحاضرين، بل وبأقل من عدد الأسنان في فمه، والتي تساقط أغلبها حتى باتت المسافة الفارقة ما بين سن وأخرى من الأسنان المتبقية توحي للناظر بأن خصامًا حل فيما بينها، فتجافت وابتعدت عن بعضها البعض، أما السيدة التي كانت تجلس قرب الحامل البلاستيكي، فقد كانت تنظر في كل لحظة إلى ساعة الحائط، محلية الصنع، والمواجهة لها ثم تميل إلى جارتها التي تجلس بقربها وتسألها إن كان الزمن على ساعة الحائط يطابق في توقيته الزمن على ساعة اليد الفاخرة، والتي كانت السيدة تضعها في معصمها الأيمن تمايزًا وخروجًا على المألوف، كانت السيدة تكتفي بإيماءة بسيطة برأسها وعيناها تلاحقان طفلها الصغير الذي لم يتعد السنوات الثلاث، والذي كان يذرع الغرفة شغبًا وحركة، ولربما امتدت يده إلى بعض المجلات والكتب التي وضعت لتزجية وتسلية وقت المنتظرين، وقد تهالك معظمها وتمزق لكثرة التداول، وامتلأت بالكتابات المختلفة أو اقتصت منها إعلانات تجارية وغيرها، ما بين لحظة وأخرى، كان الطفل يجري فارًا نحو أمه فزعًا حينًا، مستغرقًا في ضحكاته البريئة حينًا آخر، ذلك حينما كان أحد العجائز يقوم بإفزاعه باستخراج طقم أسنانه الاصطناعي، قائمًا بحركات مرعبة للصغير، توحي له وكأن وحشًا سيطبق بأنيابه عليه، ولم يكن العجوز أقل سعادة من الطفل للدرجة التي كان يستغرق فيها بضحكه وكأنه طفل آخر صغير، ثم يسعل بعدها سعالاً مزعجًا مجهدًا. كانت الأم تتذمر لبعض تلك الحركات العفوية البريئة وعلامات الاستياء تبدو مليًا على وجهها، ومن منظرها المهندم كان يبدو عليها أمارات الثراء أو أنها من علية القوم وأكابرهم، كما أنها أقامت شعرها الذهبي فوق قمة رأسها، وأطالت البعض الآخر منه وكانت تزيّنه

بأربطة ملونة وجميلة، فيما كانت بشرتها البيضاء الناعمة تمتلئ بأصباغ الزينة والمساحيق، التي تتماشى مع ألوان فستانها وحقيبة يدها، وبالطبع حذائها، ولم تكن تغفل عن مرآة صغيرة في الجيب الداخلي لحقيبتها، فكانت تحيط طفلها بنظرة وتطمئن على سلامة زينتها بنظرة أخرى في المرآة الصغيرة، وللمرة التي لا تعد مالت عليها السيدة البسيطة ذات الملابس الشعبية المبهرجة، تسألها عن الساعة، فكانت السيدة ترد بتهذيب بالغ، وبهدوء أعصاب، وربما لمن كان في مثل وضعها أهون وأيسر عليه أن يمنح تلك المرأة ساعته ذات التصميم الفاخر غالية الثمن، عوض أن يوجه إليه سؤال سخيف في كل دقيقة عن الوقت، فيما ساعة الحائط تكاد تنطق بأنها، وإن كانت محلية الصنع، إلا أنها تضاهي التصاميم العالمية في رصد الوقت.

عادت السيدة للإزعاج من جديد، حين فتحت فمها، فانبعثت منه رائحة غير طيبة، وأخذت تشير إلى أسنانها شاكية للسيدة الأخرى، يقولون في الأمثال: «وجع الضرس ولا هم العرس»، فوالله يا أم بلال مضت مدة طويلة منذ راجعت فيها هذا الطبيب، كان وقتها ضرسي يحتمل العلاج، كما أنني التزمت الأدوية التي وصفها لي، على أن موعد المراجعة التالية مضى وقته منذ زمن طويل، كنت خلال ذلك أحاول توفير المبلغ اللازم لمتابعة العلاج، ثم رفعت عينيها إلى الأعلى وكأنها تشكو إلى الله متابعة، والله يا أم بلال العين بصيرة واليد قصيرة، لقد جمعت المبلغ الجديد بأشق وأصعب مما تفارق به الروح الجسد، ثم تساءلت قائلة: أتظنين يا أم بلال أن الطبيب سيوجه لي لومًا قاسيًا، ويتهمني بالإهمال والتأخير في الحضور للمعالجة؟ ثم أسندت رأسها إلى الحائط متنهدة، إنها مشيئة الله، فالأعمال والآجال تنقضي، فما بالنا بالأسنان، ثم أغلقت فمها قليلاً، وابتلعت ريقها. لكنها كانت كمن ندم فعادت لفتحه من جديد، وكلما خاطبت السيدة المهذبة، كانت تكنيها بأم بلال، ذلك أنها التقطت الاسم حينما كانت الأم تنادي به طفلها، فكانت بتكنيتها تحاول رفع الكلفة فيما بينهما، وتمد جسرًا للتواصل الإنساني بين فئتين مختلفتين في المجتمع، لكنهما اشتركتا في أن أسنان كل منهما خلقت لتمزق وتطحن الطعام، بغض النظر عما يمكن لكليهما

أن تأكلــه أو تطعمه!! عــاد الطفل يجري من جديد نحــو أمه فزعًا من الرجل العجوز، وكلما جرى فارًا ارتطم رأســه الصغير من شدة السرعة ببطن أمه، فينقبض وجهها للصدمة المفاجئة، وفي المرة الأخيرة أحكمت قبضتها عليه، بالرغم من صراخه ومحاولة تحرير نفســه من بين يديها، فحاولــت تهدأته وإغــراءه بالحلوى في حقيبتها، لكنــه كان يرفض كمن فضّــل متعة اللعب على متعــة التلذذ بقطع الحلوى، التي لاشــك تناول الكثير منها في أوقات ماضية، فيما فترة اللعب بالنسبة إليه لاتعوض مع عجوز غريب تكفل بالتخلص من شــيب وقــاره بكل عفوية وطيب خاطر لينزل إلى مســتوى الصغير دون أدنى تحفظ أو كبرياء زائف، خلال ذلك كله، كان الطفل يفتح فمه مخرجًا لســانه لأمه، فكأن تلك الحركة سببت الحــرج للأم مما دعاها لأن تطلق ســراحه عــوض أن يُتهامس وإن كان بتبــادل النظرات، فيقال حتى أبناء ذوي الطبقة العليا، يحدث أن يقوموا بإحراج ذويهم، ويأتوا بحركات تنافي الذوق والتهذيب، ولم ينقذ الســيدة من براثن جارتها اللحوح وطفلها الصغير المشــاكس المزعج سوى المناداة باسم صغيرها للدخول على الطبيب، فجذبته بسرعة من يده وأدخلته.

لم يبق للســيدة البسيطة سوى أن تتسلم جارها الجديد والذي يفصل ما بينهما مقعد السيدة المهذبة الخالي من صاحبته ومالت نحوه هامسة: إنها تعالج بلالا، هل ســمعت؟ لقد نادوا باســمه، تصــور أنه بلغ الثالثة من عمره وليس في فكه العلوي ســوى سن واحدة، لقد أخبرتها أن مرد ذلــك يعود للعناد، فالطفل حين يكون عنيدًا صعب المراس، يصعب ظهور أســنانه، وقــد لا تظهر بتاتًــا، مَن يصدق.. طفل غني بلا أســنان كيف سيأكل؟!

لم ينبس الرجل ببنت شفة، وانهمك في قراءة صحيفته، زمزمت المرأة شفتيها، وكأنها لم تسعد بجيرة هذا الرجل الصلف الذي لم يكلف نفسه عناء الرد ولو بهز رأســه إيجابًا أو ســلبًا، ولم ينقذه من إلحاحها ســوى الإزعاج الصادر من الردهة الصغيرة قرب الممر الخارجي للعيادة والذي شــد أسماع وأبصار كل المنتظرين وشغلهم عن آلامهم قليلاً، وأدى دخول عجوز قصيرة في الســتينيات على ما يبدو من عمرها، لأن يقل اهتمام المراجعــين، فعادوا لينشــغلوا فيما كانوا فيه من تذمّر وشــكوى، وتوجع

وتألم وتبرّم بالانتظار.

تسمّرت العجوز قمحية البشرة قليلاً في مكانها قرب باب ردهة الانتظار، وكانت تتشح بالسواد من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ولولا بعض الشعيرات البيضاء التي كانت تطل من أسفل غطاء شعرها والتماع بعض الخواتم في أصابعها القصيرة النحيلة واتكاؤها على عصا نحاسية اللون، لما أمكن لحدة السواد المتسربلة به أن تتكسر ويخف تأثيرها على أعين الناظرين، كانت تحدج الجميع من خلف نظارتها سميكة العدسات، وقد غارت عيناها في محجريهما وامتلأ وجهها بالتجاعيد التي كأنها أخاديد عميقة حفرتها الأمطار بلا رحمة، خلال ذلك كله كانت الفتاة الموظفة تحاول إقناعها بتدوين الاسم في بطاقة المراجعين، وتحاول إفهامها أن التعدي على دور الآخرين في الانتظار يسبب إزعاجًا وحرجًا للجميع، لكن العجوز لم تكن لتتفاهم، ولم تكن لتبالي، وراحت عيناها الضعيفتان تلتقطان صور كل ما حولها، تأملت السقف والجدران والأرضية والأثاث، حاولت تركيز بصرها الضعيف على صورة الشاب المسمرة على الحائط، اقتربت محاولة التركيز أكثر فأكثر، أغمضت عينيها نصف إغماضة، وكأنها تحاول تركيز وجمع كل قوة إبصارها في هذه الفتحة الصغيرة لعينيها، وهمهمت بكلام غير مفهوم للجميع، لكنه كان مفهومًا لها: نعم، نعم، العينان الساحرتان نفسهما، ذواتا الحزن النبيل المشع، يا الله ذات الوجه الملائكي، لعقت شفتيها الباهتتين ورمقت الموظفة المتململة بنظرة حادة، لن تمنعيني الآن مما كان لي قبل ثلاثين عامًا! اتكأت على عصاها وتوجهت نحو غرفة الطبيب مباشرة تصحبها الموظفة متذمرة.

مالت السيدة البسيطة مرة أخرى نحو جارها ذي الصحيفة قائلة: آه لمثل هؤلاء النسوة، إنها ولاشك قادمة من هناك من خلف البحر، أعني لقد ذهبت فيما مضى لزيارة أخي الذي يعمل هناك، وبت أعرف ملامحهم جيدًا، عدا أن سياحهم في كل عام هنا يتسببون في ارتفاع الأسعار، إنهم لا يتركون بعض العجرفة في سلوكهم!

اكتفى الرجل بتقليب صفحات جريدته دون أن ينطق بأي كلمة مرة أخرى.

أما في غرفـة الطبيب التي يطل بابها على قاعة الانتظار، فقد كانت تكتظ بأجهـزة عدة، ولضيق المكان، تم ترتيبها بشـكل يوحي للزائر أنه اسـتغرق من صاحبه جهدًا جهيدًا لينظمها، فقد استخدم أرففًا متعددة الطبقات، مثبتة على الحائط، عوض أن يستخدم خزانة تأخذ حيزًا كبيرًا، وفي أحد الأركان، كان يكمن حوض غسيل صغير رص على منضدة بقربه جهاز تعقيم للأدوات، أما الكرسـي المسـتخدم لعلاج المرضى، فقد كان يوجد منه اثنـان، وعلى ذلك كان يوجد جهازان لعلاج المرضى يصطفان في المسافة الفارقة فيما بين الكرسيين والجزء القليل المتبقي في محيط الغرفـة، وفـي الركن المقارب للبـاب كان مكتب صغير يـزدان بمفرش أبيض بلاسـتيكي وضعت عليه زهرية صغيرة ملئت بورود طبيعية، فيما كانت سـلة بيضاء صغيرة تحوي أقلامًا وأوراقًا للوصفات الطبية، وعلى زاوية المكتب الملتصقة بالحائط، كانت تسـتند مذكرة صغيرة، اصفرارها وغرابة شـكلها يوحيان للناظر وكأنها مخطوط تاريخي قديم، ولو غامر أحـد وفتحها لتسـاقطت منها أوراق كثيرة ملونة، وأخـرى بيضاء، كلها بدا عليها الاصفرار واسـتحالت ألوانها، تتراقص على صفحاتها كلمات كثيرة، قد لا يميز القارئ في بعض الأحيان شخصية كاتبها، لأنها تركت من غير إمضاء على أن حسًا أنثويًا كان يضوع منها لا يُخطأ، وأغلب تلك الكتابات كانت لقصائد شـعرية تنضح عاطفة وحرقة ولوعة، ولو طالعها القـارئ لبكـى وأجرى دمعه لفرط المشـاعر الرقيقة، التـي تمتلئ بها، ولتمنى الالتقاء بكاتبها وشكره على أنه تسبب في إسالة دموعه وإشعاره بأن له قلبًا ينبض كما للبشـرية الحقة أن تكون، لكن ما يسـتغرب له هو علاقة المفاتيح الجلدية ذات اللون البني والحلقتين الذهبيتين المتداخلتين ترقد هادئة وترقد بجوارهـا بطاقة إهداء صغيرة تزدان بمنظر طبيعي زاه صممت على شكل نافذة خطت بداخلها هذه العبارة: «لو كان الأطباء بمثـل إخلاصك في عملك لما احتـاج المرضى إلى نصف العلاج للتعافي من آلامهم».

وبالقـرب من علبة العلاقة كانت ترقد علبة أخرى تحوي قلمًا أسـود بسـيط الشـكل، يحتضن القلم بطاقة إهداء صغيـرة هي لمنظر طبيعي آخر، سـطر عليها هذه العبارة «لا تستغرب الأمر.. فلا أحب من إدخال

البهجة لنفوس الآخريـن، وبالقرب من علبة القلم كانت تنتصب زجاجتا عطـر متفاوتتا الحجم والمصدر، فإحداهما كانت فرنسـية الإنتاج فيما كانـت الأخرى محلية الصنع، وفي قاع كل منهما قليل من العطر المتبقي، كان يمكن اشـتمام رائحة طيبة صادرة عنها، بالرغم من مرور السـنين وخلفهما كان يقبع ظرف كبيـر يمتلئ بالكثير من الأوراق الأخرى، ولقد حاول مسـاعد الطبيب والموظفة مرارًا وتكرارًا معرفة سر تلك الأشياء، لكـن الطبيب العجوز كان يتجاهل كل ذلك، ويكتفي بالقول، كانت حكاية قديمة، ويرنو بعينيه لما خلف النافذة نحو الحديقة الصغيرة وكأنه يبحث عن مكان ما يواري فيه شيئًا طال مكثه على مكتبه.

شد سمع وبصر الطبيب العجوز ومساعده جلبه المرأة العجوز ومحاولة اعتذار وتبرير الموظفة لهما عن عدم قدرتها على السيطرة على الوضع، لكنهما لم ينبسـا ببنت شـفة، وعادا لما كانا فيه، وانشـغل المساعد في معركتـه الجانبية الصاخبة مع الطفل الصغير وأمه في محاولة يائسـة لإجبـاره على فتح فمـه، فيما أنهى الطبيب العجـوز عمله في فم أحد المرضى، وصرفه وتوجه بقامته المديدة، والتي انحنت للأمام، واتكأ على المكتـب وربع يديـه والقناع الواقي لايزال على وجهـه، فيما رفع نظارته وأسـندها إلى ما فوق رأسه الأصلع كله عدا شعيرات بيضاء قليلة كانت تتناثر على الجانبين في منطقة ما فوق الأذنين، وكأنها نباتات صغيرة أبت إلا أن تقاوم التصحّر وتتشـبث بالحياة، وخاطب الموظفة قائلاً: اخدمي السـيدة، انتفضت العجوز في وقفتها وسـحبت كرسيًا، ورمقت الطبيب العجوز وهمسـت لنفسها، تمامًا نفس وقفة الوداع الأخيرة، مضافًا إليها خطوط الزمن والنظارات السـميكة، ثـم أعقبت الهمس بكلمات محتدة غاضبة: ثيدة وأين هي هذه الثيدة؟ هكذا لفظتها مستبدلة حرف السين بالثاء، فضحك الطبيب وأزاح قناعه إلى الأسـفل وافتر ثغره عن أسنان اصطناعية يخيل للناظر أنها طبيعية، فيما ارتسمت عشرات التجعدات العميقـة على وجهه بفعل ابتسـامته، وعلق بمرح: أنـت الثيدة! محاولاً تقليدهـا دون أن ينزعـج من أنه قد يحرجها أو يسـبب لهـا ألمًا، فكبار السن غالبًا ما يتقبلون التعليقات الساخرة من أشكالهم وطريقة كلامهم برحابـة صدر ولا يظهرون تبرّمًا أو ضيقًا، لا بل إنهم يعدون ذلك تدليلاً

لهم، وأردف قائلاً: أم أن بحضرتنا ثيد، وقد أخطأنا في التعبير!
ردت العجوز ساخرة من الطبيب، والفتاة الموظفة، ومن المساعد الذي كان يسترق النظر حينما كانت الأم تحاول إقناع صغيرها بفتح فمه تارة بالترغيب، وتارة أخرى بالترهيب دون فائدة تذكر، أنا مازلت آنثة يا ثيدي الطبيب، تلفظت كل ذلك بطريقة محببة، فيما كانت شفتاها قد امتصتا إلى الداخل وكأنهما شفطتا بفعل مشفاط كهربائي، وعظام وجنتيها وصدغيها بارزة، وكأنها تأخذ أخيرًا حظها في الظهور والبروز على حساب الشحم واللحم.
حاول الطبيب إثارة المرح، فهو له من الخبرة عشرات السنين، وبات يعرف أغلب طبائع الناس، كما أنه سافر وجال كثيرًا مما أمكنه أن يكتسب مهارة ومرونة وسعة في الصدر في التعامل مع كل أنماط البشر مما سبب الراحة لمرضاه، فتعلقوا به، ولم يرضوا له بديلاً، وكان مساعده الشاب دومًا يغبطه على روحه المتسامحة والصبورة.
قال الطبيب بمرح مرة أخرى: والآن يا آنثتي هل تتفضلين لدى مساعدي الشاب للعلاج، وغمز بعينه لمساعده وكأنه يقول له هذه آنسة تليق بشاب مثلك، ضحك المساعد وفهم ما كان يعنيه ويقصده الطبيب العجوز وهمس لنفسه: تقصد يا عانستي! على أنه استسهل العمل مع العجوز عوضًا عن الطفل العنيد صعب المراس.
تعالت همهمات المرضى في الانتظار، وأصوات احتجاجهم كانت تصل للطبيب مباشرة، وبلغ استياؤهم أن تطاول بعضهم، فاقتحموا الحجرة محتجين على تجاوز الدور في الانتظار ووجه بعضهم لومًا مبطنًا حين ارتفعت عقيرته بالقول، إنهم يعاملونهم أفضل منا بالرغم من أننا أيضًا ندفع مثلهم، لكنهم قادمون من بلاد الكنوز والذهب، لاشك أن الجيوب عامرة! لتتجاوز الدور في الانتظار فقط، لكن لكم أن تتخيلوا ما يمكن للمال أن يجتازه!
حاول المساعد الشاب والفتاة الموظفة تهدئة وتطييب خواطر المنتظرين، فيما نهضت العجوز بلامبالاة وجلست على كرسي العلاج متمتمة: لطالما وصفت نفسي بالمزعجة، وهأنذا بعد كل هذه السنين، أبدو كمزعجة حقيقية! مستبدلة بعض أحرف كلماتها بحرف الثاء.

نهض الطبيب العجوز وقال: ارتأيت أن يقوم مثاعدي بعلاجك، أما وأنك نهضت - جلثت - هنا فلن أحرمك من بركات يدي يا - آنثتي - ... وانفجر بضحكة حلوة عذبة نابعة من القلب تدخل دون استئذان قلب سامعها وأردف: افتحي فمك يا آنثتي، أكثر فأكثر، والآن من هنا، بلطف أكثر يا، آنثتي وقام بتفحص ما تبقى من أسنانها وهرش صلعته متابعًا، يلزمك طقم أسنان يا آنثتي، وكتم ضحكة وكأنه يقول لنفسه وعريس أيضًا!

ردت العجوز معارضة... لا، لا، لا أفكر بجسر متحرك، أنا أريد جسرًا ثابتًا، أريد زراعة أسنان، أجاب الطبيب: لكن هذا يكلفك كثيرًا يا سيدتي، آه عفوًا يا آنثتي، هذا عدا أن إمكانات عيادتي لا تسمح بإجراء مثل تلك الفحوصات والمعالجات.

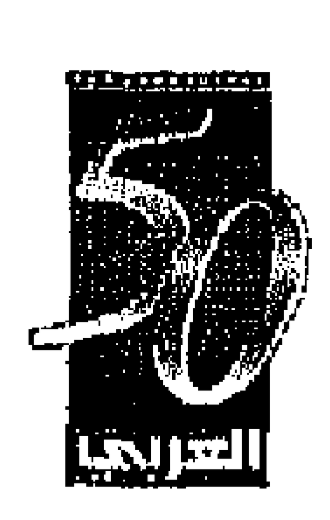
تبسمت وعلقت لا تبالِ فتوأمي - ثيتكفل - بكل الأمور!

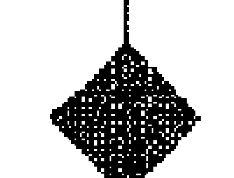
- لكن أين توأمكم يا آنثتي للاتفاق معه؟!

حدجته بنظراتها المتراخية ولمحت في عينيه السحر الملائكي القديم نفسه، لكأن السنين مازادت تلك العينين إلا سحرًا معتقا، وهمست: هاهو يقف أمامي، إنه مدين لي بذلك منذ ثلاثين عامًا! ظهرت علامات الاستغراب على الطبيب ومساعده، ونظر كل منهما للآخر فيما همس المساعد:

يبدو أن هذه السيدة العجوز خرفة، اقتحمت المكان وفرضت الضوضاء والإزعاج، وهاهي لن تدفع شيئًا مقابل الاستشارة الطبية، أرى أن تكتب لها مسكنًا بسيطًا ونصرفها!

فهمت العجوز ما يدور حولها، فرفعت عصاها في وجه المساعد: قد تخرف المرأة لكنها لاتنثى - أما الرجال فإنهم يخرفون وينثون في نفث الوقت - أم أنني مخطئة يا توأم الروح، يا أيها التوأم الذي غادرتنا ومضيت، لكن دومًا نقيًا في أنظارنا بقيت!! قالت ذلك وهي تلقي نظرة أخيرة نحو المذكرة التاريخية المركونة تمسح دموعًا طفرت من عينيها بحرقة.





التصاق *

ميس خالد العثمان

ضغطت على الفرامل، دفعت بذراع التعشيق إلى وضع الوقوف، أطفأت محرك سيارتي، فهدأ الهدير من حولي، ووحدها بقيت الكلمات الشرسة تطرق سمعي، انزعجت أكثر، مسرعة لملمت حاجياتي، عبرت بنظري على المبنى، شعرت أنني أحفظ منظره عن ظهر قلب، طالما بقيت مشاعري ملتصقة به، منزل جدي

كانت الثالثة عصرا.

لتوي غادرت مقر عملي، مرارة تسكن فمي، ابتلعني الزحام بقهري، وحيرتي وألم يدك صدري.. ما خطر ببالي سواه، يزيل تلك المرارة، ويرفع عني ضيقي، «أبوي عيسى»، جدي لأمي ..

ترجلت من السيارة، وجدت باب المنزل مشرعا، دخلت تسبقني خطواتي، لمحت عبد الرحمن المزارع، ألقيت تحية سريعة، ومقتضبا جاءني رده، لفحتني رائحة طلع النخيل، أبطأت خطواتي، رفعت رأسي

---

* من مجموعة المؤلفة: أشياؤها الصغيرة.

أتأمل نخلات «أبوي عيسى» الست! يستمتع بالحديث عنهن كأروع ما يكون! كن قد كبرن، ربما حملن عمري معهن!

ضيق شوه ابتسامتي، أسرعت ابغي لقاء « أبوي عيسى»، أفضفض عن وجعي، أحكي عن ظلم قاس مسني، قذفت بحقيبتي في الصالة، إلى غرفته توجهت، دفعت الباب بخفة، خيبة أمل لبست ملامحي، وجدته مستغرقا في نومه! خطوت للداخل اكثر، استقبلتني رائحة المسك التي يعشق، اشتممتها حتى انتشيت، سمحت لنفسي بالجلوس قريبة منه، اعتدته حتى صار اقرب إلىّ من والديّ! هو من رباني، فكان التصاق يحسدني عليه كل الأحفاد.

الكل يعرف أنني «سلاوّي» دلوعة «عيسى».

جلست على الأرض، قريبة منه، وجودي إلى جانبه بعث لي شيئا من الراحة، غير أن ألما اعتصرني حين ترددت كلمات «مسئولتي»، نظرت إلى وجهه، همست بحذر:

«يبه عيسى! مظلومة أنا، جئتك انشد الراحة».

انسابت دموعي دافئة على خدي، مسحتها بكفي المرتعش، اعتدلت في جلستي، جاهدت نفسي لأهدأ، خشيت أن أوقظه ولم يمض على نومه أكثر من ساعة، أعلم أنه يتغدى، يقرأ قليلا، ثم يغفو حتى يحين موعد الصلاة.

هو من علمني القراءة، جاءتني كلماته:

«أقرئي يا سلوى، فالقراءة هي زاد الإنسان الحقيقي»

اعتاد شراء نسختين من أي كتاب جديد يقتنيه، واحدة له وأخرى لي، واشترط ذات نهار أن أدون على الصفحة الأولى تاريخ اقتنائي للكتاب، وتاريخ آخر يبّين يوم انتهائي من قراءته.

علمني إحصاء أعداد الكتب التي صرت ابتلعها ابتلاعا!

ابتسمت لوجهه الهادئ، أمعنت النظر فيه، ثمة شبه غريب يجمعنا، ورّثني وجنتيه العاليتين، وحدّة أنفه، وسرى اتصال ساحر، قد يكون مبعثه هذه العيون الشهلاء التي تجمع ما بيننا!

ورثت عنه عصبيته أيضا.

وذلك العرق النافر في أعلى جبهته.. يكون أشد وضوحا حين يغضب!

غضبي أنساني موعد نومه المعتاد، كنت استعددت لبث شكواي منذ قررت المجيء إليه، همست:

«قيلولتك يا سيد عيسى، عاكست كل خططي»!

مستني برودة الغرفة، سحبت الغطاء إلى صدره، «أبوي عيسى» يحب النوم في أجواء باردة، كنت أتعذب في صغري حينما أبيت عنده، يلفني بالغطاء، يحتضني كأشد ما يكون، يبعث الدفء إلى جسدي النحيل، يدغدغني، يضحكني كثيرا قبل أن يقرأ القرآن بصوت عال لأهدأ وأنام،

تعودت أنام عنده أيام خصامي مع والدتي، يسمعني جيدا، يمتص غضبي، يقذف بابتسامة رضا تطمئنني إلى أن كل شيء سيكون على ما يرام، فأشعر بسخافة مصيبتي وأواصل حياتي،

عملي هو حياتي، لكنه بات يرهقني، ومسئولتي وبكل الوقاحة ادعت اليوم عملها المتواصل لأجل إنجاح المشروع، مشروعي الذي سهرت أنا لوضع خطوطه الأولية ومن ثم تطبيقه عمليا!

كدت انفجر غيظا حينما مهرت المشروع باسمها! سحابة من دخان انتشرت أمامي حينما نفثت تلك الأفعى سمها في الخطاب الذي ألقته على الحضور!

« أبوي عيسى» بعلاقاته المتعددة، كان قد وفر لي المراجع اللازمة لعمل دراسة الجدوى، هو الشاهد على عملي المتواصل لثلاثة اشهر، عملت حتى حفظت ما حوته الأوراق كاملة!

فكيف تزج تلك الملعونة بنفسها في مشروعي؟!

لحظة أعلنت هلوساتها أمام الجميع، وددت لو أمزق فستانها الجديد بلونه الفاقع!

قبل العيد بأسبوع، كان «أبوي عيسى» يصطحبني معه إلى السوق، نتبضع، نتفرج ونمرح كأروع ما يكون، كان يبتاع لي الغالي من الفساتين الملونة والحلي، ويرد على تذمر والدتي:

«صلي على النبي يا لولوه! هذه سلاّوي، والغالي للغالي!»

تعلمت منه حكمته الشهيرة، «الغالي سعره فيه»، ودأبت على تطبيقها، مما سبب لي ضعفا متواصلا في الميزانية!

نفخت متضايقة، تعدت الثالثة والنصف، توقفت عيناي على الخزنة، ابتسمت، خطر لي ليل اكتشف جدي ضياع مفتاحها الصدئ، فتش الجميع، إلا أنا!

كنت في السابعة حين فقد مفتاح خزنة « أبوي عيسى»، لم يكن قد ضاع، كنت قد خبأته في حقيبة صغيرة مطرزة بألوان الربيع، أهداني إياها حينما عاد من الحج، دسست المفتاح فيها بعد أن نسيه جدي على الخزنة، خفت تمتد أيدي الخدم إليه، يومها ما عنفني، زفر مرتاحا، ضمني إلى صدره يمتص خوفي،

عاودت النظر إلى ساعتي، كانت الرابعة،

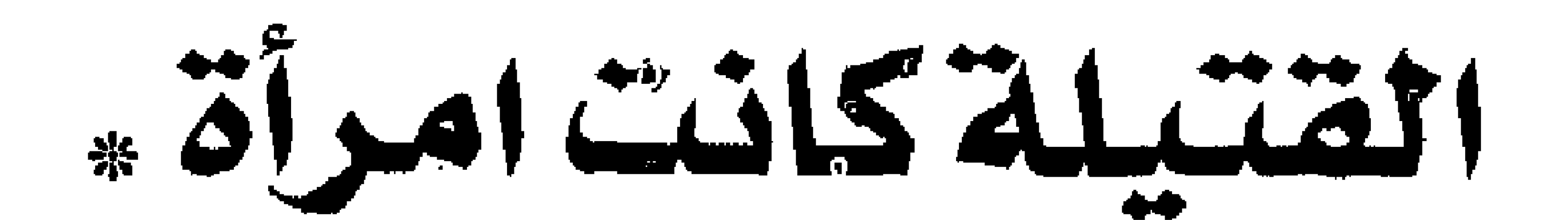
تناقص حزني الذي كنت أحمل وقت خرجت من عملي، خطفت نظرة على جدي، قررت النهوض، فقد قرصني جوعي،.

انسحبت بهدوء، التقطت حقيبتي، أسرعت إلى سيارتي، داخلني يقين بأن جدي استمع كل ما فكرت به، علمني تواصل الأرواح حين المنام وفي البعد ولحظة الفراق،.

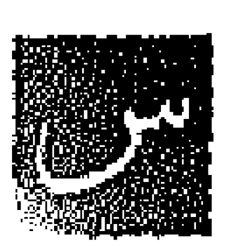
استوقفني صوت المزارع، عبد الرحمن:

«عمتي! هل يشكو الحجي عيسى مرضا ؟، انتظره منذ العاشرة صباحا، فالنخيل....».

ما أكمل كلامه، لا إراديا، انطلقت نظراتي تستطلع شباك غرفته، ركضت كما لم أركض من قبل، فتحت الباب،. كان كما تركته، غير أن ابيضاضا لم ألحظه كان قد سكن شفتيه!



مي محمد الشراد



ســرعان ما تهرب وتعود لمخبئها الســريّ داخل صدرك وتغلق محارتها الحديدية وتبدأ ببياتها اليوميّ

.. إنها الفرحة ..

أجمـل ما يمكن أن يحدث.. أن أموت، لا أروع من أموت، ألا تجدني في الصباح ولا حتى في المســاء، أموت وتموت أحواض (البتونيا) ويتعفن الأكل في الثلاجة!، أن أتركك تمارس حياتك بعد أن مارست موتنا.

· سأرحل تاركة إياك في مساحة زمنية تمارس فيها فعلا لم تمارسه في حياتي، لــك كتبك وركامات الألــم داخل صدرك، لك كل كلام الحــب الذي تحفظه في صندوق مخملي بين طيات جلدك، احتفظ به أوحدّث به شاهد قبري يوم الجمعة بعــد الصلاة، لا تصدق أن الأموات يســمعون، إنما تخدعون أنفســكم لتخففوا مــن وطأة الذنب، لا تتركونهم يموتون بســلام إذ تلاحقهــم أمانيكم الفارغة أن يعودوا بعد أن تواري أجسادهم التراب، وتتخيلون أشباحًا، تلبس ملاءات السرير البيضاء، وتحلق في فضاءات أوهامكم.

---

* من مجموعة المؤلفة: الرجال لا رموش لهم.

اطمئن لا أغطية سرير بيضاء عندنا، أعرف أنك لم تنتبه.

لا أجمل من أن أموت وأتركك جالسًا في الغرفة الأخرى لا تنظر إليّ، المعزون يواســـون فجعيتك بحب العمر،أتخشى أن تنظر إلي ميتة؟ إلى جسدي الذي كان ميدانًا لمعاركك الأسدية؟ لم يعد! وغدًا تفتقده في الفراش الذي كثيرًا ما شكوتُ برده، كنتُ أرتجف فجرًا وأنت في المكتب تقرأ، وإذا ما لجأت إليك ألتمس الدفء لبرودة أطرافي المتلونة، تظلني طامعة ســارقة وتقترح غـطاء إضافيـا فأصرخ: «أريدك.. أريد أن أحدثك، أن أضمك». تكسّر حسابك لتكتشف أنك قبلتني في الصباح،وغازلتني بعد الظهر وربت على كتفي في المســاء، وحان موعد صفائك، وأعــود أنا لجليد الفراش أحنّط فيه جثتــي وأحفظها من العفن، وأنتظر لحظة الكشــف عني، وولوجي لدفء القبر الترابي، وتركي أهيم سابحة بعيدة عن هذا القهــر الممارس من رجل ذي جرح وقمع وقهر ســرمدي، علــى امرأة تعاني ذات الاغتراب في وطن الفواجع المحروقة من جزائره حتى فراته.

أرجوك.. لِمَ أرجوك؟ كلي ثقة أن تمســكك بعاداتك الرجولية سيجعلك تهمل زهوري وأســماك الزينــة بتلقائية غيــر متعمدة، دعهم يرحلـوا معي فقد كنت أستأنس بهم في موتي الأعلى.

كم كنت أتمنى لو كان عندي طفل، «من أين يجيء الأطفال»؟

«من أين يجيء الأطفال»؟ مطلع أغنية ساذجة يرددها الصغار في عائلتي، ويرد عليهم الراشــد .. «من نورس عشق جوال»، ونورس عشقي وإياك مكسور الجناح مضــاع بين صمتك وصممك، ولا أمل لدي في اســتجداء بعــض دفئك، انتقلت عــدوى الصمم إلى الجدران والأثــاث واللوحات مما أتاح لــي حرية الاحتضار العلوي دونما إزعاج، كان الهدوء يعم المكان وأنا في المطبخ أشــكو تكسر عظامي تحــت وطأة البرد وصداع شــديد يطيح بمراكز الإدراك فــي دماغي، نصحتني أن أتناول (اســبرين)، تناولت قرصين وجســدي لايزال بــاردًا .. قرصين آخرين وجســدي لايزال باردًا .. أربعة أقراص وبارد جســدي.. ثمانية.. ســتة عشر.. عشرين.. ثلاثين.. وجسدي يبرد أكثر، الخدر يسري في عظامي الباردة، وأبخرة كالعادم تنبعث من داخلي إلى دماغي المعطل.. أخيرًا، رغبة في النوم تجتاحني.. جســدي يبرد أكثر والخدر يســري في روحــي ولكن لا يهم إذ رغبــة في النوم تجتاحنــي، وأعلم بل أكاد أراك تدخل غرفة نومنا في الفجر، ســتجدني بثياب النوم – التي لا تلاحظها – باردة على السرير.





رائحة الامتداد الغامض *

إستبرق أحمد

مسجون أنت ولو بعد ألف عام..
أصواتهم الصفراء تطرق جسدي الرمادي، يتضبب الهواء بتردد أنفاسي، تلوذ صرخات الهلع في فمي، يزحف الجفاف في خلاياي، أتخمني اليأس منذ زمن الخديعة.
حدة صوته تزيح ما عداه من نبرات خافتة.
- لم يبق إلا القليل وتمتصه دقائق الموت العجلى.
أحدث نفسي «أنا خرقة شقاء، مزقوني برماح حقدكم».
تثب حدته من جديد:
- ألا يوجد سبيل لقيود أخرى توثقه وتوجعه؟
ينهض صوتي المتلاشي في عمقي:
- أوثقوني أو أفلتوني، قيد الهوان يظل رازحًا ببصماته علي ولا قيد يقاربه.
بحدته:

---

* من مجموعة المؤلفة: عتمة الضوء.

- وصلنا... اتركوني وحدي معه.
صامتًا أقول:«متمرغ أنا بالنجاسة، بالعفن، منذ الخطيئة ولم أزل».
- سأشبع حرقتي وحدي.
أخذ... يشتمني، يجذبني، يلكمني، يركلني وأنا... أضحك.
مأفون أنت ولو بعد ألف عام.
شق شغاف كرامتي، نوخذة زمن القهر، حانقًا لمرأى عملي الخانع، طوح،قذف عبارته أمام الملأ، واقفًا أمامي بمهابة هيئته:
- «أنت لست بالرجل ولا أظنك ستكون».
جمدت، وددت أن أصرخ فيه:
- «كيف يكون الرجل رجلاً والجوع ثوبه والعوز مئزره؟».
وشكرته طويلاً في حنايا قلبي، إذ خطوت الخطوة الأولى أخيرًا.
جمعت ما ظننته كافيًا، اتجهت إلى أحد الأسواق العتيقة بالفقر، دنوت من تاجر بعينه تقاد له الأشياء الغريبة، نقدته الثمن، أسلمني إياه والحيرة تسكن أفقه.
جربته على القط الليلي المحوّم في منزلنا، تحشرج مواؤه، أهداني فعاليته، ملأني نشوة.
وشوشت له يومًا بضرورة لقائنا انفرادًا، نظر طويلاً، ارتديت الذل، ألقى بموافقته بما يحمله من علياء.
مثقوب الكرامة ولو بعد ألف عام.
جسدها... انثناءاته، وجهها.. فمها سره، صوتها... رخامة نعاسه، جميعهم أحكموا سطوة الغرق عليّ. تقدمت بعطش الرغبة سائلاً عمي.
فأجاب:
- أنت يتيم أخي الغالي، لن أجد من هو أفضل منك لعائشة.
سألته لألجم ظنوني:
- هل يوافق إيجابي قبولها.
- ابنتي وأنا الأقرب إلى قلبها، نعم سألتها، فوافقت.
اشتعلت وساوس والدتي، علا دخان الرفض لها ولخدمتها لدى بيت النوخذة مساعد.

أوقدت:

- صوت سمعتها لا يجادل همس الحي، بنت صالح ليست لك.

مخمدًا إياها، أرد:

- هي تخدم لتهزم الأيام المثقلة بالجوع.

لتقطع إجابتها لهفتي:

- جوع جسدها يعلو على جوع أيامها .. أين كرامتك.

تزوجتها وعسعس الليل فيّ متعملقًا، واستمرت تخدمهم عبر وهني.

جـاء الطفل/ الثمرة يحمل صورة أيام خدمتها، عاد فحيح والدتي من جديد يلتهم وجه الوليد:

- إنه لا يشبهك، كأنه توأمه..

بمرارة أجيب:

- هو ابني شاءت ظنونك أو لم تشأ.

وما انفكت تسـقي الشك، ليسـتمر رفضي ولتمضي كرامتي ترفض حمقي.

مكفن بالهوان ولو بعد ألف عام.

ذهبت إليه بعد أن تأكدت الا أحد معه، حتى الصبي الموكل إليه خدمة ديوانيته بعثه مع ابنه زيد لإنهاء أعماله، وهو ما أريد.

فوجئ بقدومي، حمل جملته ازدراء لي:

- لم أتوقع حضورك الآن، وزيد سيأتي في أي لحظة.

- سأنهي ما أريد قبل أن يقدم.

- حسن، ضيِّف نفسك ريثما انتهى من أمور عالقة بوقتي.

وانصرف.

خضعت لرغبته، سـكبت قهوتـي، وضعت... مـذاق مرارتي في دلة القهوة، جاء، سكبت له منها، شرب حقدي ومهانتي، أحس بتعكرها.

- أظنها قهوة هجرها طيب مذاقها، هل شعرت بذلك؟

- نعم أنت محق يا عمي، سأريقها وأصنع أخرى.

وأرقتها تمامًا كما أردت.

أردف بعد صمت:

- أنت يا إبراهيم رجل عاقل، وقسوتي عليك إنما لتطرد كسلك...

لجلجت أحرف الانكسار المزيفة قائلاً:

- أعلم وحاجتي لا يخرسها جهدي والطفل أنت تعلم... أنه.

قاطعني محتدًا:

- إبراهيم.. إن جئت لتغرف من جراب السخاء فأنت مخطئ.

ثم أكمل بهدوء:

- لكنني أقسم على أن هذه هي المرة الوحيدة التي سأعطيك مالاً بشارة مقدمه فقط.

ادعيت التردد ومددت يدي لآخذ ما دفعه لي.

بعد ليلتين أتاني الخبر محملا بأفواه الناس، ترنح الموت في سمائه وصرعه بعد طول عراك.

باتت طلائع فرحي يخضبها أنين ممض يقضمني.

مسور بالحزن ولو بعد ألف عام.

جاءت أشهر البحر سريعًا، جهزت، طلبت مني ألا أسافر، استوضحتها السبب، أجابتني:

- إبراهيم أنت تشي بما في نفسك.

أجبت بألم:

- بل أنت من يشي طفلك بدناءة فعلك، أنا أهرب من طيفه.

سافرت، رافقتني صباحات الارتياب ومساءات الحيرة، الوجوه من حولي باتت تحمل الأسئلة.

وشوش لي أحدهم:

- همساتك الليلية تفضح الكثير مقربة إياك نحو المنية إن صدقت.

علمت حينها أنها محقة بما طلبت...

توالت الشهور بطيئة، لتبدأ رحلة «القفال» والوله لأغنية الحنين الممزوج بالعتاب «توب توب يا بحر».

وعدت.

مضيت أبحث عن عمل آخر، ليأتيني ساعي أبي عبدالعزيز تاجر الأغنام ورفيق النوخذة مساعد، قبلت خدمته مغادرًا أيام البحر الكئيبة، سريعًا حزت على إشادته، ومضى الوقت جارًا همهمات الناس معه.

ناداني يومًا، قائلاً:

- أريدك في هذه المهمة العاجلة.
- أمرك عمي.

وغادرت سـريعًا، أوغلت في طرق السـفر المعتـادة، تراءت لي ظلال سرابية ما إن أصلها حتى تتلاشى في الوحدة...

انتهيت من طمر جمر قهوتي حين صهلت الظلال، تبينت أصحابها.

بجسده الريان الضئيل، وجهه الغض، التمع صوت الغضب المكتوم في عينيه، وتوثبت أنفاسه بالمرارة وهو يمسك بزمام خيلي.

قال بصوته الحاد:

- حطمـت نبـوءة أبي، أصبحت رجلاً، مؤسـف أن رب عملك ما عاد بحاجتك فقد حلّ وقت نفاد صبري.

لم أجادل.

أحاطوا بي، أوثقوني، كمموا فمي، حشروني في الكيس، ألقوا بي على صهوة حصاني ومضوا سراعًا نحوه.

ازداد نفاذ رائحته واصطخاب خفق الطيور، صوته الرخيم مهسهسًا.

قذفوني على أرضه الباردة.

سمعت خطوهم يبتعد، خطوات تقرب منفردة وهمس حاد يخبرني:

- فعلتك أحرقت لياليّ

مسمرًا يتقيأ ألمه، جذبني بقوة.

شعرت بثقل قدميه على الرمال، ارتطامهما بالمياه الراكدة، انغمارهما بالأكثر عمقًا.

ومازلت أصيخ السمع للهائه ولعناته وحديث العجالة.

- ستمضي الآن وستخمد حرقتي.

ابتل الكيس المخنوق برائحة عرقي وتنفسي. ودوائر الملوحة تمامًا.

أفلتني...

ولكنني، ارتفعت، حلقت، بخفة متناهية.

كنت سأنجو، نعم... حتى سمعت صرخته اللاذعة.

ثقلـت، هويت، تحجر فمي، قفزت ضحكات حارقة من جوفي، غمرت بالهلع، ضمتني رائحة الملح وعبارته تتردد:

- مضحك أنك ما شككت بأبوتي للوليد.





صراع بين الحرف والرقم *

الجوهرة القويضي

١ أزحــف كجندي تحت خط النار بين حرفي والرقم كي أصل إلى متاهات أحرفي، أمتطي شـحوب الليل أداعـب ترانيم المجهول وخصوبـة الأرقام على أن تعود إلى الحبيب الذي هجر، حرفي ومظلتي والمطـر الكل منا تائه، الحرف يخرس والمظلة تسـقط والمطر ينسـاب ليغسـل وجهي وتغمض عيناي في فجـوات الصراع الذي يملأ الحرف ثم يتوارى ليعود فاحتضنت حرفـي وأخذت أركض تاركة المظلة والمطر في مكان ساكن بلا مطر ولا مظلة جدران مسقفة تحمل أرقامًا خيالية متناثـرة مطلوب أن أجمعها وأنظمها وأشـرف علـى إعدادها لتكوين خانات متساوية الأطراف، لكن بداخلي شيء آخر فكيف أحتمل انتظروا سأعود لكنني لا أستطيع الأبواب مغلقة والأمطار تملأ الشوارع ومظلتي أخذها السـيل وحرفي أخرس وأرقامي خـصبـة فكيف أنظم وأرتب تلـك الأرقام التي تملأ الجدران والأسـقف وأنا فـي دوامة بين حرفي والـرقم، مندهـشًـا أن أسـير لأرى الآخرين يحمـلون أرقاماً مكـدسة

* من مجموعة المؤلفة: غواية الآخر.

بلا حل.. يلقونها مولين الأدبار... أوجفت عيناي وولد الحرف في فجوة فمي المليئة بالآهات...فجاءت أحرف ثم أحرف.. هجرت الأرقام برهة.. لأن الإله أسـعفني..وأخذت أملأ الوزق المليء بالأرقام بأحرفي المتدفقة فامتـلأت كل الأوراق.. عندها توالت الأرقام متتالية إلى الحل والتنظيم والإعداد...سقطت الأرقام من على الجدران والأسقف تلاءمت وعاد كل شئ واجتمع حرفي والرقم.

متثائـب ليلي لم يهجع تلك الليلة بل اسـتمر حتـى الليلة الأخرى مع اسـتمرارية الحرف بعدها حققت بأن الحرف + الرقم = شـيئاً واحداً وهـذا ما صبـوت إليه وهجعـت العواصف المتلاطمـة بينهما وأصبحا صديقـين يعزان علـيّ، العواصف مخيفة لكن عندمـا يأتي المطر يهدأ كل عاصـف... حرب بين حرفي والرقم كلاهما مذكر وأنا أنثى فهل من الممكن أن يعشـق الطهر اثنين... القلب يحمل كما من الأحرف والأرقام وكما من الأشياء ليعشـق الأرقام أو يعشق حرفاً يتحول إلى وجدان بعد ثـوان من الأحاسـيس. الحروف تملأ الشـوارع لكن أي حـرف نختار؟ الأرقـام تملأ البنوك لكن أي رقم نسـتطيع أن نحصل عليه.. نسـتطيع أن نكتـب عدداً من الأصفـار بعد الواحد من اليسـار ولا نحصل على شـيء بينما نستطيع أن نكتب عددا من الأصفار بعد الواحد من اليمين، من هنـا يبحث الآخرون بالجهد وغيره كي يحصلـوا على الأصفار بعد الواحد من اليمين ويسـتطيعوا أو نستطيع الحصول عليه؟ الأرقام تملأ دماغ المحاسـب ولكن أي إنسان يستوعب هذه الأرقام ويبتكر فيها غيره، والحاسـبات جانب يأخذ وجانب يعطي، لابد أن يتسـاوى الطرفان، هل نحن البشر هكذا، هل عندما نعطي ننتظر المقابل ومتى يكونان متساويي العطاء والأخذ؟؟ ١+١= ٢

هذا لا جدال فيه لكن عندما نقول١ = ١+١

هـل يصدق ذلك أحد؟ إذن الأرقام الحسـابية مرتبطة بقوانين علمية رياضية لا تتفق مع أحاسيسـنا الإنسانية..عندما أقول أنا وأنت جسدان في روح واحدة هل يقتنع بذلك علم الحسابات أو الرياضيات؟

أين أذهب من هذه الأرقام لا أريد أن يكو ن ٢ = ١+١

بـل أريدهمـا أن يكونا كما أردت أريد الحـرف + الرقم = واحد لكن

الحرف شـــيء والرقم شـــيء آخر فكيف يتم توحيدهما، تجانسهما، لقد بدأ الصـــراع المؤلم بين حرفـــي والرقم منذ أن بدأت أســـتعيد ذكريات الحرف.

منذ أن قرع الهواء باب نافذتي المطلة على شمس الأصيل بدأت أتأمل كل شيء في الوجود الكون.. الحرمان.. ما يعني وجودي هل يعني وجود الأرقـــام؟ فقد تبعثر وجودي بين صفحات الأرقام ما تعني انطلاقتي إلى الحـــرف ما نطاق صراعي هـــذا إنها تعني أن أتحـــرر قليلاً من الأرقام التي اســـتعبدتني وأرفع يديّ يمنة ويســـرة حتى لا ألتـــزم بكتابة أي رقم لأتنفـــس الصعـــداء، الوجدان أعاصيـــر النفس المؤلمة تمـــلأ الانطلاقة المشـــوقة.. هجرتك حرفي.. أخذتني الأرقام انتزعتني وجعلتني أختلف كل يوم تقترب أكثر وتبعدني عن كلماتي لم تعد لي وقفة تأمل أو تفكير، تصارعنـــي الأرقام وفي النهاية أختصر ثم أنهك جســـماً وفكراً وطبيعياً أنام بلا قلق ولا توجد ولا تفكير.. عقل الكتروني يســـجل ويوجه ويرشد، أما الأحاســـيس إلى أين؟ متناثرة الأدوار أحاسيســـي كالحبيب المهاجر عندما عاد أحس محبوبه بأحاســـيس غريبة ممتعة لا يستطيع تفسيرها أي رقـــم. أن تعيش بين الأرقام الجمود أن تعيـــش في بعد وحرمان عن أشـــياء تهواها وكلمات تســـتلذ لترديدها.. منثورة فـــي بحر من الأرقام المتشـــابهة هي مخيلتي.. القلم معي كل يـــوم وليس معي.. إنه موجه إلى طلاســـم لا يفهمها كل الناس من وإلى.. من حـ / إلى حـ وتنتهي لتدخل الملف تعيســـة هذه الطلاسم، الحرف مقصور عليها إنها تخاطب نفسها آلياتها إنها تســـاعد على فهم مواضيع مادية بحتـــة تطالب برفع الرقم دائماً إلى أعلى.. تقارير.. معلومات.

هل خاطبت النفس العليلة.. هل دخلت البيوت هل عايشـــت الإنســـان هـــل وهل هل..؟؟ تأملات تنهل حروفاً وكلمات مكتوبة دهســـتها الأرقام فجعلت منها طريقاً معبداً كله هفوات احتكرها اللاوعي. الوعي مخزون وخامل ينتظر انطلاقة كي يتفجر ذلك المارد.. مارد الأرقام يركض ليقف ويكمل الطلاســـم، بعد كل ما حدث... عاد ثانية الهـــواء يقـــرع نافـــذتي يا إلهي هـــل أفتحها لأرى الليل البهيم يخيفني يقلقني يثير وجداني بعد أن عـــاد حرفي الذي أذابتـــه الأرقام وفتحت النافـــذة لأرى نور الله في

الكون هذا. حروفي لا تزال خرساء ولكنها اقتربت مني تلك الحروف المتقاطعة بلا ترتيب لم يعد لها قالبها الرقيق المليء بالوجدان ووجداني حروفي، كل الجدران صمتت حتى الهواء بلا صوت خرست عن الكلام، أيها الصوت ذو القناع المخيف ابتعد فلم يعد لي جو ذو نسيم ينتابني فقد جرفه الشلال في دنيا الصمت الرهيب.. وستار الليل يتوالى وأنا في أمكنة بها تحتضر روحي كي أبتعد، شيء يجذبني وشيء يتركني، وبين لمسات الحرف تتماثل أمامي لحظات مصفرة كئيبة.. أرقام تصفف وتعدل وتنظم ثم تعود أحرفي أوقاتا مريضة أوجهها مصفرة كغروب بلدة تمتلئ بالمرض امتصت حيويتي وأحاسيسي المتدفقة رغم حربي التي أعلنتها على الأرقام قمت أزحف مشلولة من الرقم إلى الحرف لأحتضنه كي أنطلق فغيابه يؤلمني وحضوره يثير الوجدان، ذلك الحرف هو الحبيب المخادع لا يكون دائما معي إلا على حواف النفس التائه والرقم الحبيب المطاوع أكيفه كما أريد... هاهما معاً يكونان رفقة حياتي ومع هجرتي لأحرفي فقد شاء القدر أن تولد متقاطعة متباعدة الأفكار والكلمات نتيجة الهجر، أخطها كما هي عندما جاءها المخاض وولدت بولادة متعسرة شاقة أفاقت بإنجاب الولد وما أسعد المرأة عندما تفيق من غفوتها لترى أنها أنجبت ذكراً.. تغمرها الفرحة على أمل أن تكتمل وتنسجم الأحرف وتتآلف خلال البعد الذي أتى.





باسم الحب! *

هبة بوخمسين

١ أخطأت للمــرة الألف، ربما، عندما هاتفته تبثــه رغبتها في رؤيته. هناك أمر ملح يجب أن يتناقشــا حولــه، وكعادته في كل مرة يلمس فيها خطورة المواضيع ومسّــها المباشــر لعلاقتهما. فهــو يتهرب، وهذه المرة لــم يتوقف التجاهل على مجــرد عدم الرد على إلحاح رنــين الهاتف الذي تنتظــر هي على الطرف الآخر الــرد على الاتصال محترقــة. ولكنه أقفل في وجهها كل وســيلة اتصال ممكنة. الهاتف الـنقال مغلق، سمــاعة هاتف غرفــته مرمية لساعات، ليصفعها انشغال الخط في كل مرة تتصل، فــتزداد حرقة.

كان يجب مباغتته والدخول في الموضوع عنوة، دون تمهيد، بيد أنه مراوغ يعرف كيف يتملص بمهارة في كل مرة، مهما حاولت محاصرته للتناقش فيما ستئول إليه علاقتهما.

شــرعت في تغيير ملابســها، هل تذهب إلى منزله؟ إنــه الجنون بعينه، إنها تمتهن كرامتها، وتفضح نفسـها وأهلها أكثر مما تفعل به هو نفسه. هل

---

* من مجموعة المؤلفة: في قعر أمنية.

يستحق ذلك العناء؟ في غمرة الحال التي تمر بها وعدم الاستقرار العاطفي كان صعبًا أن تقرر. تعرف جيدًا أن ثمة غضبًا ثائرًا في داخلها تجاهه. تكاد ظلال الكره الكئيبة أن تحجب أي مشاعر للحنين كانت قد ربت بين أضلعها ناحيته. لم يشبهها في شيء أبدًا. ولا أي شيء.

سرّحت شعرها. اختارت أسلوبًا طالما أحبه. تذكرت أنها لم تعجب أبدًا بتسريحة الشعر تلك بالرغم من أنها عرفت بها في الكلية حيث تدرس. وحيث يأتي لزيارتها بين وقت وآخر كبقية المتطفلين ممن لم يتمكنوا من الاستمرار في تحصيل العلم مع بقية الطلبة والطالبات أمثالها. في تلك اللحظة، قررت أنها ستقص شعرها بالطريقة التي أحبت.

رنت في ذهنها حقيقة كونه لايزال يخطو الخطوات الأولى في سلم التعليم الجامعي. وهي على وشك التخرج! ينتقل من جامعة إلى أخرى، ومن تخصص إلى آخر، حتى استقر بعثرات أقل في درب دراسي لتخصص أقل مستوى منها، ومن أحلامها.

لم عليها التغاضي عن عيوبه، وما أكثرها، وتجرّع كئوس الألم منه؟! هل خلت البلد من الرجال؟ ضحكت من نفسها.

اليوم تراكم غضب فوق غضب، فما عادت ترى سوى ثورة عارمة تحاول التفجر، أن تتوقف عن الاعتمال مكبوتة في داخلها، ثورة للثأر لكرامتها، لبقايا شخصيتها التي حاول طمسها باسم الحب.

تحركت بسيارتها تطوي الشوارع دون هدف، دون تخطيط. بدأت تسطر سيل الكلمات في ذهنها ليصل مرتبًا إليه، لن تعطيه فرصة للعب بمشاعرها مجددًا، لن تسمح له بممارسة غسيل الذهن الذي يحترفه.

لا تكاد تصدق نفسها، عندما تتذكر منتهى وقاحته وهو يحدثها عن مغامراته، تصرخ داخل السيارة، «كيف تجرأ؟!»، فتعتريها مشاعر احتقار لذاتها، فهو قد تجرأ لأنها سمحت له! هل كونه اختارها هي دون البقية كافيًا لغفران زلاته وعلاقاته؟!، وهل كونها نظيفة ويعلم يقينًا أنه لن يستطيع تدنيس مملكتها بشهواته يعطيه الحق في معاشرة غيرها لسد رغباته؟!

عضت على شفتها بقوة. تتذكر هراءه كيف يصل إلى مسمعها وهي دون تعليق كمسيرة، «أنا رجل ولي احتياجات، وهذا أمر لا علاقة له بحبي لك...»!

تنهمر دموعها باكية نفسها. ذلك السطحي التافه، يكشف لها عن كل أمراضه النفسية معللاً ذلك بصراحته وصدقه معها، غير عابئ بمشاعرها، ويجب أن تتحمل هي كل ذلك مجددًا، باسم الحب.

- أي حب هذا لا يعرف من معناه سوى الأخذ، الأخذ دون عطاء!

بقيت تسير على غير هدى، ربما رغبة في التفكير، في اجترار ذكريات قابعة في أعماقها، رغبة في اتخاذ قرار قد تأخر كثيرًا، قد تجاهلته لجهالة منها، فيبدو أنها وقبل هذه اللحظات لم تكن سوى امرأة كسائر النساء، تدور في حلقة القول السائد (ظل رجل، ولا ظل حائط)!، حتى وإن كان الرجل كـ«حائط» بالفعل، ودون ارتباط.

- فعلاً فهو لا يغار، لا يهتم سوى بالمظاهر وبما يقال من الناس. أين تضيع رجولته وغيرته عندما يبشّرني بفرحه إثر مغازلة أحدهم لي، وعندما تصلني عبارات الإطراء السمجة من أحد المارة! أي نوع من الرجال هو...

بقيت تدور، هل كانت تبحث عنه؟ إنه في ذلك المقهى، أخبرها ذات يوم بأنه يهرب من مشاكله وهمومه للانعزال في ذلك المقهى الهادئ، ليقضي ساعات من التأمل والتفكير، تنتهي باتخاذ القرارات، وهي اليوم بطلبها وإلحاحها، لابد أنها تدخل ضمن دائرة الهموم والمشاكل، وضرورة اتخاذ قرار تجاهها!

اتخذت الطريق المؤدية إليه، مسرعة.

وتمامًا كما توقعت، كان هناك، ركنت سيارتها إلى جانب سيارته. أخذت وقتًا قبل أن تنزل لتلتقيه، حاولت استجماع قوتها وإصرارها على ما هي مقدمة عليه، وما من وسيلة لذلك سوى، باسترجاع مساوئه وطعناته لها، وما أكثرها!

ترجلت أخيرًا من السيارة، كان لابد من استغلال كل دقيقة لمصلحتها، فكلما استعجلت الأمر، فإن راحتها التي تبدو بعيدة في الأفق تدنو منها أكثر.

فتحت باب المقهى، دخلت بخطى ثقيلة مترددة، ألقت نظرة سريعة على المكان تبحث عن وجهه بين الوجوه القليلة المتواجدة.

تذكرت مديحه لنفسه مرارًا عندما يخبرها.

«عند دخولي المقهى، نظرة سريعة على الموجودين لثانية فأعرف مَن

هــم جميعًا، ثم، أجلس بكل ثقة في مكانـــي المعهود، وأعرف مَن هي الأعين الجميلــة التي تلاحقنـــي، وترقبني، وأعرف أيضًا ما يقـــال من إطراء حول تناســق جســدي، وذوقي في ملابســي، أعرف دون أن أعاود النظر أن تلك الفتاة الجميلة الجالسة قبالتي تذوب لمعرفتها قيمة ما ألبس وما أقتني، وتود لو تحظى مني بنظرة، وأثق من غيرة الشــباب في المكان مني لأني ســرقت الأنظـــار من الجميع، أعرف أن هذه أو ذاك يودان الاقتراب مني بســذاجة مفتعلة للســؤال عن الوقت، فــقط للتــطلع فــي ساعة اليد الــتي عــندي، ولا يزعجني ذلك أبدًا، على الإطلاق...».

أغمضت عينيها، أخذت نفسًــا عميقًا، هزت رأســها تحاول لفظ الهراء الذي يحوم في داخله باسم الذكريات، حتى تخطو واثقة مطمئنة، ورأته في زاوية بعيدة، لاهيًا في قراءة فنجانه.

- يبدو أن الفنجان هو منبع قراراته - سخرت.

تقدمت ووقفت قبالته، عندما رفع رأسه افتعل عدم تفاجئه بوقوفها أمامه، حاول السيطرة عبر المبادرة في الحديث كما يفعل دائمًا.

- لقد فكرت كثيرًا، اجلسي واسمعيني.

- اسمع أنت، قاطعته، لست منتظرة قراراتك، ولست هنا لشغفي بمعرفة ما فكرت فيه كثيرًا! أنا هنا أرمي بقراري في وجهك، ولا أنتظر منك مناقشة أو تعليقًا، أنا آسفة على نفسي إذ ارتضيت أن أكون مع شخص من شاكلتك، وتحملت سطحيتك.

- الناس هنا تنظر، اجلسي وبهدوء.

- لا يهمني مَن هنا! بالله عليك انظر حولك... فليسوا سوى نسخ مشوهة عنك، لن يفيد ندمي على ما فات، بل ســيحاصرني الندم إن أنا اســتمررت بطريق أنت فيــه. أنا هنا من تقرر وتقول لك: (لا أريدك!)، وأنا من تلفظك من حياتها بكل فخر، باســم الحب أدعــوك ألاّ تعود، ولا تعتقد أن بإمكانك الهرب دائمًا، فإن هربت من الناس، فكيف تهرب من نفســك! قلت ما أريد، ولو لم أفرغ الشحنات المتراكمة في وجهك لبقيت نادمة إلى الأبد!

تركتــه وذهوله قبل أن يعاود الحديث. غــادرت، لأول مرة مذ تعرفت به، قــررت أنها لا تريد أن تســمع، ووضعــت نهاية للقصة الهزليــة، قبل فوات الأوان.



عبث أوراق الخريف *

يوسف ذياب خليفة

تثاءبت الشمس بتكاسل، تحس بضعف أشعتها رويدًا رويدًا، فتخاذلت مقاومتها المستمرة ضد سلطة ملكة الليل، التي سبقتها وصيفاتها من الغيوم في إلقاء سحرها المعهود وسط السماء.

تثاءبت مرة أخرى بقوة، راحت تلملم أطراف أشعتها النحاسية استعدادًا للرحيل والخلود للنوم. لمحت طائرًا صغيرًا يمسك بفتات خبز، يحلق مسرعًا ليصل إلى عشه قبل حلول الظلام، هدأت سرعة طيرانه، عندما لمح تلك الشجرة التي يحتل عشه فيها، وبكل تواضع جزءًا صغيرًا على أحد أغصانها.

كانت شجرة سنديان عملاقة، ناهزت حلقات جذعها خمسين حلقة، فنبتت بقوة وثبات في وجه الزمن بشكل يثير الإعجاب.

اصطبغ كل شيء بلون مشمشي هادئ، حتى ذلك الرجل الذي يسير ببطء بجانب السنديانة، افترش الأرض واستند إلى جذعها بظهره،

---

* من مجموعة المؤلف: العين الثالثة.

أغمض عينيه، يسمح لتلك النسمة الخريفية الباردة بدغدغة حواسه بلطف، ولد شعورًا بالانتعاش، اختلط مع ارتجافة التجأت إليها عضلات جسده، بالرغم من ذلك المعطف الجلدي الطويل، الذي يحتضنها بكل دفئه.

اشتعلت شمعة الرومانسية في الشمس نفسها، وهي ترى هذا المشهد، ربما كان مشهدًا عاديًا لا يثير اهتمامًا يذكر، وهذا ما أثبته أولئك المارة، الذين راحوا يسيرون بجانب الرجل، دون أن يلقوا عليه نظرة واحدة، اللهم إلا عفوية النظرة الأولى فقط. زادت الوصيفات من تكاتفهن وتجمعاتهن ليرغموا الشمس على الرحيل، ملكة الليل قادمة لا محالة، وسوف تغضب كثيرًا إن وجدت الشمس لا تزال باقية في مكانها، فراحت تنثر غبار النوم المظلم في كل مكان، لتزيد من قوة نعاس الشمس فتعجل في رحيلها.

تضايقت الشمس مما يجري، حاولت أن تخترق السحب، فنشب ذلك النزال الخفي بينهما مما استدعى الطبيعة الأم أن تلجأ إلى حكمة الأفق المسن، لحل هذه المعضلة المفاجأة التي افتعلتها الشمس المراهقة.

تقدم الأفق ببطء وحرملته البنفسجية من ورائه تبين خط سيره في السماء، تدخل بين الطرفين بأسلوبه الرصين، حاول إقناع الشمس بالعدول عن تصرفها الطائش، الذي يمنع الطبيعة من أن تأخذ مسارها المعتاد بسبب نزوة غريبة. غمر اليأس ملامح الشمس، وقد بان فشل مقاومتها، زد على ذلك خوفها من عقاب الطبيعة الأم، لو استمرت في عنادها، استسلمت في نهاية الأمر.

نظرت إلى الرجل الجالس في مكانه نظرة وداع، ثم نظرت في عينيه، رأتهما يلمعان ببريق آخاذ، لم تنجح حتى تلك النسمة الباردة التي عاودت عبثها الطفولي، في إغماضهما، فزادت من شدتها، ولكنه استمر على حاله، بالرغم من مشهد سقوط الأوراق الخريفية من حوله بشكل ساحر يجذب الانتباه.

لم تستطع الشمس نفسها أن تفسر سبب تمرّدها وانجذابها لذلك الرجل، فهو ليس أول ولا آخر رجل تراه، ولكن شيئًا ما ولد في داخلها، أيكون السبب وحدتها الأزلية، هي لم تحس بما أحسسها ذلك الرجل

منـــذ قرون، وفي هذه الحـــال تكفي نظرة متبادلة لتتدفع أنهار النشـــوة والسـعادة في كيانها الأنثوي، ولكن هل هذا معقول؟ إنه فعلا ينظر إليها يراقبها، فقد استمر في التحديق بها ولم يشتت نظره شيء.

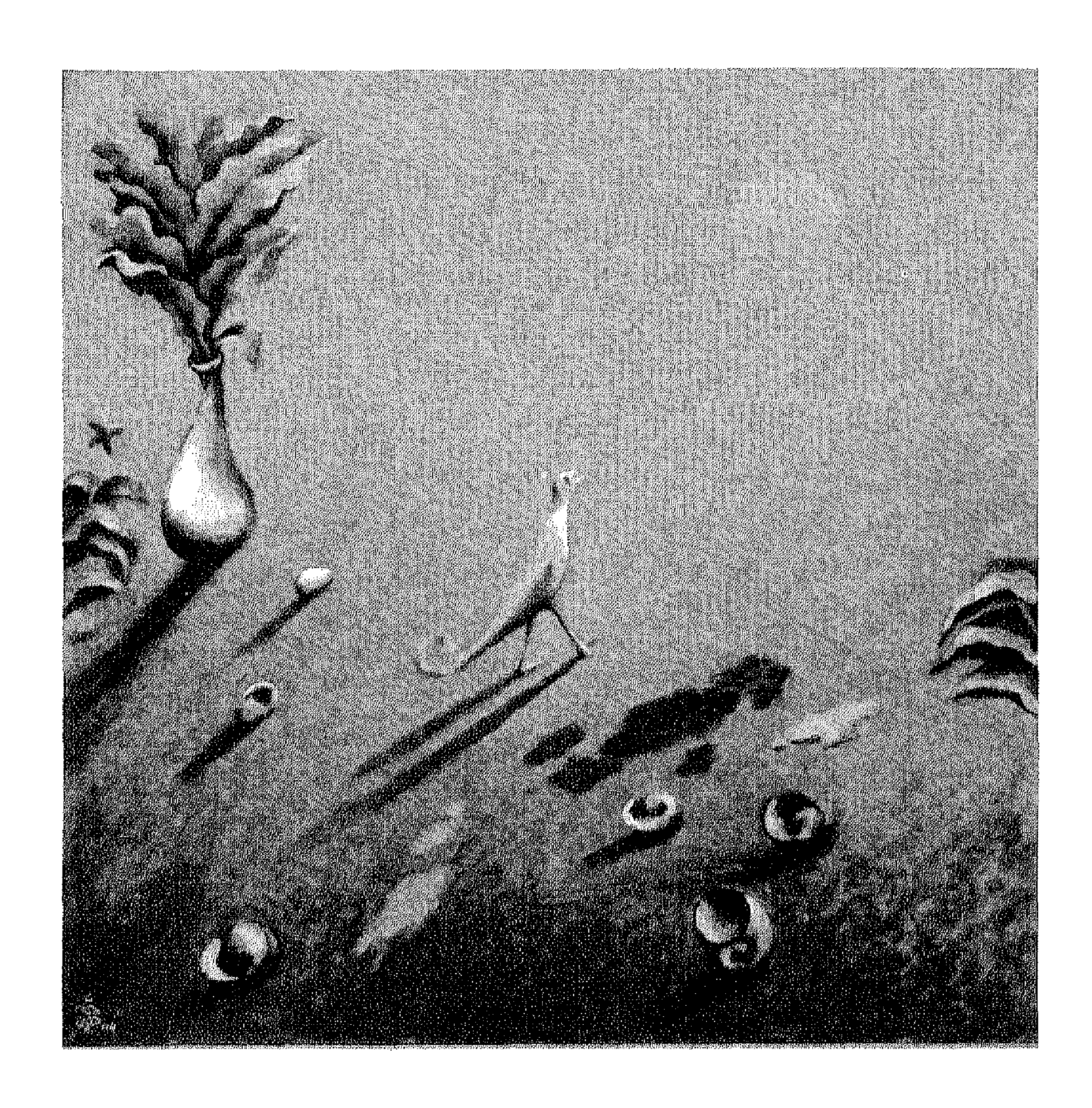
ظهر أمامهــا الأفق فجأة فغطـــى بحرملته المشـــهد بأكمله، صرخت الشـــمس مســـتنكرة، اندفعت إلى الأمام تريد أن تـــرى الرجل بأي ثمن، بالفعل نجحت في إزاحة الحرملة قليلاً، رأته، تناست كل ما حولها، حتى أنها لم تشـعر بالدماء التي سالت من معصميها، وانتشرت على الحرملة البنفسجية، والأفق يمسك معصميها بقوة ليوقفها عن تقدمها.

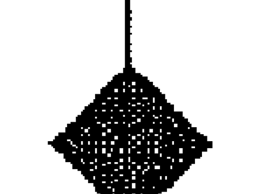
كان الرجل قد طأطأ رأسه ينظر إلى الأرض، انطلق من أعمق أعماقها نداء رجاء أن ينظر إليها، تمنت لو أنه سمعها، فهي لا تريد أكثر من نظرة أخيـــرة، قد ضعفت قواها، ونـــزف دمها بغزارة حتى غطى نصف الأفق، وأمســـى بمقدورها رؤية ملكة الليل وهي تأتي من بعـــيد، يرافـــقها عدد لا حصـــر له من خدمهـــا النجمي الخاص، الذي يتـــلألأ طوال وجودها حرصًا على خدمتها، وخدمة عشيقها المدعو بالفارس قمر.

ســـقطت ورقة تميـــل للون البرتقالي وقد انتشـــر على حوافها خضرة قديمة في حضن الرجل، أمسك بها، رفع رأسه ينظر إلى الشعاع الأخير من أشعة الشمس، عادت لتظهر بخفوت، وابتسم.

هنا ألغت الشـــمس مقاومتها واستسلمت بسكينة، ثم تراجعت بصمت وهي تبتســـم أيضًا، أما الرجل، فقد انتصب قائمًا، ووضع ورقة الشجر في جيبه، وابتعد عن الشجرة في خطوات ثابتة، مضى إلى أن غاب عن الأنظار.

نظـــر إليه الطائر الصغيـــر نظرة لامبالية، ثـــم زاد من فرش جناحيه علـــى صغيره ليضمهما إلى جســـده أكثر حيث الـــدفء والراحة، وظلت الســـنديانة كعادتها منذ عشرات الســـنين، تودع الأميرة شمس وتستقبل ملكة الليل.





تقلبات *

عهود بدر السالم

«واعجبي ممن ينزعج من نباح الكلاب
ولا ينفك هو عن النباح..»

عاد إلى المنزل.. بقوة أغلق بابه الحديدي، المزين بنقوشات ألوان الطيف الهادئة.. مظلم هو ذلك الإحساس الكدر، المنزلق بطريق متعرج الأطوار.. بصوت غليظ، أتى طلبه صارخًا بزوجته، «أحضري لي فنجان قهوة ساخنًا، أحضريها مُرّة.. أتفهمين؟!.. أريدها مُرّة.. ولأول مرة في حياتي، سأشربها مُرّة»، أرادها مرة، تمامًا مثلما هو يومه، أسود، مر، ممل.

روتينية الأعمال، لا تعطيك معنى الانطلاق، فالارتقاء بالأحاسيس، ينبع من النشوة، حيث تكون صحبة العمل، صداقات الأيام، لقاءات الصباح، وعتق الذكريات، أشبه بطعم العسل، لكن ليس هناك شيء من هذا، هنا بالتحديد، لا شيء سوى تلقي الأوامر من شخص وحيد السلطة، ومن ثم العمل والعمل والعمل.

---

* من مجموعة المؤلفة: من حيث تنتهي نبدأ.

دخل إلى غرفته، وقد استحوذ الغضب على أطراف جسده المرتجف، مترنحًا كالمخمور، يتمتم «تبًا لك أبو غازي، يالك من مدير جاف وعنيد، أود لو أوسعك ضربًا، حتى تعلم كيف تعامل مرءوسيك أيها المتسلط».

متثاقلاً قبل الارتخاء، حمل ثقل جسده من على الأرض، وجلس على الكرسي المواجه للنافذة، حيث أشعة الشمس الذهبية تتسابق للدخول عبر انثناءات تلك الستائر الحريرية، ببطء تتفس ليعيد لنفسه جزءًا من ارتياحه المسلوب طيلة عمل النهار، محملقًا بالسقف، متأملاً بالجدران، غائصًا في صمت اللوحات المعلقة، أخذ يسترجع ذكريات يومه العصيب.

هناك في أحد الانزواءات المكتبية، يرن الهاتف فيقطع حديثه مع راشد، يرفعه، فتأتي إجاباته سريعة قصيرة، «ألو، نعم، حسنًا، حسنًا، سآتي في الحال»، وبوجه علته ملامح التوتر، أقفل الهاتف، بتطفل، يأتي صوت راشد متسائلاً «ماذا هناك؟».

«إنها عواطف السكرتيرة، تقول إن أبا غازي يريد رؤيتي حالاً سأذهب وأستطلع الأمر، ومن بعد سنكمل حديثنا».

خرج من مكتبه، ليستقبله ذلك الممر الأزرق الطويل، المزين الجدارات، بصور لكويت الماضي، في نهاية الممر يفترق الطريق، يمينًا حيث المصعد ويسارًا حيث مكتب المدير مستأذنًا طلبا من السكرتيرة السماح له بالدخول، لحظات ويدخل على المدير.

أبو غازي، رجل أشيب الرأس واللحية، صارم القوانين، حاد المعاملة، صعب الإرضاء، عُرف بالتزامه بالمواعيد، وحبه لأن تكون شركته هي الأسبق دائمًا، ولأنه كان منهكًا بالعمل، لم يلحظ دخوله،

– عفوًا أبا غازي، لقد أمرت بطلبي.

– نعم، نعم، بشأن ذلك الطلب للإجازة الذي قدمته، أردت أن أخبرك بأنه تم رفض طلبك، وذلك لأننا بحاجة إلى كل فرد في هذه الشركة. فالطلبات تتزايد والعروض تتوالى، ولا بد من أن نكون نحن الأسبق في التنفيذ.

– لكن وما دخلي أنا بذلك؟ فغيابي لن يؤثر على الإنتاج العام، وإن

يكن، فراشد سيتولى جميع المهمات بالنيابة عني.

- لن أسمح لك، هذه أوامر الشركة، وسيلتزم بها الجميع على حد السواء.. ولن أعدل عن رأيي.. انتهى.

- ولكن يا أبا غازي.

- قلت انتهى، هيا اذهب وتابع عملك.

- لا لن أبرح مكاني حتى توافق على طلبي.. وإلا

- أتهددني يا هذا؟؟ كيف تجرؤ؟

- ومن أنت؟ أنت لست سوى مدير للشركة.

- اخرج من هنا.. هيا اخرج.

- لن أخرج حتى توافق على طلبي.

- لن أوافق، وأنت منذ اليوم مطرود، في الغد ستكون أوراق إنهاء خدماتك جاهزة، هيا اخرج من هنا، اخرج.

لحظات الصمت تطول، فارت الدماء في عروقه، وباندفاع الغضب المتناثر بحماس في شتى أنحاء جسده المنهك، أخذ يحطم ذكرياته الجميلة المعلقة على حائط الغرفة، دمر كل شيء جميل، طمس ملامح الماضي، بعثر الذكريات.

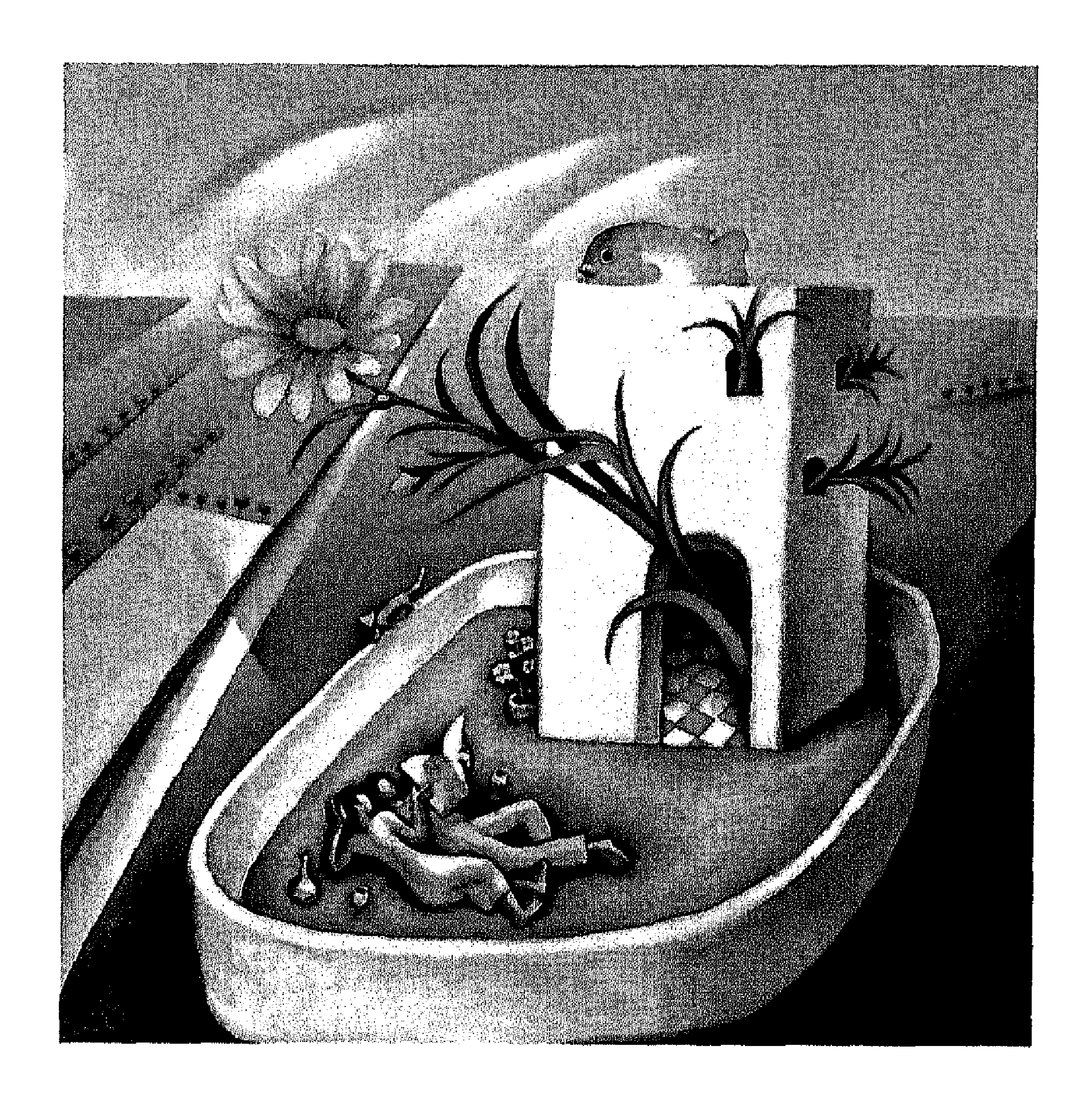
وبعد أن امتلأت أرجاء الغرفة بشظايا من الزجاج المحطم، تنفس الصعداء، ورمى القهوة في وجه زوجته، فتح الباب، ثم خرج.

أخذت بدورها، تلملم بقايا الزجاج المتناثر في كل مكان، ذهبت إلى من ترجوه أن يصلح لها ما كسر من ذكرياتها، وما حطم من الماضي.

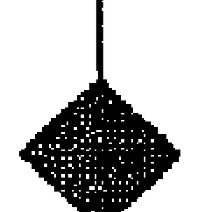
ويرجع لها ولو القليل القليل من ذلك الماضي الجميل، ثم عادت إلى المنزل، رتبت كل شيء، وأعادت الأوضاع إلى طبيعتها، فهي تعلم كم هو منظم ويحب الترتيب، وكم يثور لو اختلت مزاجية التناسق، المنظم على أسس حسية مرهفة الجانب، علقت اللوحات، أعادت صور الذكريات إلى مكانها لترقد بسلام، ومن ثم، جلست تنتظر عودة زوجها.

بعد أن انتصف الليل، فتح الباب، ودخل بوجه حاول أن يخفي ألمه، متواريًا بابتسامة شبه ميتة، من ظمأ السعادة، مرتطمًا بكآبة الموقف، مدرجًا تحت الخسارة بانحناءات العبوس السوداء، لكنه أخيرًا قرر أن

يمضي، اتجه إلى غرفته ونظر إلى كل شـــيء من حوله، تأمل، سكن، غاص في الصمت، عقد حاجبيه، تأفف، ثم نهرها بشــدة، لأن إحدى اللوحات كانت مائلة قليلاً!

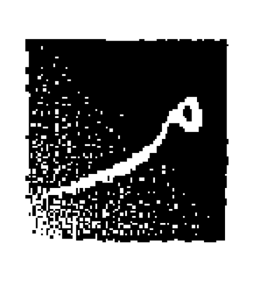


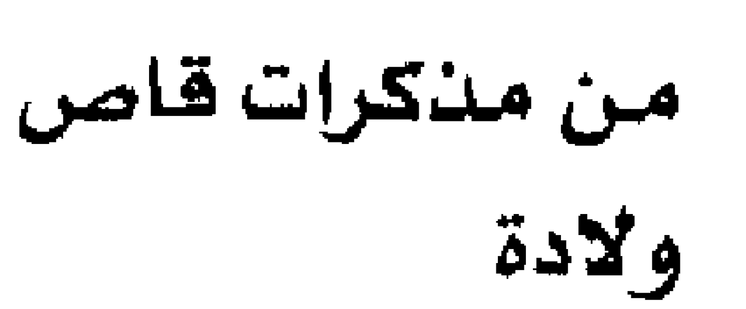




عالم بلا عيون *

هيفاء السنعوسي





من مذكرات قاص
ولادة

جلستُ لأكتب شيئا...
نداءات هنا... ونداءات هناك.
شخوص قريبة أراها بوضوح...
وشخوص بعيدة لا أستطيع تمييز ملامحها.
أشعر بالعطش الشديد.. وبالتعاطف الغريب مع واحد من هذه الشخوص.
أعرف ما أفعل الآن...نعم أعرف..
إنني...
أنسج خيوط قصة جديدة لم أختر لها اسما بعد.
ربما لأنني لم أنته منها...
أو ربما لأنني لم أبدأ بعد.
تتساقط بعض الأفكار من عقلي...الواحدة تلو الأخرى...

---

* من مجموعة المؤلفة: رحيل البحر.

اختناق

أحاول التـــقاطها مرة أخرى..تـــنزلق... فلا أستطيـــع أن أمسك بـها...لا أستطيع.
أشعر بتوتر شديد...
يكاد يخنقني...
أخيرا...
وُلِدَت نجمةٌ في مكان ما في عقلي.
جاءت لتدفن عتمة أرادت أن تنبت في بيتي.
ولكنها...
تبدو لي نجمة تائهة... لا تعرف طريقها... أو ربما نجمة خرساء
لا أستطيع التعبير عمّا تريد.
صراخ صغيري يزعجني...
بكاؤه يخفي أشياء كثيرة...
هل يمكن أن يتوقف صراخه؟
...وجدتني أقول:
(هدوء...أحتاج إلى هدوء...
لا أستطيع الكتابة...
لا أستطيع الكتابة...)
خيوط القصة تتبعثر...
محاولة إجهاض...

كوب شاي

أحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه...
قلبي حزين...طارت... ولدت فكرة وطارت.
إلى سماء لا يمكن التحليق فيها..
أصرخ لأقتل جزءا من توتري:
(أمينة...كوب شاي بدون سكر...بسرعة من فضلك)
لم أتعرف بعد على الصورة المدفونة في أعماقي...
مدينة صاخبة بالحياة...الألوان...الأصوات...الحركة الكثيفة...

ضوء...ظلمة...ضوء ظلمة...
أستيقظ من عالمي على صوت زوجتي أمينة :
(الشاي يا حبيبي)
تغلق حجرة مكتبي ، وتغادر بعد أن ودعتني بابتسامة أعرف تفاصيلها جيدا.
هل أستطيع أن أزرع فكرتي التي ضاعت؟
هل أستطيع أن أجمع خيوطها من جديد؟
أبحث عن وجهها الذي اختفى...
أحاول أن أتلمس أجنحة حلقت بها...

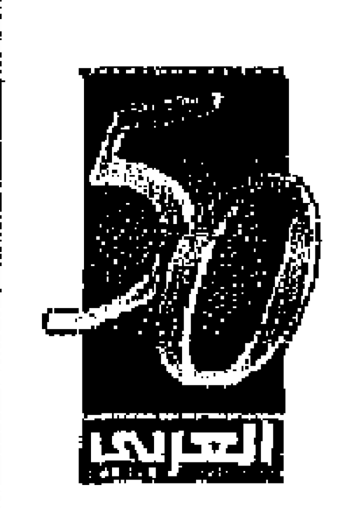
رصاصة الموت

لا أريد أن أرثيها...
لا...لم تمت.
...لم تمت...
هل...؟
سأغفو على الكرسي... سأسند رأسي للخلف...وأغمض عيني..
لعلي أشاهدها طيفا فأصطادها مرة أخرى...
هل أنا من يصطادها أم أنها تصطادني...؟
لا أعرف.
آه...لقد تذكرت الآن.
إنه حسد...
حسد سليمان... زميلي في العمل. لقد أمطر لوحتي عن بعد...أمطرها برصاصات الموت.
لطالما سألني :
(كيف أصبحت كاتبا مشهورا ؟ هل يمكن أن أكون كاتبا مشهورا مثلك؟)
كنت أقول :
(الكتابة موهبة...شيء تولد معه توأما ...لا يمكنك أن تلده)
يرد عليّ ساخرا :
(أتظنّ نفسك فيلسوفا ...؟ أتوهمني بأنك عبقري؟ ونحن أغبياء؟ هل تصنع المستحيل؟)
أركز قليلا...

أتخيل...أغيب في فضاء مظلم...
لم أعد أرى الألوان...لم أعد أسمع الأصوات...
أين اللوحة المرسومة في ذاكرتي؟

الغيث

أغفو...
أشهد لحظة غريبة بين الواقع والخيال...
الغيث قادم...قادم...قادم.
أجد نفسي في صحراء لم تعرف طعم الأمطار...
ولكنني عازم على بناء مدينتي فيها.
سأضع بذوري...وسأسقيها من دموعي...
سأسمعها لحن حزني...ولحن سعادتي...
سأبلل الرمال بالماء...
سأبتهل إلى الله كي تضيء النجوم عتمة الصحراء... وكي يأتي الغيث.
ألمح أجنحة...ألمح قمرا.
أسمع أصواتاً...أرى ألواناً...
ها هو ذا بطلي العائد من الفضاء البعيد...
يمتطي فرسا...
أسمع صوته يعلو...
أرى الحقول الخضراء...
أين الصحراء؟
المطر غزير... لقد وجد طريقه إلى مدينتي.
أفتح عيني
أكتب...
أكتب...
أضع القلم...
يتضخم العنوان:
(عالم بلا عيون)
أسمع صراخ صغيري مرة أخرى...
أبتسم هذه المرة:
(أمينة...أمينة... تعالى وأحضري معك الشقي خالد).





كريستال *

خالد الحربي

يا إلهي! الجو في هذا العام أشد برودة وصقيعًا من السنوات المنصرمة، وقد تكون الأشهر القادمة أكثر تجمّدًا، كيف لي أن أحتمي بالدفء أو التمتع بأوقات ساطعة؟ وشريك حياتي غير موجود معي، بالطبع... رحل عني، فقدت صوته الخشن الممزوج بالحنان، تلك النبرة التي تشعرني بأني سيدة أختلف عن بقية النساء، حتى ابتسامته المشرقة من ثغره الباسم، التي كانت تحلق بي إلى آخر مكان في العالم، وكأنني كنت أطير معه وبرفقتنا النجوم والكواكب البرّاقة، لم تبق سوى الذكريات المميزة، تشاركني عتمة داري وأيضًا، عتمة خافقي المتلهف للحظات في غاية الروعة.

هل تعلم يا حبيبي؟ وأنا أمسك ببرواز صورتك أحدق بها بعمق، سقطت دمعة ساخنة، خالية من كحل سهراتنا المثيرة، دموع مالحة تخالط شفتي، تذوقت طعمها، كانت أشد من ملوحة مياه البحار، مازلت أتأمل ملامحك التي لم ولن تفارق حتى منامي.

---

* من مجموعة المؤلف: خطفت نفسي.

انظـــر... هاهي دموعي تتســـاقط على بروازك الحزيـــن، إنها كفيلة بتضييق الخناق على رقبتي ولا أســـتطيع فعل أي شـــيء حيال ذلك، إنها كفيلـــة بأن تدع القلب يدمي كي أجهش ببكاء صامت لا تســـمعه ســـوى السماء.

أغمضت عينـــيّ، لاحت في مخيلتي أفكار ملونة عندما أطلقت العنان لعقلي عائدًا إلى الوراء، حينما قابلتك في ذلك المســـاء الباهر، تنظر إلي وأنـــا أبادلك تلك النظرات التي تحبس الأنفـــاس، وأصوات العزف على أوتار وآلات العشـــق الوردي، تصدح في أرجاء ذلك المكان الرائع، أتذكر عندما سمعت طلبك الجريء والغريب، قائلاً لي بلباقة عظيمة:

– حتى أكون صريحًا معك، معجب بك لدرجة لا أستطيع وصفها لك، لا أريد منك ســـوى قبولي زوجًا يشاركك أفراحك وأحزانك، وأتمنى من صميم قلبي، عدم وجود لحظة بائسة أو يائسة في حياتك الجميلة.

– عفوًا يا سيدي، لم نلتق أبدًا من قبل؟ وتطلب مني الزواج.

– لا يهم، مع مرور الوقت، ستعرفينني جيدًا، سأكون رجلاً مخلصًا لك أبد الدهر، ســـتجدينني معك في كل ليلة دافئة، أطبع على جبينك قبلة بيضاء، تأخذك إلى عالم آخر وبعيد.

حينها، أحسســـت بأنك رجل رومانســـي، لا أدري كيف أحببتك هكذا بســـرعة، وافقت عليك دون أن تكون هنالك أي علاقة مســـبقة، يبدو أن رئتي كانتا بحاجة إلى أنفاس رجل ما، شـــخص يبعدني عن ســـنة الغربة والانغمـــاس بحياتي العلمية، معك أزهرت حقول الورد في صدري الذي لم ير لحظة توهج.

أجـــل يا حبيبـــي الأوحد، لم أرفضك لأنك أول رجل يهز ســـرير قلبي بهدوء ووداعة، وكأنني حينها مولودة أتت إلى الدنيا قبل دقائق.

موضوعات وأمور كثرة تتقاذف وترتطم برأسي، جزء منها رائع والجزء الآخر غريب، عندما تزوجتك، لم تجرحني ولو بكلمة صغيرة، أعلم بأنك كنت تحبني وبشـــكل غير طبيعي. لقد شـــعرت بك وبقوتك، كنت تختلف عـــن بقية الرجال، وذلك من خلال ما أســـمعه من حكايات صديقاتي أو قصص المحاكم القاســـية التي تكتب فـــي الصحف اليومية، عدم مبالاة، برود عاطفي من الطرفين،خيانات سوداء وبيضاء، و... و... و...

بصدقك ورجولتك الحقيقية، جعلتني أنتشي بعطرك المميز، حتى هذه الساعة الصعبة من عمري لم تفارق أنفي.

بالفعل، لقد مزقت أوراق تعبي ولم تكتب في قاموس حياتي أي شـــيء يؤذيني، لقد نجحت باقتلاع شجرة الحزن من جذورها.

أجمل إحســـاس غمرتنـــي به، عندما كنـــت تفاجئني بأفـكار مذهلة ورومانسية، تارة في عيد ميلادي وتارة أخرى في عيد زواجنا، حتى وإن لم تكن هنالك أي مناســبة عزيزة علينـا، أو أي أمر يذكر نهائيًا، مازال مشهدك وأنت تلوح بيدك بباقة من الورود ذات الألوان المختلفة. أعترف وبكامل قواي العقلية وسلامة فؤادي الممتلئ بالشجن، لا أريد منك سوى ذلك، ولا رغبة لي في الهرب من بين ذراعيك، أريد التشـــبث بقميصك، أغرس أناملي بصدرك، كما الآن وأنا أتشبث ببروازك الذي أعادني إلى الماضي غير البعيد.

آآه...

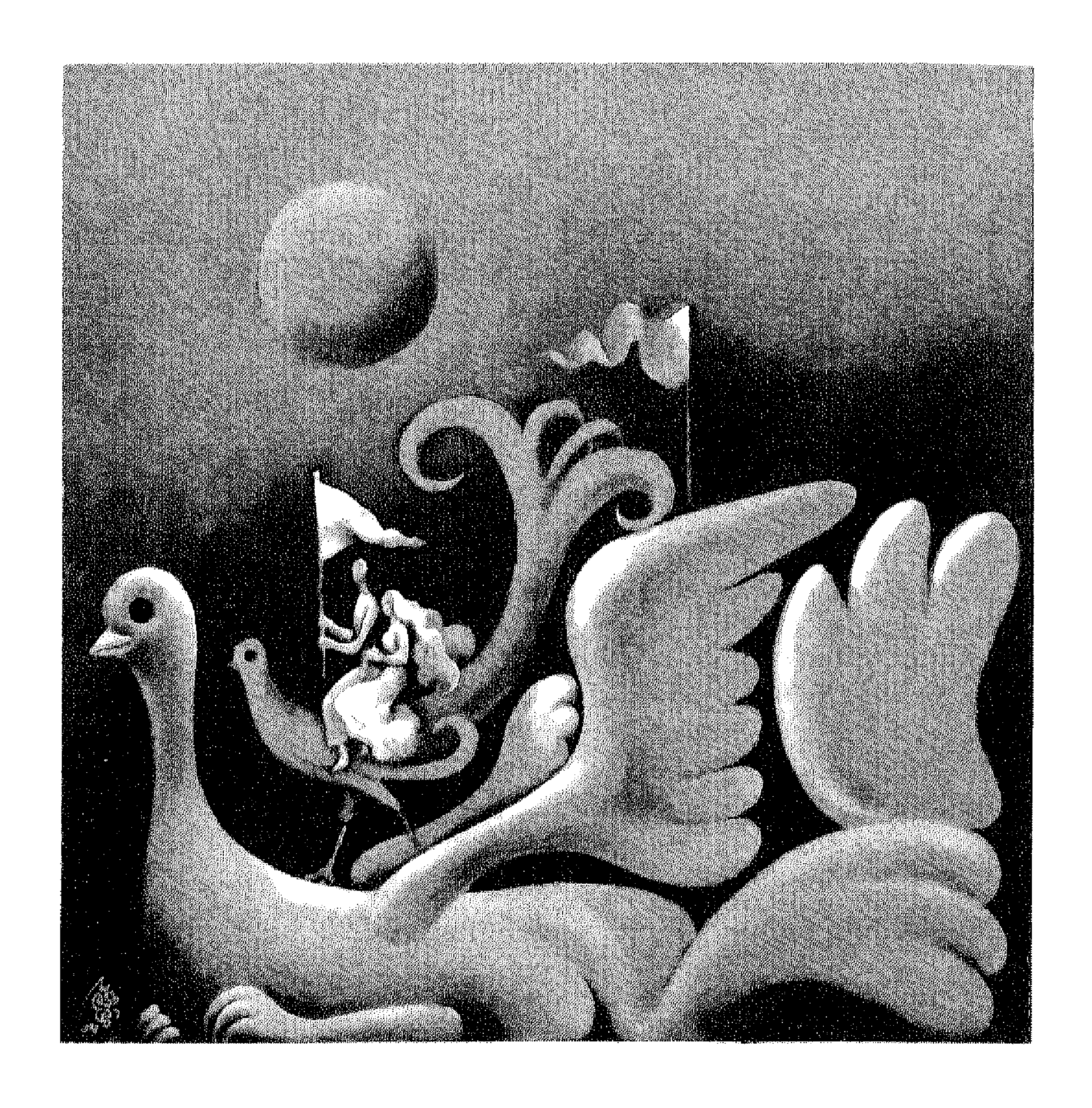
لأول مرة في حياتي كامرأة ذاقت طعم الســعادة يومًا، أشــعر ببرودة قارســة تجتاح جســدي النحيل، إنها تزحف وتقترب مــن قلبي، جميع أطرافـــي ترتجــف، أحتاجك كي تشـعل من حولي نيــران حبك العتيق، بالفعل أريد ذلك، المزيد والمزيد من الحب والأشواق المتأججة، إني تواقة لزمنك الرومانسي، أرجوك يا رفيق دربي، أسمعني أحلى الكلمات، أريد الشهيق وأنا مرمية فوق أحضانك الساحرة، فأنت الإنسان الوحيد الذي فهمني دون تعب أو ملل.

يـا إلهي، حتى تلك الأغنية التي كنا نســمعها معًا، وهي تداعب أزهار النرجس المدفونة في دهاليز صدري، هاهي تزهر ثانية، اسمع.

(اشـــتقت إليك فعلمني ألا أشتاق، علّمني كيف أقص جذور هواك من الأعماق).

أجل.

إني مشـــتاقة ومتلهفة لوضع رأســـي بجانب وسادتك، أبكي حتى بزوغ الشمس ولكن، جسدي لايزال باردًا، والرغبة أقوى مني.







ورقة *

يحيى طالب علي

١ الساعة الخامسة والنصف صباحًا

خرج وهو يبلــع ريقه محاولاً القضاء علــى الضغط المزعج على أذنه، ويبحث في حقيبته عن علكة لعلها تنفع كما قرأ في إحدى المجلات على مــتن الطائرة. خرج بهدوء وقبل ركاب الدرجة الســياحية، ومازال يرمــق بين الفينة والأخرى ذلك الطفل وأمه، وهو يشــعر بالغضب أن لا قدرة له على تحويل نظره عن الأم وطفلها. وغضب من أنه غضب لسبب تافه.

ودعته المضيفة بابتســامة هادئة وكلمات مألوفة، مضى على ســماعه لها ســنين طويلة. جر حقيبته على أرضية الممر، ولكنه قرر حملها، فلقد أزعجه صوت العجلات على الأرضية المطاطية.

لا أحــد ينظر إليه، وهو ينظر في وجوههــم جميعًا. ويحاول أن يقرأ في وجوههم قصة حياة كل منهم. هذا الأشــقر يعمل في شــركة النفط، من الواضح أنها ليســت المرة الأولى التي يأتــي فيها إلى الكويت. وهذه

---

* نشرت في مجلة «البيان» الكويتية عدد ٨٢٤ شهر مارس ٢٠٠٦.

السمراء لعلها تعمل في الجيش الأمريكي فهي أقرب إلى الرجال في مشيها منها إلى النساء. ولعل هذا رجل أعمال، فهو يبتسم في وجه كل من يعمل في السوق الحرة ويمازحهم، فهو إذن يمر من هنا كثيرًا. وارتسمت على وجهه ملامح ابتسامة تحاول أن تخفي ذكرى غريبة ورأى الأم وطفلها مرة أخرى: أمه تجره بعنف وهو يتوسل إليها أن تشتري له تلك اللعبة.

يقشعر لسماع النداء الأخير على الرغم أن لا علاقة له بالرحلة أو ركابها، ولكن العلم بأن هنالك من هم على وشك أن لا يلحقوا بموعد رحلتهم يشعره بالقلق والأسى. ويمشي بخطوات بطيئة متعبة حذرة نحو موظف الجوازات. وذلك الممر الرخامي اللامع البعيد يزعجه، يشعر وكأن قدمه تزل فيقع ويضحك عليه عمال النظافة.

«حمدا لله على السلامة.. تفضل»

الساعة السادسة والنصف صباحًا

جلس في ستاربكس يحتسي قهوته المفضلة وينظر في وجوه الخارجين من بوابة القادمين. ابتسم ساخرًا من تلك العائلة الكبيرة التي أتت لتستقبل ابنها القادم من الولايات المتحدة بالورود والهدايا.

نظر إلى ساعته وترك المارلبورو وعلى الطاولة وقام باتجاه البوابة وهو يعاين بانبهار خافت مبنى المطار الجديد ورأى شيخًا كبيرًا صامتًا ووحيدًا وكأنه بانتظار شخص ما، وأخيرًا حول الشيخ نظره إلى عينيه، فتظاهر بأنه كان ينظر إلى الإعلان الذي خلفه. جال بنظره يمنة ويسرة باحثًا عن سيارات التاكسي البرتقالية. ولكنه اكتشف في لحظات أن ألوان التاكسي تغيرت إلى الأبيض والأخضر.

«وعليكم السلام.. وين؟»

الساعة السابعة والنصف صباحًا

بدا المكان مألوفًا. قلبه ينبض بشدة. وتتسارع أمام عينيه صورة أمه وهي تبكي وتضحك لعودته، يرى أخته تركض لتحتضنه. ويرى أباه واقفًا في الخلف يبتسم متصنعًا كيلا يظهر عواطفه الجياشة أمام من يرون فيه مثال الرجل الصلب. وتيقن أنه لن يرى أخاه الأكبر إلا بعد أن يستيقظ قبيل صلاة الظهر.

«أي شارع؟»

بدأ يبحث عن السدرة التي كانت في طرف الشارع حيث كان سكنه. وكادت نبضات قلبه تمزق قميصه الأبيض. وسرت في أوصاله فجأة برودة مرعبة واقشعر كأنه سمع صوت النداء الأخير. ونظر إلى الخلف.

«بس. هنيه» وصمت وشفتاه ترجفان من شعور غريب اعتراه. وعاد طفلاً، وتلك اللحظة عندما وقف في السوق يعاين من خلف جدار زجاجي سميك لعبة لطالما حلم بامتلاكها. تجمدت أوصاله وهو يمد يده إلى محفظته وهو يهمس: «هنيه؟».

«خمسة دنانير»

أنزل حقائبه وهو ينظر إلى آخر الشارع معايناً السيارات الواقفة أمام البيوت. وقف بجانب حقائبه وأخذ ينظر إلى ساعته وإلى سيارة التاكسي تختفي بين الأشجار على جانبي الطريق.ترك حقائبه ونبضات قلبه تهز بقوتها أطرافه. تذكر أنه كان يبحث عن أمه بعدما استفاق من حلم امتلاك اللعبة يعاين وجوه النساء في السوق، ومشى إلى آخر الشارع وعيناه تبحثان بين لوحات السيارات عن أرقام مألوفة، ويرمق حقائبه كل حين. وقف مجهداً أمام شيخ كبير - صامت ووحيد - يجلس على كرسي في حديقة أمام منزل. وشعر ببرد يهز أوصاله وهو يسأل عجوزاً في السوق عن أمه ببراءة: «ما شفتي أمي»؟

«كان في... في سدرة بأول الشارع...» وأشار بيده متفائلا أن يفاجئه الشيخ بإجابة ترد إليه الأمل، وحاول ألا ينظر في عيني الشيخ التي عصرها البرد القارس. وتذكر فجأة أنه عاش لحظات سعيدة بحلم امتلاك اللعبة، ولكنه عندما التفت ليطلب من أمه شراءها، تجمدت أوصاله، يبكي وهو يخطر بحذر في زحمة السوق. ويخنق صوته الخوف من الضياع «يمه؟ يمه؟ يمه؟».

قام الشيخ من كرسيه البلاستيكي واقترب منه بخطوات بطيئة ويديه خلف ظهره وهو ينظر إلى أول الشارع حيث يشير.

أما العجوز التي سألها في السوق فابتسمت وقبلته على جبينه البارد، فعاد إليه دفء الحنان وأشارت بيدها السمراء الضعيفة إلى طرف السوق حيث المصاعد، فكانت أمه.

***

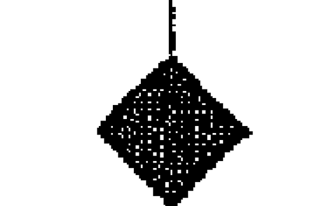
وأما شجرة السدرة قرب مهبط الطائرات.

تقع وبعنف.. ورقة من أوراقها.

أوراق السدرة تسقط حية على الأرض كلما هبطت طائرة في مهبط المطار. وكلما سقطت ورقة، تبرد الشمس. تبرد شمس بلاد لا تعرف الظل.

...

ليت قصص الأشجار تنتهي



كفاف *

أفراح فهد الهندال

لكل شجرة تخبئ حكاية مضمرة في جذورها.

أطلّ على تلك السدرة، وأجزم بالحكاية التي لاحقت آثار جرحها، بقعة بقعة!

أذرع الطريق بالذكريات: حين همس «أشجار السدر لا تقلع»، حَفرَ الأرض بأظفاره، غرسها، ثم غاب، إلا من ابتسامة فيها طمأنينة الأرواح المرضية في عروجها، وهمسة تكرّر: «لا تقلع»!

ترك العتبة وجوانب الباب بمربعاتنا ورسومنا الطباشيرية شاهدا على لحظة الأفول.

وحتى اليوم، بعد تغضّن الأرض وامتداد السدرة بحنو مشرعة أذرعها لاحتضان الدار، لم أصدق أنه أوحد هذه العجوز الحنون!

لم ألمحها مرة بغير ثوبها الأسود، وجهها الموسوم بالكوبة(١) وشعيراتها البيضاء الآبقة(٢) من تحت شالها.

كان بيتها دومًا محجّة الأطفال، لي وأقراني فيما مضى، ولأبنائنا اليوم!

---

* نشرت في مجلة «البيان» الكويتية عدد ٤٢٩، أبريل ٢٠٠٦

كسرب دوري يهبّون إلى بيتها، يدخلون تباعا بشغف ولعاب يسيل، كفّها منذورة لأناملهم الصغيرة، تبسطها كل البسط، يتلقفون منها السكاكر والحلوى وابتسامات تتأرجح بأجنحة من نور.

تضم كفيها على فراشات سعادتهم، توصلهم لباب الدار، ثم تفردهما حيث ينطلق السرب، ترنو طويلا إلى تلك الشجرة، تطلق دعاء في السماء، ثم تدخل.

لست أدري إن كانت لاتزال تؤدي طقوس استحضاره التي كنت أزعمها.

بدعك حبّات النبق وشمّها طويلا؟ كنت أذكر بها طيبته، وكانت تبتسم طويلا لما تتذكّر منه! ثم تقبّل ركبتيّ دامعة.

تسعف الحنين مطالعتها كل يوم، وأفتقدها في اليوم الذي يغيّبها.

كما الأمس!

أسراب «الدوري» تنقر بابها بلا جواب.

وأكاد أقسم أن شجرة السّدر ألقت بكل ثمار الذي تحمل، الأطفال يجمعونه ويرحلون بأسى.

يتبعهم جارنا بخواره..!

طالما كان هذا الجار محط نقمات كركرات الساحة التي يزجرها.

ألم يدرك بعدُ أنّنا مهّدنا لأطفالنا طريقًا تمر بالرمل والسّدرة وعتبتنا والطباشير وراحات عجوزنا الحبيبة، نرفض أن يقطعها بمواعظه القسرية؟

لنا الدرب إذ نمشي حفاة، ولنا كعوبنا المتشققة، ولنا عالمنا.

من سلّطه ليكبلنا بأحذية مهمتها حبس خطواتنا عن الانطلاق، ألم يدر أننا ننتمي للأرض، للـ «مُقصي»، حين نكون حفاة؟

ألم يدرك اليوم أن السّدرة تمتد لهم؟

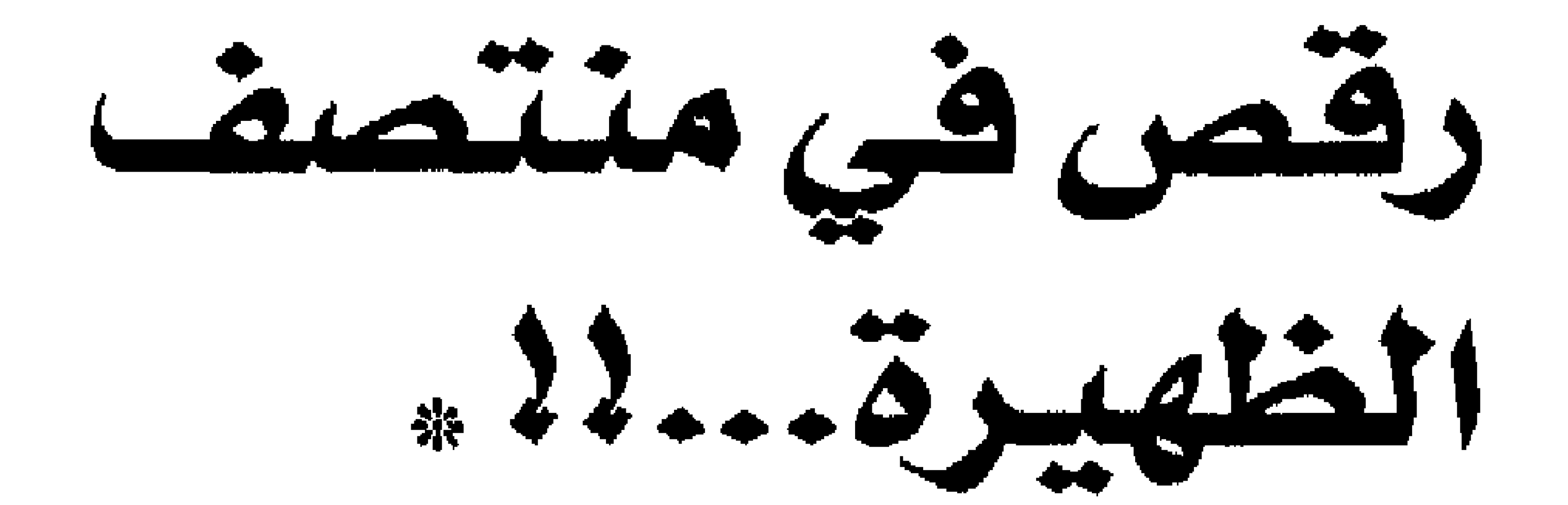
مسعورٌ حين ندّد بها.

مجنون أن خشي أن مرور الأطفال سيخدش سيّارته! أن النبق سيتساقط متلفًا إياها! وليتها رجمت صوته الأجش حين ندّد: «تحذيرٌ أخير.. الأخير!!».

كانت تتمسّح بتلابيب ثيابه، ترجوه، لم أسمع نشيجها، كان خفوت

وشديد اللوعة بذات الوقت!
- سيتلفون سيارتي.. ألا تفهمين؟!
تناهت إليّ رجواها: سعادتهم مئونتي.. ومرورهم كفاف يومي.. أرجوك!
- ستدفعين الثمن غاليًا.. سترين..!
تركها بقلبها المكلوم، راكعة قرب شجرة السدر، تتوجه إلى السماء، لم أحرّك ساكنًا، مذ ركضت بعيدًا عنه محتميا بكفيّ منذ سنين، لم ألاقه وجهي بعد!
ومذ اعترضتني مصيدة العصافير التي لغمها، وأطبقت على قدمي نافئة قبحها، تنثر النبق من كفي، وخطواتي.. زمّت (الغرغرينا) طلاقتها، فما برحت داري!
غابت الأمس، واليوم، صوت شاحنة ولولة يفزع النهار.
هل تمكّن من ترحيلها؟!
الزمن النامي في المكان، رائحة التراب وجنى السدرة، والهمسة، تزحف جميعًا في أطرافي، تنفضني.
ويلٌ من شواهد لن تغفر لنا حتى تقبرنا في زمن اللامبالاة والخيانة حدّ السماح للأرض بأن توأد!
أدفع الكرسيّ إلحاحًا، قد تنفع الصرخة الغضبى، أهمّ بالبروز من النافذة، وألمحها! سلاحي المهترئ، ما له جدوى الجذور الممتدة وفاءً!!
الشاحنة متهالكة، ترفع جذع السدرة الثقيل عن السدرة الثقيل عن سقف سيارة الجار المحطّم تمامًا! دون طقوس، تراودني رائحة النبق وهمسة ملوّحة: «لا تُقلع، وتكفي..».
(١) الكوبة: الحسرة على ما فات.
(٢) الآبقة: الآبق هو العبد الهارب من سيده.





رقص في منتصف الظهيرة...!! *

فهد توفيق الهندال

جحظت عيناه فجأة، ولم يكمل شـــرب كوب الحليب، وكأن الهواء دفع بالحليب لخارج جوفه، وسط سعال مفاجئ ومخيف..!

انتبهت زوجته، وفزع أحاط عينيها، ولم تكمل هي الأخرى شـــرب كوب الحليب.

- عزيزي... مابك؟ هل ألم بك شيء؟؟ جاوبني عزيزي!

لم يجب... وأشـــار بيده اليسرى ناحية الصحيفة، ودون كلام من كثرة السعال.

- هل حدث مكروه لأحد أقربائنا... أبوك... أمك.. أخوتك... أبي... أمي... أحد إخوتي.

وبعد أن استرد أنفاسه.

- لم يحدث لهم مكروه... يسعل مرة أخرى.

تحاول أن تخفف عنه السعال، بالتهوية أمام وجهه.

- ما الذي قرأته ليحدث هذا بك...!؟

---

* نشرت في جريدة «الراي» الكويتية في يوم ٢٠٠٧/٣/٢٧.

بعد شهيق طويل.

- إنه خبر ترقية، وأشار للصحيفة ثانية.

بحنان عميق، يخالجه عتب.

- آه يا عزيزي... لقد أرعبتني، حسبت أن أمرًا خطيرًا قد أصابك أو أصاب أحد أقربائنا، تجلس، وتمسك كوب الحليب ثانية.

- ترقية من يا عزيزي؟

- إنه خبر ترقية صديقي العزيز.... طارق.

- (بدهشة) طارق الذي يدرس الآن في الولايات المتحدة؟

- لم يكمل دراسته لسبب لا أعلمه، وقد عاد لعمله قبل أسابيع.

ينظر جهة الصحيفة مرة أخرى.

- الحقيقة يستحق هذه الترقية. فهو أفضل من غيره. أولئك الذين يصلون للمناصب والترقيات دون أي كفاءة أو استحقاق. في حين أن المخلصين، هم دائمًا مظلومون. صمت، وكأنه تذكر أمرًا يجثم على صدره.

- (بكل حنان وتخفيف من غضبه) آه يا عزيزي... كان ذلك في الماضي، أرجو ألا تعود إليه مرة أخرى، لقد قدمت كل ما بوسعك، ولم تبخل على عملك بأي مجهود أو إخلاص.

كان صاحبنا هذا موظفًا في المؤسسة نفسها التي يعمل بها صديقه العزيز طارق، وقد أحيل للتقاعد بعد عشرين عامًا من الخدمة، لسبب ما، أحيل للتقاعد مبكرًا.

ينظر جهة زوجته:

- لقد انتهى ذلك الأمر يا عزيزتي، ولن أعود إليه، إلا متذكرًا ما قد علق من اللحظات السعيدة فقط.

تخفي عواطفها وألمها الداخلي لحال زوجها:

- يا عزيزي، لقد أقيم لك أفضل احتفال تقدير تشهده المؤسسة عرفانًا لإخلاصك وجهدك في بناء المؤسسة.

«احتفال حقير، عبروا به عن سعادتهم لخروجي من مؤسستهم، ولبقائهم وحدهم دون منافس أو مهدد لكيانهم، وكيان من خلفهم»، ينظر جهة زوجته، ليخرج عن احتراقه الداخلي:

- صحيح، ياله من احتفال تقدير.
يلقي الصحيفة على الكرسي المجاور للطاولة.
- هــل تعلمين أنه من الواجــب أن أبادر بتهنئتــه لترقيته كمدير عام للمؤسســة، سوف أزوره غدًا في بيته. (يصمت ويفكر) بل أزوره الآن في مقر عمله، بمكتبه الجديد، لأكون أول من يهنئه ويحذره.
- (مستغربة) تحذره... ممن؟!
ينظر جهة الصحيفة:
- منهم... من أولئك الراقصين؟!
- (بنعومــة عطوفة) يــا عزيزي.. التهنئة واجبــة، والتحذير نصيحة، ولكن لتبدأ بالتهنئة، ولتؤخر النصيحة.
يتظاهر بالهدوء وصدره لايزال يرتفع ويهبط تحت قميصه:
- صدقت... النصيحة... ليس الآن وقتها.

***

ذهب لمكتبه... صومعته التي يستأنس فيها للقراءة، ويحاور ما فيها من الكتب، إلا أن هاجس الخبر، لاحقه هناك:
«يجــب أن أحذره قبل التهنئــة، نعم، أحذره منهم، هــؤلاء المنافقون، الدجالون، ماسحو الأجواخ، الراقصون، حانت نهايتهم بعد هذا الانتظار الطويل».
يأخذ سماعة الهاتف ويطلب رقمًا في ذاكرته دائمًا، رقم طارق.
يرن الهاتف دون جواب.
«ربما ذهب لمكتبه الجديد مبكرًا».

***

صباح اليوم التالي، تجسد ظل عملاق على سطح حوض الزهور الكبير الواقع في قلب حديقته الصغيرة، مشروع تقاعده الوحيد، ركب سيارته، والأفكار تلبســه، كثيابه الفاتحة، تعتمر رأسه الأبيض، أفكار اللقاء الأول مع الصديق المدير:
«كيــف أبدأ حديثي معــه، أهنئه أولا، أم أحــذره، لا، بل أهنئه بزهور القرنفــل أولاً، ثم أخبره بما أريده، (يفكر)، لا، أحذره أولاً ثم أهنئه، نعم هــذا واجب الصديق تجاه صديقه، (يفكر ثانيــة)، لا... لا... بل أجلس

معه وأهنئه، وأؤكد له أنه يستحق المنصب والترقية، وأنه أهلاً لها، ثم... أنصحه، نعم هكذا يكون!».

***

يصل المؤسسة، ويدخل بوابتها الكبيرة.

يتذكر أمرًا، فيضحك، ولسانه يقول:

«أتمنى رؤية المسئول السابق، (بغضب نفسي) أحمق وأبله».

يدخل مركز الاستقبال، ويقابله الموظف:

– أهلا أستاذ صالح، أي بشرى سعيدة جعلتك تزورنا اليوم بعد سنوات من تقاعدك؟

– (بسعادة غامرة) إنها بالفعل بشرى سعيدة.

يبدل هويته الشخصية، بهوية الضيوف، يتجه إلى جهة المصعد، وإذا بصوت موظف الاستقبال:

– بماذا تأمرنا أستاذ صالح؟

– أريد مقابلة طارق، أقصد السيد المدير العام.

– السيد المدير العام، لديه اجتماع طويل اليوم، ربما يستكمل غدًا أيضًا، من الأفضل أن تأخذ موعدًا من السكرتارية.

– ولكنني أريد مقابلته فقط للتهنئة.

شعر الموظف بنبرة إصرار في صوت صالح:

– في هذه الحال، انتظر حتى أجري مكالمة مع السكرتارية، تفضل هنا، ريثما آخذ الرد.

يهمس صالح في نفسه:

« لا يهم، انتظر اليوم».

– أستاذ صالح – يناديه موظف الاستقبال – تفضل مكتب السكرتارية يطلبك.

ترك مكانه، وطلب رؤية طارق، إلا أن السكرتارية أخبرته بأن ذلك غير ممكن اليوم، ويمكن بعد أسبوع، فاستشاط غضبًا، وترك هدوءه:

– أخبري المدير أنني صالح، صديقه، وسيعرفني حالاً.

وبعد إلحاح، أخبرته السكرتارية أنها سترد له الخبر.

عاد ثانية لمكان انتظاره في الدور السفلي، جلس ووضع رجله اليمنى على اليسرى، أخذت الأفكار تدور في رأسه، وبعد مرور وقت ليس بقليل وملل كبير من كثرة ما حفظ وجوه المجلات التي أمامه، وأشباح ظلال تمر أمامه في أطوالها المختلفة.

نهض، وسار ناحية موظف الاستقبال الذي بدأت ملامحه تتغير شيئًا فشيئًا:

– آمر أستاذ صالح.

– يا أخي لقد مللت انتظار الرد، أرجو أن تجري مكالمة مع السكرتارية، وتسألهم.

بتثاقل واضح، يرفع الموظف سماعة الهاتف، ويجري حوارًا هامسًا مع السكرتارية.

يطول الحديث، وعينا الموظف بدأت مساحتهما بالانحسار، وضع السماعة وبحديث بالكاد تفهم حروفه:

– تفضل أستاذ صالح، السكرتارية في انتظارك.

«أخيرًا جاء الفرج» هامسًا.

– شكرًا لك يا أخي على تعاونك.

اتجه نحو المصعد. وإذا بصوت الموظف:

– آسف أستاذ صالح، المصعد مخصص للسيد المدير العام، وكبار الضيوف، ليس أمامك سوى السلم.

« لا يهم... المهم أنني سأقابله، وكل شيء سيتغير».

– وهو كذلك.

***

صعد السلم، درجة درجة، ومرت عليه الأدوار متتالية، كما هي سني عمره، التي سلكت منه درجات وأدوارًا كثيرة، بينما وهو يراقب الأدوار المتتالية من منتصف مركز المبنى:

«كم مرة صعدت هذه الأدوار في اليوم الواحد؟».

يدخل الطابق الأخير وهو يدخله ثاني مرة في حياته، فلم يدخله عندما كان موظفًا بالمؤسسة إلا مرة واحدة، عندما أعفي من عمله وأحيل للتقاعد. حيث أخبره سكرتير المدير العام السابق بالخبر دون

رؤية المدير العام له.

يقتـرب من مكتب السـكرتيرة، والسـعادة تعتريه ثانيـة، وهو يحاول إخفاءها.

- عفوًا.

- نعم.

- هل أسـتطيع مقابلة طارق... (يتلعثم) عفوًا السـيد طارق، (يتلعثم ثانية) السيد المدير العام الأستاذ طارق.

- من حضرتك؟!

- صديقه... صالح سالم.

- (بكل برود) لقد أخبروك أن الأسـتاذ طارق لديه اجتماع الآن، ولكن يمكنـك الانتظار بالغرفة المجاورة، ربما تقابله في وقت الاسـتراحة بين الاجتماعات، ماذا تريد أن أطلب لك؟

- شكرًا... لاشيء.

يدخـل الغرفـة الأخـرى، وينتظر هنـاك، والأفكار تجاذبـه أطراف الحديث:

«معـذور طارق، لم يعط نفسـه حتـى برهة من الزمن لكي يسـتقبل مهنئيه، فبادر للاجتماع على الفور، إنه شيء رائع حقًا، هذا هو المسئول فعلاً، العمل قبل القول.

ينظر ناحية السماء:

«وفقه الله».

يضع رجله اليمنى على اليسـرى ثانية، ويسـند ظهره على الكرسي، ويداه متشابكتان:

«يا ترى لو أخبرته عن رغبتي بالعودة للعمل، هل يوافق؟ حتما سيوافق، فهو بحاجة لأشـد المقرّبين والمخلصين له، نعـم، ومَن غيري يملك هذه المنزلة؟

ينحسـر ضوء الشمس من داخل غرفة انتظار صالح، وينظر لساعته، وقد مل حركة عقاربها البطيئة جدًا:

«وأي المناصب سيعرضها علي؟» - دون اكتراث - «أي منصب... المهم سأكون بجانبه... نعم... لننظف المؤسسة من أولئك الراقصين.

ينظر للســاعة وقد مرت دورة كاملة منها، والاجتماع منعقد. «لابد أن الســكرتيرة لم تخبره بوجودي، أكيد فلو أنها أخبرته بوجودي لاستقبلني بنفســه، لا يهــم. المهم أنني ســأقضي معه وقتًا طويلاً، لــن يزعجنا به أحد».

ينظر لساحة المؤسسة:

«إنها بحاجة للترميم، لا بل حديقة جميلة خضراء، سأخبره بالأمر، أو أدعه بعد إعادة تعييني مرة أخرى، حتى أشرف بنفسي عليها».

ينظر للساعة ثانية:

«يا ترى ماذا سيفعل بالراقصين؟ لابد أنه سيشاورني بالأمر».

ينظر للســاعة مرة ثالثة، الســاعة الثانية عشــرة ظهرًا إلا دقيقتين، تأخر الاجتماع طويلاً، ومل صالح من الانتظار، وقدماه لم تملا حركتهما الأفقية.

ينتظر ولم يلحظ خروج أحد.

وتناديه السكرتيرة بصوتها الأنثوي المدلل:

– أستاذ صالح، أستاذ صالح.

– (يقفز من مكانه) نعم.

– الأســتاذ طارق مشــغول الآن باجتماع عام، أرجو أن تؤجل زيارتك الآن لوقت آخر.

– (مستغربًا) ألا أستطيع أن أراه الآن؟ هل أخبرته بوجودي؟

بكل برود أنثوي:

–مع الأســف لم أخبره لاســتمرار الاجتماع. هل يمكنــك ترك أرقام هواتفك لتحديد موعد لك مع الأستاذ.

– (باستغراب شديد) ولماذا أرقام هواتفي، هو يعرفها؟

– أنا مَن سيتصل بك، لكي أرتب لك موعدًا معه.

– (مستفسرًا) هل يمكنني أن أحصل على أرقام المكتب؟

ببرود ثان:

– آسفة... فالمكتب لايزال ينتظر حرارة الأرقام الجديدة.

– عمومًا سأتصل به على رقمه الشخصي.

– مع الأسف، فقد تم تغييره هو الآخر، وهو خاص جدًا.

(حشرجة بالصوت) فهمت... سأنتظر اتصالك بي.

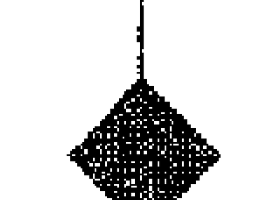
***

يغادر المكتب بخطوة تجر الأخرى، ويصل لباب مخرج السلم، وإذ بباب المصعد يفتح، فتدخل جوقة جديدة من الراقصين...!!

نظر إليهم باستغراب كبير، ولم يهتموا به أبدًا، ويتجهون لمكتب المدير العام وهو يراقبهم.

عند باب المؤسسة، وإذا بظله قد قصر جدًا، إلا أنه لمح فيه حركة بسيطة غير مستقرة، تتمايل، تتراقص، ثم تهدأ.

يركب سيارته، ويعود لمنزله، ويكمل شرب كوب الحليب!



هوس *

عبدالعزيز الحشاش

١ أم حسين جارتنا مهووسة بالنظافة لحد المرض.

منذ أن وعيت على الدنيا وأنا أرى جارتنا أم حسين تهتم بنظافتها بصورة غير طبيعية، فهي تغسل يديها بالماء والصابون كل ربع ساعة طوال اليوم، وتنظف كل شبر من بيتها بكل ما تقع يدها عليه في الجمعية من أدوات التنظيف بمختلف أصنافها. في طفولتي وعندما كانت تأخذني أمي معها لزيارة أم حسين كانت لا تخرج من البيت إلا وقد أعطتني حماما ساخنا معقما حتى لا تبقى في جسدي ذرة واحدة من البكتيريا أو الجراثيم، كيف لا تقوم بذلك وهي التي ستزور أم حسين، المفتشة الرسمية عن أي أوساخ في حينا المليء بالقاذورات وحاويات القمامة المهملة على الأرصفة.

لم تكن أم حسين بذاك الثراء ولا بتلك الأناقة، ولكنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من هوس النظافة الذي يشغلها ليل نهار. في مرة من المرات أثناء انشغالها في تبديل ثياب صغيرها (حسين) بعد أن تبول على

لكويتية يوم ٣١/٥/٢٠٠٧.

نفسه، وضعت حسين على السرير أمامها وأخذت تمسح بالفوطة المبللة بمعقم الأطفال جسده الصغير وهي تدندن، وفجأة.. لم يتمالك حسين نفسه وعلى ما يبدو أنه لم ينته من تبوله في المرة الأولى، فأكملها في المرة الثانية.. ولسوء حظ أم حسين أن المرحلة الثانية من تبول حسون الصغير أتت فيها!

وأخذت أم حسين تتردد على المستشفى لأكثر من أسبوع حتى تتأكد بأنها لم تصب بتلوث أو طفح جلدي من رضيعها الصغير.

وفي حينا أخذ الناس يحيكون الروايات حولها ويؤلفون قصصا عجيبة غريبة عن هوسها المبالغ به في النظافة. وأصبحوا يتعمدون عدم الاحتكاك بها أو مخالطتها أو حتى إلقاء التحية عليها عندما يصادفونها في الحي أو مستوصف المنطقة أو ربما الجمعية التعاونية.

حتى أمي التي كانت تحترم فيها حبها للنظافة أصبحت لا تطيق مجلسها لكثرة مقاطعتها أحاديث النسوة في جمعتهن لسؤال هذه عن آخر مرة غسلت فيها ثوبها، أو سؤالها لتلك عن آخر مرة نظفت أرضية مطبخها، أو سؤالها لأمي عن آخر مرة استأجرت فيها عمالاً من شركة النظافة حتى يرشوا البيت بالمبيدات الحشرية لقتل الصراصير المتربصة بنا!

أصبحت أم حسين منبوذة، وكلما نبذها الناس كلما هوسها في النظافة أكثر. حتى زوجها أبو حسين لم يره أحد كثيرا في بيته، ويقال ؟ والعهدة على القائل .. بأنه تزوج من أخرى وبأن زوجته الجديدة آخر همها في الدنيا النظافة، وأنها كثيرا ما تتعمد أن ترمي الأوساخ على أرضية البيت، وتترك الملابس أسابيع دون أن تغسلها، ولا تغسل يدها بالماء والصابون إلا إذا تأكدت من خروجه من البيت.. وعندما سألوها قالت: أبو حسين يحبني هكذا..!

وفي ليلة من الليالي، لم يكن النوم رفيقا لي، وملت الوسادة من كثرة تقلبي يمينا ويسارا في محاولات يائسة مني لكي أغفو، ولكن بلا فائدة. وفي هدوء ليل حينا المعتاد، سمعت صرير باب ينفتح، وبشيء ثقيل يتم سحبه على الأرض بصعوبة، ثم سرعان ما سمعت صوت محرك سيارة تم تشغيله. أطللت من نافذة الغرفة فوجدت سيارة أم حسين تنطلق

خارجة من الحي، استغربت.. أم حسين التي تنام في العاشرة مساء تخرج في هذا الوقت مع اقتراب أذان الفجر؟ غريبة..!

في اليوم التالي رويت لأمي ما حصل، ورغم امتعاضها وترددها في سماع أي شيء له صلة في أم حسين، وافقت على مضض بأن تحاول الاتصال بها لتستفسر ما إذا كان هناك مكروه أصاب أحدًا من أبنائها أو مشكلة ألمت بها، خاصة وأن أبا حسين مشغول عنها بسفراته المزعومة.. والتي غالبا ما تكون في أحضان الزوجة الأخرى. وانتظرت أمي على الهاتف دون أن تتلقى إجابة، وظلت تتصل وتتصل حتى ملت ثم رمت التلفون في وجهي : لا أحد يرد..!

مرت الأيام وبيت أم حسين لا يبدو على حاله المعتاد، اتصلنا بها أكثر من مرة ولكنها لا تجيب، ولا أثر لأبنائها في الحي ولا صوت لهم. بدا لنا بيت أم حسين وكأنه مهجور. تباحثت نساء الحي عن سر اختفاء أم حسين، وباحت كل واحدة منهن في ارتيابها بأمرها وأجمعن على أن شيئا حصل ولكن ما هو ؟..

بعد يومين أصبح حينا الهادئ فرجة للأحياء المجاورة، وأصبح بيت أم حسين مسرحا يتفرج عليه جمهور غفير ممن عرف أم حسين وممن لم يعرفها. فقد اجتمعت سيارات الشرطة والأدلة الجنائية والأسعاف والمطافئ والصحافة والتلفزيون، كل أتى ليشهد يوم القبض على أم حسين، وحين سألت أحد أبناء الجيران قال لي :

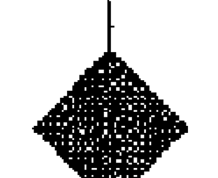
- مسكينه أم حسين، اكتشفت زواج أبو حسين عليها فكافأته بقتله وتقطيع أوصال جسده ورميها في حاويات القمامة المنتشرة في المنطقة.

وما هي إلا لحظات حتى خرجت أم حسين من بيتها برفقة حشد من الشرطة ورجال الأدلة الجنائية. ولأول مرة نرى أم حسين منكوشة الشعر بلباس قذرة ويداها ملطختان بالدماء.

وقبل أن تركب سيارة الشرطة قال الضابط لأحد أفراده:

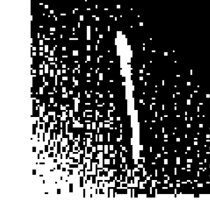
- خذها للمخفر وهناك أغسلوها جيدا بالماء والصابون.. فيبدو أنها لم تنظف نفسها منذ أسبوع.. منذ أن قتلت زوجها.





كان.. ولهذا.. (ف) سيكون *

هديل الحساوي



الزمن بحر..
محكوم..
(إلا)
بقوانين الروح.

قبل رحيله قال: «الزمن هو البحر، القوانين - هيكل الروح - سفينة في البحر، الزمن زجاج صهر من مُرَكَّبِ الشكل والمعنى». قلت له: «بحرك رعبي حد الشلل، وكأني مقيدة بجبل من جلمود تسيره الريح».

فتحرك سبع خطوات إلى اليمين مبتعدًا عني. فسألته: «إلى أين العزم؟ هل..؟.. أمم.. حتى لو؟».

فأومأ برأسه و(رحل).

ها هي آثار المذبحة في (جسدي) /عقلي/ جسدي تسيل ملونة قميصي الأبيض بالأسود. سألت أمي: لِمَ نُخْلَقُ لنموت؟!

المذبحة.

---

* لم تنشر من قبل.

أشعرت فعقلت، أم، عقلت فشعرت؟
لكنه رحل.
الزمــن صار قضيبا معدنيًا بلون الفضة، أمســكت بــه، فقلبته، (كما أريد/ أريد) شماله يمين ويمينه شمال.

المستشفى

كانت الجدران بيضاء ومازالت الجدران بيضاء؟!
ارتفع.. أشعر بالدوار.. فأسقط.
كلما وقفت وقعت.
كــم «هو» مزعج بشــكل وقح، صوته عال، حاد، صوتــه زجاج يُخْدَشُ يجعلني.. كلما وقعت وقفت.
أ..أ.. أقصد كلما وقفت وقعت.
«هو» يبتســم لأنه يعرف كــم يزعجني ذلك. أشــار للنافذة الخضراء فبصقت على شمالي.
«هو» أملاك يرتدي الأبيض أم شيطان يحتال؟

الأسود

الصــوت كان هنــاك، داخل المكان، كلمــا أغلقت الــدولاب أو الباب أسمعه.
يسألني: «ما اسمك»؟
فأغضب وأرد: «هذا ليس من شأنك».
لكنه يعاود ويسألني بإلحاح يقشعر له البدن: «ما اسمك»؟
وكل ما علي فعله فتح الباب لأخرس الصوت.. لكني لا أفعل. ما أفعله هو أني اختبئ، أشــد (بشت) عباءة جدي السوداء وأغيب داخلها، أغيب في اللون الأسود النقي الهادئ.

أمي

زارتني ذات مســاء.. فتحت الباب، دخلت ثــم أغلقته خلفها فضحك الصوت عاليًا.. ذعرت.
أمي بكت
فركعت وطلبت منها أن تبتســم. قلت لها: «لا شيء يحــزن أمــاه، كل

ما هنالك أن آثار أقدامه درستها الريح».

بهتت وسألتني - بلوعة من كان على وشك فض الغموض أخيرًا - : «من؟!»

كنت أحدق في الفراغ من خلالها وقلت: «جدي»!

فبكت أكثر، وحزنت لأنها لم تبتسم.

الزمن قضيب من فضة، علاه الصدأ،لو أردت، يمينه شماله شماله يمين.

النهاية

حلمت بأنه قال لي (جدي): خبئيني في عينك اليسرى ابنتي وانظري من خلالنا، بوصلتك عباءتي.

ثم مد يده وسندني، فوقفت وما وقعت.

وقفت بجانب نافذته الخضراء وقلت للطبيب المبتسم.. بابتسامة: الزمن هو البحر/ البحر هو الزمن.

وأنا القمر.

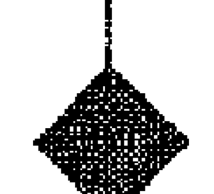
الحدث

كما حكته أمي لجارتها: «وفاة جدها تسببت لها بانهيار عصبي فقط» وابْتَسَمَتْ.



النرد*

ياسمين عبد الله


كحبات النرد، قذف إليه صاحبه بـ (البزمات) على مكتبه قائلاً:
- لا تنسَ المقابلة اليوم، الساعة السادسة مساء،وكماأخبرتك، عليك أن تكون بكامل أناقتك!
أريدك أن تنال إعجابهم.
- أوراقي.. خبرتي.. ألا يكفيان؟!
- بلى... ولكن..
- لا تقلق... سأكون كما تحب.
وابتسم وهو يلتفت خارجًا.
حبات النرد لم تزل على مكتبه.
تناولها بقبضته ونهض.

***

وقف يتأمل بدلته الجديدة المعلقة على المشبك، منذ فترة تجتاحه قناعة وزهد في الدنيا، لا رغبة لديه في أن يلبس الغالي، ولا أن يتشح

* نشرت في جريدة «الراي» الكويتية ٢٠٠٧/٨/٢٥.

بالألـوان الزاهيـة. هذا الزهد جعـل قميصـه الأزرق وبنطاله الكحلي متوهجين دومًا في عينيه.

لكنهم سئموا لونه السماوي.

تناول القميص من المشبك والبنطال والسترة تأمل اسم الماركة.

- بكامل أناقتي.

زم كم القميص بالزمات التي قدمها له صاحبه.

- بكامل أناقتي.

لبس التمسـاح في قدميه ونظر للمرآة متأملاً كيف رسـمه ذلك الزي الأنيق.

تناول ملفه الذي يحتوي أوراقه وخلاصة خبرته وانطلق.

- بكامل أناقتي.

***

يذرع الممر المؤدي لغرفة لجنة المقابلة. ينتظر دوره في الدخول.

سـينال هذه الترقية، نعم هو يسـتحقها، هكذا حدث نفسه وهو يذكر سنوات الدراسة وجهد العمل.

فُتِح الباب.

- تفضل يا أستاذ.

- شكرًا لك.

وضع حقيبته على الطاولة متخذًا المقعد الوحيد الفارغ حضنًا يحتوي قلقه.

تأمل وجوههم.. ونظرات عيونهم المحدقة في تفاصيله.

- هل ينتعلون التماسيح في أقدامهم يا تُرى..؟

ابتسـم للفكـرة التـي خطرت فـي بالـه.. فبادله المجتمعـون حوله الابتسامة..

يجيبهم بكل ثقة.

تناول الملف من حقيبته.

نهض.

نزع الجاكيت وعلقه على ظهر الكرسي.

نظر إليهم مبتسمًا.

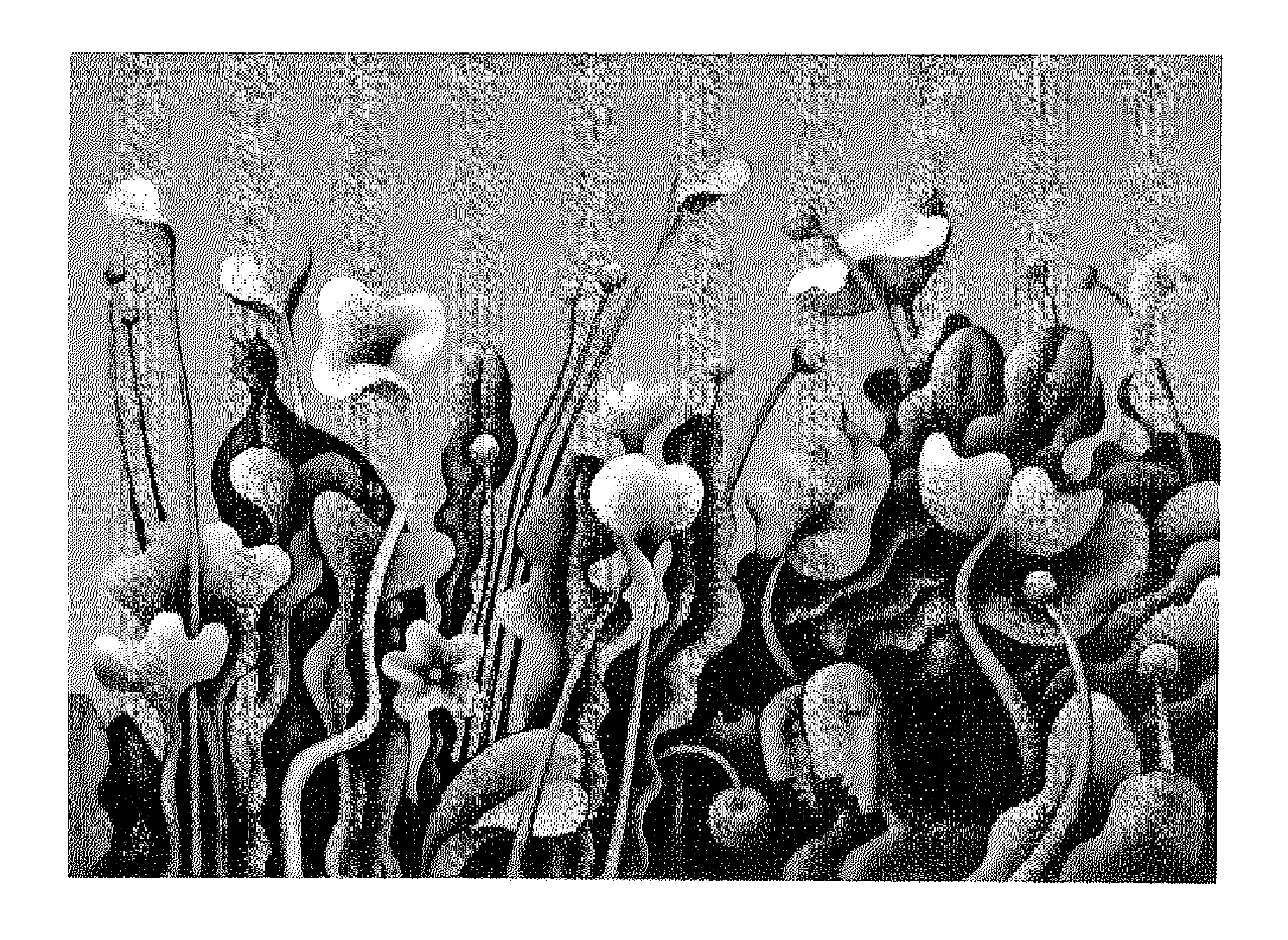
- المكان هنا دافئ!
فتح الملف، وزّع أوراقه على الأيدي التي تتناوش حظه.. مستقبله.
يستطيع الحديث بحرية أكثر لو فتح ربطة العنق التي تعدّ أنفسه.
رمى بها على ظهر الجاكيت.
- وهذه البزمات.. تخنق دمي.
رمى بها على الطاولة.
فتح زرار القميص الأول.
إنه الآن يترك الهواء يتوغل عميقًا في صدره.
تبدو أكتافه عالية.. وهو يشير إلى بعض الأوراق التي ترسم مشاريعه وأفكاره.

***

وانتهى أخيرًا.
لملم أوراقه.. انتزع عن ظهر الكرسي أحماله.. نظر في وجوههم.. ونظرات الإعجاب والثقة بادية على ملامحهم.
- مبروك يا أستاذ.. نتمنى أن تكون عند حسن الظن بك.

***

وصل إلى بيته.
علق الجاكيت على المشبك.
حوله وضع ربطة العنق.
نزع التمساح ووضعه أسفل المشبك.
ضرب الأرض بقدمه ضاحكًا ورفع يده.
- تعظيم سلام يا باشا!



ثبت المجموعات القصصية *

- **استبرق أحمد**: عتمة الضوء، ط١، دار قرطاس، الكويت، ٢٠٠٣.
- **اسماعيل فهد اسماعيل**: البقعة الداكنة، ط١، ١٩٦٥، المدى ط٢، ١٩٩٦.

: الأقفاص واللغة المشتركة، المدى ط٣، ١٩٩٦.

- **الجوهرة القويضي**: غواية الآخر، ط١ ٢٠٠٣ (د.ن).
- **باسمة العنزي**: الأشياء، الكويت، ١٩٩٨

: حياة صغيرة خالية من الأحداث، ط١، الكويت، ٢٠٠٧ (د.ن)

- **بزة الباطني**: السيدة كانت، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٩٨.
- **ثريا البقصمي**: العرق الأسود، الكويت، ١٩٧٧.

: السدرة الكويت، ١٩٨٨ (١٩٨٨ (د.ن)

: شموع السراديب.

- **جاسم محمد الشمري**: بدويًا جاء.. بدويًا رحل، ط١، الكويت، ١٩٩٥ (د.ن).
- **جراح المطيري**: الأحلام تموت، ط١، الكويت، ١٩٩٩.
- **حمد الحمد**: مناخ الأيام، ط١، الكويت، ١٩٨٨ (د.ن).

: ليالي الجمر، ط١، الكويت ١٩٩١ (د.ن).

: عثمان وتقاسيم الزمان، ط١، توزيع شركة الربيعان، الكويت ١٩٩٤.

- **خالد حمد الصالح**: جريمة الحي الشرقي، الكويت (د.ن).

* د.ت = دون تاريخ، د.ن = دون ناشر

: انتحار عبدالجبار البابلي، دار سعاد الصباح (د.ت).
: الأسير، ط١، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٢.
: الخوف، ط١، منشورات النور، بيروت، ٢٠٠٧.
- **خالد الحربي:** خطفت نفسي، ط١، دار قرطاس، الكويت، ٢٠٠٥.
- **خولة القزويني:** حديث الوسادة، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٧.
- **سعاد الولايتي:** أريد أمًا، الكويت، ١٤١٤هـ (د.ن)
- **سليمان الخليفي:** هدامة، ط١، رابطة الأدباء في الكويت، ١٩٧٤.
: المجموعة الثانية، الكويت، ١٩٧٨.
: الشارع الأصفر: الكويت، ١٩٩٧.
- **سليمان الشطي:** الصوت الخافت، ط١، مكتبة الأمل، الكويت، ١٩٧٠.
: رجال من الرف العالي، ط٣، دار العروبة، الكويت، ٢٠٠٤.
: أنا.. الآخر، ط١، دار النهج الجديد، الكويت، ١٩٩٤.
- **طالب الرفاعي:** أبو عجاج طال عمرك، ط١، الآداب، بيروت، ١٩٩٥.
: مرآة الغبش، ط١، المدى، دمشق، ١٩٩٧.
: حكايا رملية، ط١، المدى، دمشق، ١٩٩٩.
: شمس: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.
- **عائشة راشد عبدالهادي:** برودة حتى الاحتراق، ط١، الكويت،١٩٩٢.
: حمالي سكة بهيتة، ط١، دار قرطاس، الكويت، ٢٠٠٢.
- **عالية محمد شعيب:** امرأة تتزوج البحر، ط١، الكويت، ١٩٨٩.
: بلا وجه، الكويت،١٩٩١.
- **عبدالعزيز السريع:** دموع رجل متزوج، ط١، الكويت، ١٩٨٥ (د.ن)
- **عبداللطيف خضر الخضر:** اليوم المجيد، ط١، توزيع شركة الربيعان، الكويت، ١٩٩٠.

- **عهود بدر السالم**: من حيث ننتهي نبدأ، ط١، شركة الربيعان، الكويت، ٢٠٠٤.
- **فاضل خلف**: أحلام الشباب، ١٩٥٧.
- **فاطمة يوسف العلي**: وجهها وطن، ط١، شركة الربيعان، الكويت،١٩٩٥.
: دماء على وجه القمر، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.
: تاء مربوطة، ط١، مركز الحضارة العربية،القاهرة، ٢٠٠٣.
: لسميرة وأخواتها، ط١،٢٠٠٥.
- **فرحان راشد الفرحان**: سخريات القدر، (١٩٧٠؟) (د.ن)
- **فوزية السويلم**: الأسماك تموت غرقًا، ط١، دار قرطاس، الكويت، ١٩٩٨
: أشواق شيطانية، الكويت: دار الوطن للصحافة والنشر، ٢٠٠٧.
- **لطيفة البطي**: عروس البحر، ط١، الكويت، ١٩٩٩.
: امرأة في إناء، ط١، ذات السلاسل، الكويت، ١٧٦٧.
: الرحيل: ط١، الآداب، ١٩٧٩.
: في الليل تأتي العيون، ط١، الآداب، ١٩٨٠.
: الحب له صور، ط١، ١٩٨٢ (د.ن)
: فتحية تختار موتها، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.
: حالة حب مجنونة، ط١، الربيعان للشنشر والتوزيع، ١٩٨٩.
: ٥٥ حكاية قصيرة، ط١، الربيعان للنشر والتوزيع،١٩٩٢.
: الحواجز السوداء، ط١، الكويت، ١٩٩٤ (د.ن)
: يحدث كل ليلة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٨.
: ليلة القهر، ط١، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ليلى محمد الصالح: جراح في العيون، ط١، الكويت، ١٩٨٦ (د.ن).
: لقاء في موسم الجرح، ط١، دار سعاد الصباح، الكويت،١٩٩٤.
- محمد مسعود العجمي: الشرخ، ط١، شركة الربيعان،

الكويت،١٩٨٢.
: تضاريس الوجه الآخر، ط١، الكويت، ١٩٨٨ (د.ن)
- **منى الشافعي:** النخلة ورائحة الهيل، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢.
: البدء.. مرتين، شركة الربيعان، الكويت، ١٩٩٤.
: دراما الحواس، الربيعان، الكويت،١٩٩٥.
: أشياء غريبة تحدث، ٢٠٠٢ (د.ن).
: نبضات أنثى، ط١، الكويت، ٢٠٠٥ (د.ن)
- **منى عبدالجليل:** طبيب الحب، ط١، الكويت، ٢٠٠١.
- **مي الشراد:** الرجال لا رموش لهم، الكويت،٢٠٠٢ (د.ن)
- **ميس خالد العثمان:** عبث، ط١، دار قرطاس، الكويت، ٢٠٠١.
: أشياؤها الصغيرة، ط١، دار قرطاس،الكويت، ٢٠٠٣.
- **هبة بوخمسين:** في قعر أمنية، ط١، دار قرطاس، الكويت، (د.ن)
: ذات سكرة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
- **هيفاء السنعوسي:** ضجيج، القاهرة، دار أخبار اليوم، كتاب اليوم، عدد ٤٦٨، (٢٠٠٤؟)
: رحيل البحر، الكويت،٢٠٠٥ (د.ن)
: إهم يرتدون الأقنعة، المغرب، ٢٠٠٧.
- **ناصر الظفيري:** وليمة القمر، ط١، الغدير للصحافة والنشر، الكويت، ١٩٩٠.
: أول الدم، الكويت، ١٩٩٣.
- **وفاء الحمدان:** الطيران بجناح واحد، الكويت، ١٩٨٩ (د.ن).
: الريح تصفِّر لحنها، الكويت، ٢٠٠٠ (د.ن)
- **وليد الرجيب:** تعلق - نقطة تسقط - طق، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٣.
: إرادة المعبود في أبي جاسم ذي الدخل المحدود، ط١، دار الفارابي، بيروت،١٩٨٩.

: طلقة في صدر الشمال، ط١، الفارابي، بيروت،١٩٩٢.
: الريح تهزها الأشجار،ط١، در النهج الجديد، الكويت، ١٩٩٤.
- **وليد خالد المسلم:** فقدان الهوية، ط١، الكويت، ١٩٨٩ (د.ن)
: اصبر يا حكيم، ط١، دار المختار العربي، بيروت، ١٩٩٨.
: سبع صور، ط١، دار المختار العربي، بيروت، ١٩٩٩.
: شهاب ثاقب، ط١، الكويت، ٢٠٠١.
: المعادلة الصعبة،ط١، الكويت،٢٠٠٢.
- **يوسف ذياب خليفة:** العين الثالثة، الكويت، ٢٠٠٣ (د.ن)
: أفكار عارية، الفارابي، بيروت،٢٠٠٧.

مصادر ومراجع القصة القصيرة في الكويت

١ - **مجلة الكويت** (مارس ١٩٢٨ - مارس ١٩٣٠) النسخة المصورة، دار قرطاس للنشر، الكويت، ١٩٩٩.

٢ - **مجلة البعثة** (١٩٤٦ - ١٩٥٤)، جمعها وأعاد طباعتها مصورة مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٧.

٣ - **محمد حسن عبدالله**: الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، رابطة الأدباء، الكويت ١٩٧٣.

٤ - **إسماعيل فهد إسماعيل**: القصة العربية في الكويت، دار العودة: بيروت ١٩٨٠.

٥ - **إبراهيم عبدالله غلوم**: القصة القصيرة في الخليج العربي، بغداد، ١٩٨١.

٦ - **خالد سعود الزيد**: قصص يتيمة في المجلات الكويتية، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢.

: أدباء الكويت في قرنين، الجزء الثالث. شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت،١٩٨٢.

: شيخ القصاصين الكويتيين: فهد الدويري، مكتبة دار العروبة،الكويت ١٩٨٤.

٧ - **وليد أبو بكر**: الصوت الثاني في القصة الكويتية، كاظمة للنشر والترجمة، الكويت ١٩٨٥.

٨ - **سليمان الشطي**: مدخل القصة القصيرة في الكويت، مكتبة دار العروبة، الكويت ١٩٩٣.

٩ - **نجمة إدريس**: الأجنحة والشمس، رابطة الأدباء، الكويت ١٩٩٨.

١٠ - **صلاح صالح**: مشارق الحكي، جامعة الكويت، ٢٠٠٤.

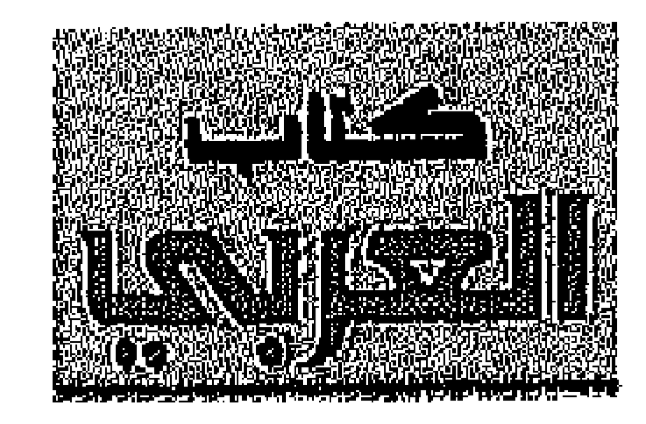
١١ - **خليفة الوقيان**: الثقافة في الكويت - الكويت ٢٠٠٦.

١٢ - **عبدالكريم المقداد**: ملامح الحركة القصصية في الكويت - الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق ٢٠٠٧.



المحتويات

العدد ٧١ يناير ٢٠٠٨



أسعار النسخ وقيمة الاشتراكات

الكويت	١دينار	الجزائر	١٢٠دينارا
السعودية	١٥ريالا	اليمن	١٥٠ريالا
الأردن	١دينار	قطر	١٥ريالا
سوريا	٥٠ ليرة	سلطنة عمان	١ريال
البحرين	١دينار	لبنان	٥٠٠٠ ليرة
مصر	٢جنيه	الإمارات	١٥درهما
السودان	٢٠٠ جنيه	المغرب	٢٠درهما
تونس	٢دينار		

سعر النسخة خارج الوطن العربي ٣ دولارات أمريكية
الاشتراك في الكويت ٥ دنانير
في الدول العربية ٨ دولارات أمريكية
خارج الوطن العربي ١٦ دولاراً أمريكيا.

الاشتراكات

قسم الاشتراكات - مجلة العربي - وزارة الإعلام
ص.ب: ٧٤٨ الصفاة - الكويت الرمز البريدي ١٣٠٠٨
على طالب الاشتراك تحويل القيمة
بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام.

مكتب العربي الرئيسي في الكويت

ص. ب ٧٤٨ الصفاة - الكويت - الرمز البريدي: ١٣٠٠٨
بنيد القار - قطعة ١ - شارع ٤٧ - قسيمة ٣
هاتف البدالة 86 / 82 / 2512081(00965)
فاكس: (00965) 2512044

P.O.Box: 748 / Al Safat Kuwait.
E.mail: alarabimag@alarabimag.net
www.alarabimag.net

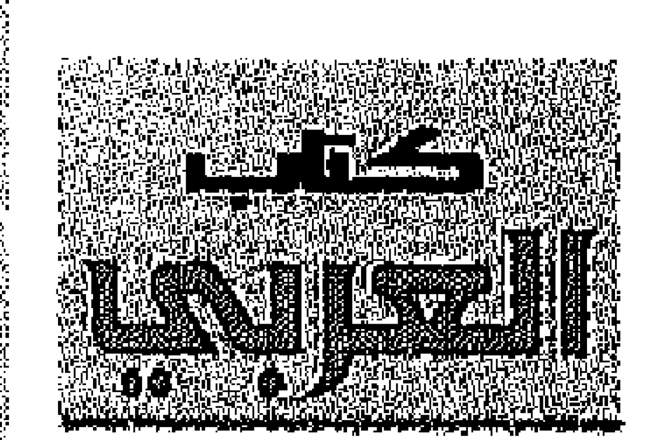
المراسلات باسم رئيس التحرير

مكاتب العربي في الخارج

القاهرة: الدقي - ٢٢ شارع البطل عدنان عمر صدقي
متفرع من شارع مصدق -
هاتف: ٣٣٧٢٩٣٨ (02)
بيروت: ص.ب ٧٠٨٢٧ أنطلياس / لبنان
هاتف: ٠٠٩٦١٣٤٠٨٤٠٧
فاكس: ٠٠٩٦١٤٤٠٨٤٤٨

١- الحرية	د. أحمد زكي «يناير ١٩٨٤»
٢- العلم في حياة الإنسان	د. عبد الحليم منتصر «أبريل ١٩٨٤»
٣- المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٤»
٤- العروبة والإسلام وأوربا	د. محمود السمرة «أكتوبر ١٩٨٤»
٥- العربي ومسيرة ربع قرن مع:الحياة.. والناس.. والوحدة في دول الخليج العربي	مجموعة كتاب «نوفمبر ١٩٨٤»
٦- طبائع البشر	د. فاخر عاقل «يناير ١٩٨٥»
٧- حوار.. لامواجهة..	د. أحمد كمال أبو المجد «أبريل ١٩٨٥»
٨- آراء ودراسات في الفكر القومي	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٥»
٩- أضواء على لغتنا السمحة	محمد خليفة التونسي «أكتوبر ١٩٨٥»
١٠- الكويت ربع قرن من الاستقلال	مجموعة كتاب «يناير ١٩٨٦»
١١- نظرات في الواقع الاقتصادي المعاصر	د. حازم الببلاوي «أبريل ١٩٨٦»
١٢- السلوك الإنساني.. الحقيقة والخيال	د. فخري الدباغ «يوليو ١٩٨٦»
١٣- آراء حول قديم الشعر وجديده	مجموعة كتاب «أكتوبر ١٩٨٦»
١٤- المسلمون والعصر	مجموعة كتاب «يناير ١٩٨٧»
١٥- من أسرار الحياة والكون	د. عبد المحسن صالح «أبريل ١٩٨٧»
١٦- دراسات حول الطب الوقائي	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٧»
١٧- خطاب إلى العقل العربي	د. فؤاد زكريا «أكتوبر ١٩٨٧»
١٨- المسرح العربي بين النقل والتأصيل	مجموعة كتاب «يناير ١٩٨٨»
١٩- الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة	مجموعة كتاب «أبريل ١٩٨٨»

٢٠- أندلسيات	محمد عبد الله عنان «يوليو ١٩٨٨»
٢١- ماذا في العلم والطب من جديد؟	مجموعة كتاب «أكتوبر ١٩٨٨»
٢٢- الإسلام والعروبة في عالم متغير	د. عبد العزيز كامل «يناير ١٩٨٩»
٢٣- الطفل العربي والمستقبل!	مجموعة كتاب «أبريل ١٩٨٩»
٢٤- القصة العربية أجيال وآفاق	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٩»
٢٥- تاريخنا... وبقايا صور	د. شاكر مصطفى «أكتوبر ١٩٨٩»
٢٦- الإنسان والبيئة صراع أو توافق؟	مجموعة كتاب «يناير ١٩٩٠»
٢٧- نافذة على فلسفة العصر	د. زكي نجيب محمود «أبريل ١٩٩٠»
٢٨- نظرات في الأدب والنقد	عبد الرزاق البصير «يوليو ١٩٩٠»
٢٩- الإسلام وضرورة التغيير	د. محمد عمارة «يوليو ١٩٩٧»
٣٠- الخليج العربي وآفاق القرن الواحد والعشرين	مجموعة كتا « أكتوبر ١٩٩٧»
٣١- القصة العربية.	مجموعة من الكتاب «يناير١٩٩٨»
٣٢ - أرقام تصنع العالم	محمود المراغي « أبريل ١٩٩٨ »
٣٣ - على جناح طائر	د. شاكر مصطفى « يوليو ١٩٩٨ »
٣٤ - المسلمون من آسيا إلى أوربا	مجموعة من الكتاب « أكتوبر ١٩٩٨»
٣٥ - إسبانيا.. أصوات وأصداء عربية	مجموعة من الكتّاب « يناير ١٩٩٩»
٣٦ - ثورات في الطب والعلوم	مجموعة من الكتاب «أبريل ١٩٩٩»
٣٧ - نبش الغراب في واحة العربي	محمد مستجاب «يوليو ١٩٩٩»



اصدارات كتاب العربي

البحث عن آفاق أرحب

مختارات من القصة الكويتية المعاصرة

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨/١/١٥
رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية :
Depository Number: 2007 /444
ISBN: 978 - 99906-38-33-2   ردمك: ٩٧٨ - ٩٩٩٠٦ - ٣٨ - ٣٣ - ٢



هذا الكتاب

و«العربي» تحتفل بعيد ميلادها الخمسين، كان عليها أن ترد جزءًا من دينها للكويت، البلد الذي احتضنها ورعى مسيرتها. لقد كانت مجلة العربي هي مقدمة مشروع الكويت الثقافي الذي مازال يواصل إشعاعه عابرا حدود الكويت إلى شقيقاتها العربيات، لم يولد المشروع الثقافي الكويتي من فراغ، ولكن من خلال الحس القومي العميق لدى القائمين على دولة الكويت، من أنها تنتمي إلى وطن أوسع، ومن خلال أشواق المثقفين والمبدعين الكويتيين للالتحام بنهر الثقافة العربية الأشمل. ويكشف هذا الكتاب جانبًا مهمًا من الإبداع الكويتي هو فن القصة القصيرة، ويغوص متتبعًا الجذور الأولى لهذا الفن لدى روّاد الكتابة الأدبية في الكويت، صعودًا في شجرة الزمن حتى إبداعات الأجيال الجديدة وما فيها من تجارب حداثية. ويحقق المشرف على إعداد هذا الكتاب هدفه من خلال رحلة شائقة بين النصوص الإبداعية، إنها صورة بانورامية شاملة تكشف العديد من الأسماء الأدبية التي رسخت وجودها تحت مظلة الإبداع العربي، وأعطت لهذا الفن مذاقا كويتيًا خاصًا. وتقدم «العربي» في يوبيلها الذهبي هذا الكتاب هدية للمبدعين الكويتيين وللإبداع العربي.

كتاب ٧١

البحث عن آفاق أرحب

مختارات من القصة الكويتية المعاصرة

وزارة الإعلام، مطبعة حكومة الكويت